ديوان حافظ ابراهيم

(الجزء الثاني)

ضبط وتصحيح

أحمد أمين / أحمد الزين

إبراهيم الإبياري

الكتاب:ديوان حافظ ابراهيم (الجزء الثاني)
ضبط وتصحيح:أحمد أمين / أحمد الزين / إبراهيم الإبياري
الطبعة: **2018**

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : 35825293 – 35867576 – 35867575
فاكس : 35878373
http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

أمين، أحمد
ديوان حافظ ابراهيم(الجزء الثاني)/ ضبط وتصحيح: أحمد أمين / أحمد الزين / إبراهيم الإبياري
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
272 ص، **18** سم.
الترقيم الدولى:**4 – 673 – 446– 977–978**
أ – العنوانرقم الإيداع :**4161/ 2018**

ديوان حافظ ابراهيم

(الجزء الثاني)

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

الجزء الثاني

السياسات

العلمان المصري والإنجليزي في مدينة الخرطوم

رويدك حتى يخفق العلمان ... وتنظر ما يجري به الفتيان (1)

فما مصر كالسودان لقمة جائع ... ولكنها مرهونة لأوان (2)

دعاني وما أرجفتما باحتماله ... فإني بمكر القوم "شق" زماني (3)

أرى مصر والسودان والهند واحدا ... بها اللرد والفيكنت يستبقان

وأكبر ظني أن يوم جلائهم ... ويوم نشور الخلق مقترنان (4)

إذا غاضت الأمواه من كل مزبد ... وخرت بروج الرجم للحدثان (5)

وعاد زمان السمهري وربه ... وحكم في الهيجاء كل يماني (6)

هناك اذكرا يوم الجلاء ونبها ... نياما عليهم يندب الهرمان (7)

(1) الفتيان: الليل والنهار. يخاطب صاحبه يقول: تمهل حتى يخفق على السودان العلمان، ويكمل للإنجليز تملكه، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان.

(2) يشير بهذا البيت إلى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان، وأن الاستيلاء عليها ليس في سهولة الاستيلاء عليه، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم.

(3) ما أرجفتما، أي ما خضتما فيه من القول الذي لم يصح. وباحتماله، أي باحتمال وقوعه وتحققه؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر. ويريد «بالقوم»: الإنجليز. وشق (بكسر الشين): كاهن عربي قديم اشتهر بمعرفة الغيب، وكان في زمان كسرى أنوشروان.

(4) يوم النشور: يوم القيامة.

(5) غاض الماء: قل فنضب. والأمواه: جمع ماء. والمزبد: البحر يقذف بالزبد. والحدثان (محركة): اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه.

(6) السمهري: الرمح الصلب. أو هو المنسوب إلى رجل من العرب اسمه سمهر، كان مشهورا بصنع الرماح. والهيجاء: الحرب. واليماني: السيف، نسبة إلى اليمن، لأن أجود السيوف كان يصنع بها..

(7) هناك اذكرا: جواب «لإذا» في البيت السابق. يقول إذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار... الخ، أو وقع المستحيل، فعاد الزمان إلى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز عن مصر.

إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت في 4 إبريل سنة 1904م]

(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما   كانت جوارك في لهو وفي طرب (1)
ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس   الحرب في الباب والسلطان في اللعب
فاحذر على التخت أن يسري الخراب   فتخت(سلطانة) أعدى من الجرب (2)

(1) عبد العزيز سلطان مراكش، هو ابن السلطان مولاي الحسن، وكان مولده سنة 1296هـ. تولى الملك بعد وفاة أبيه في 4 ذي الحجة سنة 1311هـ، ثم خلع في سنة 1326هـ وسنة 1908م. وكا معروفا بالإخلاد إلى المجون واللهو، حتى إنه بعث إلى مصر في طلب جماعة من المطربين والمطربات، فسافر إليه جماعة منهم؛ فأنكر عله المسلمون فعله، لا سيما مصر، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم، وأكثر الشعراء في ذلك من المقطعات الطريفة.

(2) يريد «بالتخت» الأول في هذا البيت: سرير السلطان؛ وهو معرّب. وبالثاني: تخت الغناء، تسمية عامية. وسلطانة: مغنية كانت من المغنيات المشهورات في مصر في ذلك العصر، وكانت بين بعثة الغناء التي سافرت إلى سلطان مراكش.

غادة اليابان

ضمنها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في 6 إبريل سنة 1904م]

لا تلم كفى إذ السيف نبا ... صح مني العزم والدهر أبى (1)
رب ساع مبصر في سعيه ... أخطأ التوفيق فيما طلبا
مرحبا بالخطب يبلوني إذا ... كانت العلياء فيه السببا (2)
عقني الدهر ولولا أنني ... أوثر الحسنى عققت الأدبا (3)
إيه يا دنيا اعبسي أو ابتسمي ... لا أرى برقك إلا خلبا (4)
أنا لولا أن لي من أمتي ... خاذلا ما بت أشكت النوبا
أمة قد فت في ساعدها ... بغضها الأهل وحب الغربا (5)
تعشق الألقاب في غير العلا ... وتفدى بالنفوس الرتبا
وهي والأحداث تستهدفها ... تعشق اللهو وتهوى الطربا (6)
لا تبالي لعب القوم بها ... أم بها صرف الليالي لعبا (7)

(1) نبا السيف: كل وارتد.

(2) يبلوني: يختبرني.

(3) عقه: ترك الإحسان إليه ولم يبره. يقول: إن الدهر لم ينصفني، والجاني عليّ هو أدبي؛ ولولا أنني أوثر الإحسان لهجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي.

(4) البرق الخلب: الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم.

(5) فت في ساعدها: عبارة يكنى بها عن الإضعاف وإيهان القوى.

(6) والأحداث تستهدفها، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه.

(7) يريد «بالقوم»: الإنجليز. وصروف الليالي: غيرها ونوائبها. أي لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر.

ليتها تسمع مني قصة ذات شجو وحديث عجبا (1)
كنت أهوى في زماني غادة وهب الله لها ما وهبا (2)
ذات وجه مزج الحسن به صفرة تنسي اليهود الذهبا
حملت لي ذات يوم نبأ لا رعاك الله يا ذاك النبا
وأتت تخطر والليل فتى وهلال الأفق في الأفق حبا (3)
ثم قالت لي بثغر باسم نظم الدر به والحببا: (4)
نبئوني برحيل عاجل لا أرى لي بعده منقلبا (5)
ودعاني موطني أن أغتدي علني أقضي له ما وجبا (6)
نذبح الدب ونفري جلده أيظن الدب ألا يغلبا (7)
قلت والآلام تفري مهجتي: ويك! ما تصنع في الحرب الظبا؟ (8)
ما عهدناها لظبي مسرحا يبتغي ملهى به أو ملعبا
ليست الحرب نفوسا تشترى بالتمني أو عقولا تستبى (9)

(1) يقال: شجاه شجوا، إذا هيج أحزانه وشوّقه.

(2) الغادة: المرأة الناعمة اللينة.

(3) والليل فتى، أي في أوله. وشبه الهلال في أول طلوعه بالطفل الذي يحبو في مهده.

(4) الحبب: الفقاقيع التي تعلو سطح الماء، شبه بها الأسنان في بياضها.

(5) المنقلب: العودة والرجوع.

(6) اغتدى، أي أبادر مبكرة عن للدفاع عنه.

(7) الدب: رمز تعرف به روسيا، كما تعرف إنجلترا بالأسد، واليابان بالتنين، وألمانيا بالنسر. ونفرى: نشق. ويشير بهذا البيت إلى الحرب التي نشبت بين اليابان وروسيا في ليلة 9 فبراير سنة 1904م وانتهت بالصلح في يوم 5 سبتمبر سنة 1905م.

(8) الظبا: الظباء، وقصر للشعر.

(9) تستبي: توسر بالحب.

أحسبت القد من عدتها أم ظننت اللحظ فيها كالشبا؟ (1)
فسليني، إنني مارستها وركبت الهول فيها مركبا (2)
وتقحمت الردى في غارة أسدل النقع عليها هيدبا (3)
قطبت ما بين عينيها لنا فرأيت الموت فيها قطبا (4)
جال عزرائيل في أنحائها تحت ذاك النقع يمشي الهيذبى (5)
فدعيها للذي يعرفها والزمي يا ظبية البان الخبا (6)
فأجابتني بصوت راعني وأرتني الظبى ليثا أغلبا: (7)
إن قومي استعذبوا ورد الردى كيف تدعوني ألا أشربا؟
أنا يابانية لا أنثني عن مرادي أو أذوق العطبا (8)
أنا إن لم أحسن الرمي ولم تستطع كفاى تقليب الظبا (9)

(1) القد: القامة. والشبا. جمع شباة، وهي حد السنان.

(2) مارستها: عانيتها.

(3) تقحمت الردى: رميت بنفسي في غمرته. والنقع: الغبار. الهيدب: السحاب المتدلي من أسافله. وإثارة الغبار كثرته وارتفاعه في الحرب، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها.

(4) التقطيب: العبوس. والضمير في «قطبت» للغارة.

(5) الهيذبي (بالمعجمة والمهملة): نوع من المشي فيه جدّ. ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح في هذه الحرب.

(6) البان شجر سبط القوام لين، ورقة كورق الصفصاف، تألفه الظباء. والخبا (بالقصر): الخباء (بالمد)، وقصر للشعر. وهو في الأصل: البيت من وبر أو صوف، ويريد به البيت عامة.

(7) راعني: أفزعني. والأغلب من السباع: الغليظ الرقبة، وهي علامة للقوة. يقول: إنها غضبت من تنقصه لها، وأنها لا تصلح للحرب، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته، واستحالت من ظبي وادع إلى أسد قوى.

(8) العطب: الهلاك.

(9) الظبا: جمع ظبة (بضم الأوّل) وهي حد السيف أو السنان.

أخدم الجرحى وأقضي حقهم | وأواسي في الوغى من نكبا (1)
هكذا (الميكاد) قد علمنا | أن نرى الأوطان أما وأبا (2)
ملك يكفيك منه أنه | أنهض الشرق فهز المغربا
وغدا مارسته ألفيته | حولا في كل أمر قلبا (3)
كان والتاج صغيرين معا | وجلال الملك في مهد الصبا
فغدا هذا سماء للعلا | وغدا ذلك فيها كوكبا
بعث الأمة من مرقدها | ودعاها للعلا أن تدأبا (4)
فسمت للمجد تبغي شأوه | وقضت من كل شيء مأربا (5)

الحرب اليابانية الروسية (6)

[نشرت في 10 نوفمبر سنة 1904م]

أساحة للحرب أم محشر | ومورد الموت أم الكوثر؟ (7)
وهذه جند أطاعوا هوى | أربابهم، أم نعم تنحر؟ (8)

(1) الوغى: الحرب، لما فيها من الصوت والجلبة.
(2) الميكادو: لقب لملك اليابان.
(3) الحوّل: الشديد الاحتيال، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى. والقلب: البصير بتقلب الأمور.
(4) تدأب: تجد في طلبها. (5) الشأو: الغاية.
(6) هي تلك الحرب التي نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسي في ميناء بورت أرثر في ليلة 9 فبراير سنة 1904م، وانتهت في سبتمبر سنة 1905م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان في كوريا، وبجلاء الروس عن منشوريا، وبشروط أخرى في صالح اليابانيين.
(7) الكوثر: النهر، وسمي به نهر في الجنة. شبه (في الشطر الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر؛ وشبه في الشطر الثاني استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكوثر.
(8) النعم: الإبل والشاه والبقر. يريد أن الأرواح قد رخصت في هذه الحرب وكثر القتل في الجنود حتى لم نتبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تنحر.

لله ما أقسى قلوب الألى قاموا بأمر الملك واستأثروا:
وغرهم في الدهر سلطانهم فأمنعوا في الأرض واستعمروا (1)
قد أقسم البيض بصلبانهم لا يهجرون الموت أو ينصروا (2)
وأقسم الصفر بأوثانهم لا يغمدون السيف أو ينصروا (3)
فمادت الأرض بأوتادها حين التقى الأبيض والأصفر (4)
وأثملتها خمرة من دم يلهو بها (الميكاد) والقيصر
وأشبهت يوم الوغى أختها إذ لاح فيها الشفق الأحمر (5)
وأصبحت تشتاق طوفانها لعلها من رجسها تطهر (6)
أشبعت يا حرب ذئاب الفلا وغصت العقبان والأنسر (7)
وميرت الحيتان في بحرها ومطمع الإنسان لا يقدر (8)
إن كان هذا الدب لا ينثني وذلك التنين لا يقهر (9)

(1) أمعن: بالغ وأبعد.
(2) يريد «بالبيض»: الروس.
(3) يريد «بالصفر»: اليابانيين.
(4) مادت: تحركت واضطربت. وأوتاد الأرض: جبالها.
(5) الضمير في «أشبهت» للأرض. ويريد «بأختها»: السماء.
(6) الرجس: النجس. ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعري:
والأرض للطوفان مشتاقة لعلها من درن تغسل
(7) غصت: امتلأت وتخمت. والعقبان: جمع عقاب، وهو طائر من الجوارح. والأنسر: جمع نسر نسر. يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى.
(8) ميرت، أتي لها بالميرة، أي بالطعام من جثث القتلى. ولا يقدر، أي لا يحد ولا ينتهي.
(9) التنين: الحية العظيمة. ويشير (بالدب) إلى روسيا، و(بالتنين) إلى اليابان.

والبيض لا ترضى بخذلانها والصفر بعد اليوم لا تكسر
فما تلك الحرب قد شمرت عن ساقها حتى قضى العسكر (**1**)
سالت نفوس القوم فوق الظبا فسالت البطحاء والأنهر (**2**)
وأصبحت (مكدن) يا قوتة يغار منها الدر والجوهر (**3**)
ياقوتة قد قومت بينهم بأنفس كالقطر لا تحصر (**4**)
أضحى رسول الموت ما بينها حيران لا يدري بما يؤمر
عزريل، هل أبصرت فيما مضى – وأنت ذاك الكيس الأمهر –
كذلك المدفع في بطشه إذا تعالى صوته المنكر؟ (**5**)
تراه إن أوفى على مهجة لا الدرع يثنيه ولا المغفر (**6**)
أمسى (كروبتكين) في غمرة وبات (أوياما) له ينظر (**7**)

(**1**) قضى: هلك. ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعة والقوة، وصممت كلتاهما على ألا تخذل، ففيم الحرب وإراقة الدماء، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم.

(**2**) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف أو السنان. والبطحاء: مسيل الماء فيه دقاق الحصى، ويريد به هنا: الفضاء المتسع.

(**3**) مكدن: مدينة مشهورة في منشوريا، وكانت الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم **6** مارس سنة **1905**م. واستمرت خمسة أيام، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل، بين قتيل وجريح، وأسر فيها من الروس أربعون ألفا. يقول: إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تزري بالدر والجوهر.

(**4**) يريد «بالأنفس» في هذا البيت: من قتل في هذه المدينة من الفريقين.

(**5**) كذلك، متعلق «بأبصرت».

(**6**) أوفى: أشرف. والمغفر: زرد يلبس تحت القلنسوة.

(**7**) كرو باتكين: قائد الروس في تلك الحرب. وأوياما: قائد اليابان. والغمرة: الشدّة التي تغمر الناس، أي تعمهم وتشملهم.

وظلت (الروس) على جمرة والمجد يدعوهم ألا فاصبروا
وذلك الأسطول ما خطبه حتى عراه الفزع الأكبر؟ (1)
أكلما لاح له سابح تحت الدجى أو قارب يمخر (2)
ظن به (طوجو) فأهدى له تحية (طوجو) بها أخبر؟ (3)
تحية من واجد شيق أنفاسه من حرها تزفر (4)
فهل درى القيصر في قصره ما تعلن الحرب وما تضمر؟ (5)
فكم قتيل بات فوق الثرى ينتابه الأظفور والمنسر (6)
وكم جريح باسط كفه يدعو أخاه وهو لا يبصر
وكم غريق راح في لجة يهوى بها الطود فلا يظهر (7)
وكم أسير بات في أسره ونفسه من حسرة تقطر
إن لم تروا في الصلح خيرا لكم فالدهر من أطماعكم أقصر

(1) يريد «بالأسطول»: أسطول روسيا.

(2) يمخر: يشق عباب الماء.

(3) طوجو: أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوّة، وهو الذي نسف أسطول بحر البلطيق الروسي في موقعة تسوشيما في 27 مايو سنة 1905م، وقضى بذلك على كل أمل للروس في هذه الحرب.

(4) يريد «بالواجد الشيق»: المدفع. ويريد «بالتحية»: ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته؛ ولا يخفى ما في هذا من التهكم.

(5) يقول: هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن في قصره بويلات الحرب، ما ظهر منها وما بطن، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها.

(6) الأظفورك الظفر. والمنسر (كمجلس ومنبر): منقار الطائر. يقول: إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة.

(7) اللجة: معظم البحر. والطود: الجبل العظيم. يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر.

تسوءنا الحرب وإن أصبحت تدعو رجال الشرق أن يفخروا
أتى على الشرق حين إذا ما ذكر الأحياء لا يذكر
ومر بالشرق زمان وما يمر بالبال ولا يخطر
حتى أعاد (الصفر) أيامه فانتصف الأسود والأسمر
فرحمة الله على أمة يروي لها التاريخ ما يؤثر (1)

إلى الأمبروطورة أوجيني (2)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الإمبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل في فندق سافواى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة 1869 في افتتاح قناة السويس، واستقبل الخديوي إسماعيل إياها استقبالا فخما.

[**نشرت في 26 يناير سنة 1905م**]

أين يوم (القنال) يا ربة التا ج ويا شمس ذلك المهرجان؟ (3)
أين مجرى القنال أين مميت الـ ـمال أين العزيز ذو السلطان؟ (4)

(1) يريد «بالأمة» هنا: مصر، يتحسر عليها ويندب ما ضيها.

(2) ولدت أوجيني في غرناطة في 5 مايو سنة 1826م. وفي 3 يناير سنة 1853م تزوجها نابليون الثالث؛ وكانت فيمن حضر إلى مصر لافتتاح قناة السويس سنة 1869؛ وقد أنفق الخديوي إسماعيل باشا في استقبالها الكثير من المال؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا إلى إنجلترا، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد، وبها ماتت في 11 يوليو سنة 1920م.

(3) المهرجان: عيد للفرس، ويطلق الآن على كل عيد.

(4) مجرى القنال، يريد إسماعيل باشا الخديوي. وإماتة المال: كناية عن الإسراف والاتساع في البذل.

أين هارون مصر؟ أين أبو الاشـ ـبال رب القصور رب القيان؟ (1)
أين ليث الجزيرة (ابن علي) واهب الألف مكرم الضيفان؟ (2)
أين ذا القصر بالجزيرة تجري فيه أرزاقنا وتحبو الأماني؟
فيه للنحس كوكب مسرع السيـ ـر وللسعد كوكب متواني (3)
قد جرى النيل تحته بخشوع وانكسار وهابه الفتيان (4)
كنت بالأمس جنة الحور يا قصـ ـر فأصبحت جنة الحيوان
خطر الليث في فنائك يا قصـ ـر وقد كنت مسرحا للحسان (5)
وعوى الذئب في نواحيك يا قصـ ـر وقد كنت معقلا للسان (6)
وحباك الزوار بالمال يا قصـ ـر وقد كنت مصدر الإحسان (7)
كنت تعطي، فمالك اليوم تعطي أين بانيك؟ أين رب المكان؟
إن أطافت بك الخطوب فهذي سنة الكون من قديم الزمان

(1) هارون: هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف، وشبه به إسماعيل في ترفه وجاهه وسعة سلطانه، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء، وما عرف به من كرم وسخاء. والأشبال: أولاد إسماعيل. والقيان: الإماء المغنيات.

(2) يشير بقوله: «ليث الجزيرة»: إلى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذي صار حديقة الحيوان، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد.

(3) يريد أن صاحب هذا القصر إذا غضب فسرعان ما يزول غضبه، وإذا أقبل طال إقباله، فكأنه في غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب، وفي رضاه كوكب سعد طويل الإقامة، بطيء السير.

(4) الفتيان: الليل والنهار؛ يريد الدهر.

(5) يقول: هل علم القيصر وهو ناعم مطمئن في قصره بويلات الحرب، ما ظهر منها وما بطن، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها.

(6) معقل للسان، أي حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه.

(7) حباه: أعطاه. يشير إلى ما يدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان.

رب بان نأى، ورب بناء   أسلمته النوى إلى غير باني (1)
تلك حال الإيوان يا ربة التا   ج فما حال صاحب الإيوان؟ (2)
قد طواه الردى ولو كان حيا   لمشى في ركابك الثقلان (3)
وتولت حراسة الموكب الأسـ   ـنى نجوم السماء والنيران (4)
إن يكن غاب عن جبينك تاج   كان بالغرب أشرف التيجان
فلقد زانك المشيب بتاج   لا يدانيه في الجلال مداني
ذاك من صنعة الأنام وهذا   من صنيع المهيمن الديان
كنت بالأمس ضيفة عند ملك   فانزلي اليوم ضيفة في خان (5)
واعذرينا على القصور، كلانا   غيرته طوارئ الحدثين (6)

(1) نأى: بعد وذهب. والنوى: البعد. يقول: قد ذهب باني الدار ويخلفه عليها من لم يبتها.

(2) يريد «بالإيوان»: القصر، وهو في الأصل الصفة العظيمة؛ أعجمي معرب.

(3) الردى: الهلاك والموت. والثقلان: الإنس والجن. ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى ما كان أعده لها إسماعيل باشا حين حضرت إلى مصر سنة 1869م، في مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام.

(4) الأسنى؛ من السنا، وهو الرفعة. والنيران: الشمس والقمر.

(5) الخان: الحانوت. ويريد هنا: الفندق. يريد أنها بعد أن كانت تنزل في قصر ملك أصبحت تنزل في الفنادق حيث ينزل عامة الناس.

(6) القصور: التقصير. والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال): النوائب.

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكونتننتال) في مساء الجمعة 26 يناير سنة 1906م

أيحصى معانيك القريض المهذب على أن صدر الشعر للمدح أرحب
لقد مكن الرحمن في الأرض دولة لعثمان لا تعفو ولا تتشعب (1)
بناها فظنتها الدراري منازلا لبدر الدجى تبني وللسعد تنصب (2)
وقام رجال بالإمامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا (3)
وردوا على الإسلام عهد شبابه ومدوا له جاها يرجى ويرهب
أسود على البسفور تحمي عرينها وترعى نيام الشرق والغرب يرقب (4)
لها وثبات تحت ظل هلالها كما مر سهم أو كما انقض كوكب (5)
إذا راعها مس من الضيم خلتها كمن راعه بالمس سلك مكهرب (6)
وإن هزها ذاك الهلال لحادث رأيت قضاء الله يمشي ويركب (7)
إذا ضاعت الأحساب يوما لمعرق فعثمان خير الفاتحين لهم أب (8)

(1) عثمان، هو عثمان بن أرطغول مؤسس الدولة العثمانية، وإليه تنسب؛ ولد سنة 656هـ، وتولى السلطنة سنة 699هـ، وتوفي سنة 726هـ. وتعفو: تندثر وتمحى. وتتشعب: تتفرق.

(2) الدراري (بتشديد الياء وخففت للشعر): الكواكب المضيئة الصافية البياض، الواحد دري.

(3) طنبوا البناء: مكنوه وزادوه منعة وقوّة. وأصل التطنيب: شد الخيمة بالأطناب، وهي الحبال.

(4) العرين: مأوى الأسد.

(5) يريد «بهلالها»: رايتها المرسوم فيها الهلال، وهو شعار الدولة العثمانية.

(6) راعها: أفزعها.

(7) يشير بقوله «يمشي ويركب»: إلى مشاة الجيش وفرسانه.

(8) المعرق: الذي له عرق وأصل في الكرم.

وإن تاه بالأبناء والبأس والد	فأولى الورى بالتيه ذاك المعصب (1)
فهذا سليمان وقانون عدله	على صفحات الدهر بالتبر يكتب (2)
وذاك الذي أجرى السفين على الثرى	وسار له في البر والبحر مركب (3)
على بابه العالي هناك تألقت	سطور لأقلام الجلالة تنسب (4)
هنا – فاخفضوا الأبصار – عرش محمد	هنا الفاتح الغازي الكمي المدرب (5)
وما كان من (عبد المجيد) إذ احتمى	بأكنافه (كوشوط) والخطب غيهب (6)

(1) المعصب: المتوج.

(2) سليمان، هو سليمان القانوني، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان، وهو ابن السلطان سليم. ولد سنة **900**هـ. وتولى الملك سنة **926**هـ. ومات سنة **974**هـ. وقد لقب بالقانوني لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه.

(3) يشير بهذا البيت إلى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها إلى القرن الذهبي.

(4) تألقت: أضاءت ولمعت.

(5) الكمي: الشجاع. ومحمد، وهو محمد الملقب بالفاتح، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان. ولد سنة **833**هـ. وتولى الملك سنة **855**هـ. وهو في الحاية والعشرين من عمره، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينة. وفي سنة **857**هـ – **1453**م تم له فتحها؛ وتوفى فجأة سنة **886**هـ ومدّه ملكه إحدى وثلاثون سنة.

(6) الغيهب: الشديد السواد. وعبد المجيد، هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين آل عثمان، ولد سنة **1237**هـ، وتولى السلطنة سنة **1255**هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود، وتوفي سنة **1277**هـ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما. ويشير الشاعر بهذا البيت الذي بعده إلى ما حدث سنة **1841**م، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدي النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة في بولونيا والمجر، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون، منهم (كوشوط) المجري المذكور في هذا البيت؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن التسليم لا تقره شريعة ولا خلق، وعضده في ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزي والفرنسي في مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب.

يناديهم: أما نزيلي فدونه حياتي، وأما صارمي فمشطب (1)
فإن كانت الحسنى فإني سماؤها وإن كانت الأخرى فشدوا وجربوا
كذلك كانوا يستقرون في الذرا وأعداؤهم في الغرب تشقى وتنكب (2)
فكم طلبوا منهم أمانا فأمنوا وأمسى لهم في الشرق مسرى ومسرب (3)
فكان أمان القوم والشرق مشرق فأضحى امتياز القوم والشرق مغرب (4)
يقولون: في هذي الربوع تعصب وأي مكان ليس فيه تعصب؟
فيا شرق إن الغرب إن لان أو قسا ففيه من الصهباء طبع مذوب (5)
فخف بأسها في الرأس والرأس يصطلي وخف ضعفها في الكأس والكأس تطرب
ويا غرب إن الدهر يطفو بأهله ويطويه تيار القضاء فيرسب (6)
أراك مقر الطامعين كأنما على كل عرش من عروشك (أشعب) (7)

(1) الصارم: السيف القاطع. والمشطب: الذي فيه شطب، وهي الخطوط والطرائق التي في نصله.

(2) الذرا: جمع ذروة (بالكسر والضم)، وهي المكان المرتفع.

(3) الضمير في «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» في البيت السابق. ومنهم، أي من آل عثمان. والمسرب: المذهب والطريق.

(4) يريد «بالقوم»: الإفرنج. ويشير بهذا البيت الذي قبله إلى ما نالوه بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشرق، أيام قوة الدولة العثمانية، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها.

(5) الصهباء: الخمر.

(6) يطفو: يعلو. ويرسب: يهبط ويسفل.

(7) أشعب: رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه؛ ويضرب به المثل في الطمع، فيقال: «أطمع من أشعب».

حادثة دنشواي (1)

[نشرت في 2 يوليه سنة 1906م]

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا (2)
خفضوا جيشكم وناموا هنيئا وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا (3)
وإذا أعوزتكم ذات طوق بين تلك الربا فصيدوا العبادا (4)
إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجياد (5)
لا تظنوا بنا العقوق ولكن أرشدونا إذا ضالنا الرشادا
لا تقيدوا من أمة بقتيل صادت الشمس نفسه حين صادا (6)
جاء جهالنا بأمر وجئتم ضعف ضعفيه قسوة واشتدادا

(1) في يوم الأربعاء 13 يونيه سنة 1906م، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا، لصيد الحمام، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم، وكان المدعي العمومي فيها إبراهيم اهلباوي بك المحامي المعروف؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين، وجلد وحبس ثمانية منهم. ونفذ الإعدام الجلد في نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله، وكان في ذلك الحكم وفي تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش في النفوس من أسى وحسرة.

(2) الخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز.

(3) جاب البلاد: قطعها.

(4) ذات الطوق: الحمامة المطوقة، لأن لها طوقا حول عنقها، وهو لون يخالف سائر لونها.

(5) يريد «بالأطواق» في هذا البيت: أغلال الأسر والاستعباد. والأجياد: الأعناق؛ الواحد جيد.

(6) يقال: أقاد الأمير القاتل بالقتيل، إذا قتله به. ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزي كانت بضربة الشمس، لا بإصابة أحد.

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو   أقصاصا أردتم أم كيادا؟

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو   أنفوسا أصبتم أم جمادا؟

ليت شعري أتلك (محكمة التفـ   ـتيش) عادت أم عهد (نيرون) عادا (1)

كيف يحلو من القوي التشفي   من ضعيف ألقى إليه القيادا؟

إنها مثلة تشف عن الغيـ   ـظ ولسنا لغيظكم أندادا (2)

أكرمونا بأرضنا حيث نمت   إنما يكرم الجواد الجوادا

عن عشرين حجة بعد خمس   علمتنا السكون مهما تمادى (3)

أمة النيل أكبرت أن تعادي   من رماها وأشفقت أن تعادى (4)

ليس فيها إلا كلام وإلا   حسرة بعد حسرة تتهادى

أيها المدعي العمومي مهلا   بعض هذا فقد بلغت المرادا (5)

قد ضمنا لك القضاء بمصر   وضمنا لنجلك الإسعادا (6)

(1) تعرف محاكم التفتيش باقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم، وقد استغلت تلك المحاكم في اضطهاد العرب في إسبانيا في آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها في سنة 1609م. ونيرون، هو الملك الروماني المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب إليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر إلى رواية تمثل في ملهى من الملاهي.

(2) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكشر النون).

(3) الحجة: السنة.

(4) أشفقت: خشيت.

(5) المدعي العمومي: إبراهيم الهلباوي بك.

(6) يشير إلى ما كان يقال من أن الهلباوي بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز في هذه الحادثة.

فإذا ما جلست للحكم فاذكر عهد (مصر) فقد شفيت الفؤادا
لا جرى النيل في نواحيك يا (مصـ ـر) ولا جاد الحيا حيث جادا (1)
أنت أنبت ذلك النبت يا (مصـ ـر) فأضحى عليك شوكا قتادا (2)
أنت أنبت ناعقا قام بالأمـ ـس فأدمى القلوب والأكبادا (3)
ايه يا مدره القضاء ويا من ساد في غفلة الزمان وشادا (4)
أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي (5)

[نشرت في 17 أكتوبر سنة 1906م]

(قصر الدوبارة) هل أتاك حديثنا فالشرق ريع له وضج المغرب (6)
أهلا بساكنك الكريم مرحبا بعد التحية إنني أتعتب (7)
نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة باتت لها أحشاؤنا تتلهب

(1) الحيا: المطر.

(2) القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر. خاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرت بهم، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها.

(3) يريد «بالناعق»: المدعي العمومي في هذه القضية. والنعيق (بالعين المهملة، وفي كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح): صياح الغراب.

(4) المدرة: خطيب القوم والمتكلم عنهم.

(5) انظر الكلام على الحادثة التي وقعت في هذه البلد (في الحاشية رقم 1 من صفحة عشرين من هذا الجزء).

(6) ربع (بالبناء للمجهول): من الروع، وهو الفزع. يخاطب في هذا البيت القصر مريدا صاحبه.

(7) التعتب، هو تواصف الموجودة، ومخاطبة المدلين إخلاؤهم طالبين حسن مراجعتهم، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض.

ماذا أقول وأنت أصدق ناقل عنا ولكن السياسة تكذب (1)
علمتنا معنى الحياة فما لنا لا تشرئب لها وما لك تغضب (2)
أنقمت من أن نحس؟ وإنما هذا الذي تدعو إليه وتندب (3)
أنت الذي يعزي إليه صلاحنا فيما تقرره لديك وتكتب (4)
إن ضاق صدر النيل عما هاله يوم الحمام فإن صدرك أرحب (5)
أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب (6)
رفقا عميد الدولتين بأمة ضاق الرجاء بهاوضاق المذهب (7)
رفقا عميد الدولتين بأمة ليست بغير ولائها تتعذب
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا (8)
ولربما ضن الفقير بقوته وسخا بمهجته على من يغضب (9)

(1) يشير بهذا البيت الذي قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يرعون جميلا.

(2) تشرئب لها: تتطلع إليها. والآشرئباب (في الأصل): مد العنق للنظر.

(3) ندبه إلى الأمر: دعاه إليه.

(4) يعزى: ينسب. يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر في تقريراته من أنه هو الذي جلب الخير والرفاهية لمصر.

(5) يوم الحمام، أي يوم صيد الحمام الذي سبب حادثة دنشواي المعروفة.

(6) الأنة: من الأنين، وهو التأوه. ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين في مصر من العصب الديني، وأن ذلك التعصب كان السبب في قتل الإنجليزي في دنشواي.

(7) عميد الدولتين، أي عميد الدولة الإنجليزية والمصرية.

(8) أرهقوا صيادكم: اعتدوا عليه وآذوه. ويريد «بالصياد»: أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام في دنشواي ولقى حتفه هنالك.

(9) ضن: بخل. وسخا بمهجته... إلخ، أي بذل نفسه في دفع ما يغصبه طعامه. ويشير بهذا إلى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك.

في (دنشواى) وأنت عنا غائب ... لعب القضاء بنا وعز المهرب

حسبوا النفوس من الحمام بديلة ... فتسابقوا في صيدهن وصوبوا (1)

نكبوا وأقفرت المنازل بعدهم ... لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا

خليتهم والقاسطون بمرصد ... وسياطهم وحبالهم تتأهب (2)

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا ... بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا (3)

شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا ... بلظى سياط الجالدين ورحبوا (4)

يتحاسدون على الممات، وكأسه ... بين الشفاه وطعمه لا يعذب

موتان: هذا عاجل متنمر ... يرنو، وهذا آجل يترقب (5)

والمستشار مكاثر برجاله ... ومعاجز ومناجز ومحزب (6)

يختال في أنحائها متبسما ... والدمع حول ركابه يتصبب

(1) يقال: صوب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده.

(2) القاسطون: الظالمون الجائرون عن الحق، قال الله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا). والمرصد: المرقب.

(3) منيتهم، أي خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب.

(4) أهلوا ورحبوا، أي قالوا: أهلا ومرحبا. ومعنى البيتين: أن كلا ممن جلد وشنق رأى في عذابه عن الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه. واللظى: النار؛ وقيل: لهيبها.

(5) المتنمر: الغاضب، تشبيها له بالنمر، لأن من عادته ألا يلقاك إلا متنكرا غضبان. ويرنو: ينظر.

(6) يريد «بالمستشار» هنا: المستر بوند الإنجليزي، وهو من قضاة المحكمة التي حكمت على متهمي دنشواى. والعاجز: من عاجزت الرجل، إذا أتيت بما يحمله عاجزا. والمناجز: المقاتل المبارز. ومحزب، أي مفرق أعوانه، فبعضهم يتولى أمر الجلد، والبعض يتولى أمر الشنق.. إلخ.

طاحوا بأربعة فأردوا خامسا ... هو خير ما يرجو العميد ويطلب (1)
حب يحاول غرسه في أنفس ... يجنى بمغرسها الثناء الطيب
كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا ... للمستشار فإن عدلك أخصب
وأفض على (بند) إذا ولى القضا ... رفقا يهش له القضاء ويطرب
قد كان حولك من رجالك نخبة ... ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا
أقصيتهم عنا وجئت بفتية ... طاش الشباب بهم وطار المنصب (2)
فاجعل شعارك رحمة ومودة ... إن القلوب مع المودة تكسب
وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم ... هي أمة تلهو وشعب يلعب
واستبق غفلتها ونم عنها تنم ... فالناس أمثال الحوادث قلب (3)

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة 1907م]

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت ... حواشيه حتى بات ظلما منظما (4)

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى ... وأن أصبح المصري حرا منعما (5)

(1) طاحوا بأربعة، أي ذهبوا بنفوسهم. وأردوا: أهلكوا. ويريد «بالخامس». الحب المذكور في البيت الآتي.

(2) أقصيتهم: أبعدتهم. وطار المنصب، أي خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم.

(3) قلب، أي متقلبون لا يثبتون على حال واحدة. الذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب: صفة للمفرد أي المتقلب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ، ومن قول الشاعر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

(4) الحواشي: النواحي. وتهذيبها: إصلاحها.

(5) تمن: يخاطب عميد الدولة الإنجليزية. ويشير إلى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز.

أعد عهد (إسماعيل) جلدا وسخرة ... فإني رأيت المن أنكى وآلما (1)

عملتم على عز الجماد وذلنا ... فأغليتم طينا وأرخصتم دما
إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها ... فلا أطلعت نبتا ولا جادها السما (2)
نهش الديار حتى إذا مشى ... به ربه للسوق ألفاه درهما (3)
فلا تحسبوا في وفرة المال – لم تفد ... متاعا ولم تعصم من الفقر – مغنما
فإن كثير المال – والخفض وارف– ... قليل إذا حل الغلاء وخيما (4)

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس في سياسته

[نشرت في 27 إبريل سنة 1907م]

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى ... فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا (5)
لقد حان توديع العميد وإنه ... حقيق بتشييع المحبين والعدا (6)

(1) يشير بهذا البيت إلى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من الظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم.

(2) جادها السما، أي نزل عليها المطر.

(3) هش إليه: ارتاح وبش. ويشير بهذا إلى غلاء الحاجات وارتفاع اثمانها، حتى أن الدينار ينزل إلى قدر الدرهم في الشراء.

(4) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار لا تغني شيئا.

(5) فتى الشعر، يريد نفسه.

(6) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقي بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر إليها في سبتمبر سنة **1883**م. وتركها في سنة **1907**م. وحقيق: جدير.

فودع لنا الطود الذي كان شامخا   وشيع لنا البحر الذي كان مزبدا (1)
وزوده عنا بالكرامة كلها   وإن لم يكن بالباقيات مزودا
فلم لا نرى الأهرام يا نيل ميدا   وفرعون عن واديك مرتحل غدا؟ (2)
كأنك لم تجزع عليه ولم تكن   ترى في حمى فرعون أمنا ولا جدا (3)
سلام ولو أنا نسيء إلى الألى   أساءوا إلينا ما مددنا لهم يدا
سنطري أياديك التي قد أفضتها   علينا فلسنا أمة تجحد اليدا (4)
أمنا فلم يسلك بنا الخوف مسلكا   ونمنا فلم يطرق لنا الذعر مرقدا
وكنت رحيم القلب ترحم ضعيفنا   وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
ولولا أسى في (دنشوای) ولوعة   وفاجعة أدمت قلوبا وأكبدا (5)
ورميك شعبا بالتعصب غافلا   وتصويرك الشرقي غرا مجردا (6)

(1) الطود: الجبل العظيم. والشامخ: المرتفع. والمزبد: الذي يقذف بالزبد (بالتحريك)، وهو ما يعلو الماء من الرغوة، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه. شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم في رسوخه في السياسة وعلو شأنه، كما شبهه بالبحر المزبد في ثورته وغضبه.

(2) ميدا: مائلة مضطربة، الواحد مائد. وشبه كرومر بفرعون، لما كان يعرف به من الجبروت.

(3) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال): العطاءز

(4) نطري: نمدح. والأيادي: النعم. وأفضتها: أجريتها. ويشير في هذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى مآثر اللورد في مصر، من نشر الأمن في ربوع البلاد، والأخذ بناصر الضعفاء، وإنصافهم ممن ظلم الأقوياء.

(5) الأسى: الحزن. وانظر التعريف بحادثة دنشواي (في الحاشية رقم 1 من صفحة 20 من هذا الجزء).

(6) رميك، أي اتهامك. والغر: الذي لا تجربة له بالأمور لقصر نظره. ومجردا، أي غير مزوده بأسباب النهوض والجد.

لذبنا أسى يوم الوداع لأننا نرى فيك ذاك المصلح المتوددا
تشعبت الآراء فيك فقائل أفاد الغنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له في المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا (1)
رأى العز كل العز في بسطة الغنى فحارب جيش الفقر حتى تبددا (2)
وأمتعكم بالنيل فهو مبارك على أهله، خصبا وريا وموردا (3)
وسن لكم حرية القول عند ما رأى القول في أسر السكوت مقيدا (4)
وآخر لم يقصر على المال همه يرى أن ذاك المال لا يكفل الهدى (5)
فلا يحمد الإثراء حتى يزينه بعلم، وخير العلم ما كان مرشدا (6)
يناديك قد أزريت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يا (لرد) معهدا (7)
وأنك أخصبت البلاد تعمدا وأجدبت في مصر العقول تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى (8)

(1) ترخص: لان وسهل.
(2) بسطة الغنى: سعته.
(3) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالري وتحسين النظم في صرف مياه النيل التي أجري في عهد اللورد كرومر.
(4) سن: شرع. يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة في عهد اللورد.
(5) وآخر: معطوف على قوله السابق: «فقائل». ويقصر، أي يحبس. وهمه، أي همته وعزمة.
(6) الإثراء: كثرة الأموال.
(7) أزرى به: تهاون بهو وضع من شأنه.
(8) يري «بأم اللغات»: اللغة العربية. ويشير إلى ما كان في عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم في المدارس باللغة الإنجليزية. والردى: الهلاك.

ووافيت والقطران في ظل راية فما زلت (بالسودان) حتى تمردا (1)

فطاح كما طاحت (مصوع) بعده وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى (2)

حجبت ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا) (3)

وأودعت تقرير الوداع مغامزا رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا (4)

غمزت بها دين النبي وإننا لتغضب إن أغضبت في القبر (أحمدا)

يناديك أين النابغون بعهدكم وأي بناء شامخ قد تجددا (5)

فما عهد (إسماعيل) والعيش ضيق بأجدب من عهد لكم سال عسجدا (6)

يناديك وليت الوزارة هيئة من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى (7)

فليس بها عند التشاور من فتى أبي إذا ما أصدر الأمر أوردا

(1) وافيت، أي حضرت غلى مصر. والقطران: مصر والسودان. ويريد «بالراية»: الراية المصرية. وتمرد: عصى وخرج عن الطاعة. يشير بهذا البيت إلى رأي السياسة البريطانية الذي أشارت به على مصر من إخلاء السودان في سنة 1884م عندما ثار المهدي، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته، وتألبت معظم القبائل على الحكومة؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصري والإنجليزي في سنة 1897م.

(2) طاح، أي ذهب وضاع. ومصوّع ثغر معروف على البحر الأحمر، وقد كان في يد مصر،ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة انجلترا.

(3) ظلماته، أي ظلمات السودان؛ ويريد ظلمات الجهل التي فيه. ويشير الشاعر إلى ما حدث في عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية، ومنها صحيفة المؤيد، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز.

(4) المغامز: المطاعن. ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر في تقريره عن مصر، حين تركها، من طعن على المصريين.

(5) يناديك، أي هذا الآخر الذي سبق ذكره في قوله: «وآخر لم يقصر... إلخ».

(6) العسجد: الذهب الخالص.

(7) الصدى: ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه؛ ولذلك يقال له: رجع الصدى.

بربك ماذا صدنا ولوى بنا عن القصد إن كان السبيل ممهدا (1)
أشرت برأي في كتابك لم يكن سديدا ولكن كان سهما مسددا (2)
وحاولت إعطاء الغريب مكانة تجر علينا الويل والذل سرمدا (3)
فياويل مصر يوم تشقى بندوة يبيت بها ذاك الغريب مسودا (4)
ألم يكفنا أنا سبلنا ضياعنا على حين لم نبلغ من الفطنة المدى (5)
وزاحمنا في العيش كل ممارس خبير وكنا جاهلين ورقدا (6)
وما الشركات السود في كل بلدة سوى شرك يلقي به من تصيدا
فهذا حديث الناس والناس ألسن إذا قال هذا، صاح ذاك مفندا (7)
ولوكنت من أهل السياسة بينهم لسجلت لي رأيا وبلغت مقصدا
ولكنني في معرض القول شاعر أضاف إلى التاريخ قولا مخلدا
فيأيها الشيخ الجليل تحية ويأيها القصر المنيف تجلدا (8)
لئن غاب هذا الليث عنك لعلة لقد لبثت آثاره فيك شهدا

(1) لوى به عن القصد، أي صرفه عنه. يقول: إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة في مصر ووليت أمورها أكفاءها، فما لنا ننحرف عن القصد ونسير في غير النهجز

(2) المسدّد: المصوب نحو الهدف.

(3) السرمد: الدائم.

(4) الندوة: المكان يجتمع فيه القوم للتشاور. ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب.

(5) المدى: الغاية. ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة.

(6) مارس الأمر: عالجه وزاوله. يشير في هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن.

(7) مفندا: مكذبا مجهلا.

(8) يريد قصر الدوبارة الذي كان يسكنه العميد.

استقبال السير غورست (1)

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت في 10 أكتوبر سنة 1907م]

بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد (2)
أطلي واسفري ودعيه يحي بما توحين أيام الرشيد (3)
إذا ما جل قدرك عن هبوط مريه إلى سمائك بالصعود
وأولى ذلك الفاني بيانا يتيه به على أهل الخلود
وحلي عقدة من أصغريه يلن لهتافه قاسي الحديد (4)
فما أنا واقف برسوم دار أسائلها ولا كيف برود (5)
ولا مستنزل هبة بمدح ولا مستنجز حر الوعود
ولكني وقفت أنوح نوحا على قومي وأهتف بالنشيد
وأدفع عنهم بشبا يراع يصول بكل قافية شرود (6)

(1) ولد غورست سنة 1861م، وتوفي في يوليه سنة 1911م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة 1898م إلى سنة 1904م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(2) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه.

(3) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان في زمانه الشعراء المجيديد. (4) الأصغران: القلب واللسان.

(5) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشيء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة.

(6) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أي سائرة ذائعة.

بنات الشعر إن هي أسعدتني شكوت من العميد إلى العميد (1)
ولم أجحد عوارفه ولكن رأيت المن داعية الجحود (2)
أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا بعهد المصلحين إلى الورود (3)
ومنوا بالوجود فقد جهلنا بفضل وجودكم معنى الوجود
إذا اعلولي الصياح فلا تلمنا فإن الناس في جهد جهيد (4)
على قدر الأذى والظلم يعلو صياح المشفقين من المزيد (5)
جراح في النفوس نغرن نغرا وكن قد اندملن على صديد (6)
إذا ما هاجهن أسى جديد هتكن سرائر القلب الجليد (7)
إلى من نشتكى عنت الليالي إلى (العباس) أم (عبد الحميد)؟ (8)
ودون حماهما قامت رجال تروعنا بأصناف الوعيد (9)

(1) أسعدتني: أعانتني. وفي كتب اللغة: أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف.

(2) العوارف: النعم؛ الواحدة عارفة. وفي البيت تعريض بما كان يمن به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم.

(3) الخطاب في «أذيقونا» للمحتلين. وفي قوله: «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر.

(4) اعلولى: علا.

(5) المشفقون: الخائفون.

(6) نغر الجرح: سال دمه. واندمل: التأم.

(7) السرائر: جمع سريرة، وهي ما يسره الإنسان من أمره. والجليد: الصبور.

(8) العنت: الأذى والمشقة.

(9) روّعه: أخافه وأفزعه.

فما جئنا نطاولكم بجاه | يطولكم ولا ركن شديد (1)
ولا بتنا نعاجزكم بعلم | يبين به الغوي من الرشيد (2)
ولكنا نطالبكم بحق | أضر بأهله نقض العهود (3)
رمانا صحب التقرير ظلما | بكفران العوارف والكنود (4)
وأقسم لا يجيب لنا نداء | ولو جئنا بقرآن مجيد
وبشر أهل مصر باحتلال | يدوم عليهم أبد الأبيد (5)
وأنبت في النفوس لكم جفاء | تعهده بمنهل الصدود (6)
فأثمر وحشة بلغت مداها | وزكاها بأربعة شهود (7)
قتيل الشمس أورثنا حياة | وأيقظ هاجع القوم الرقود (8)
فليت (كرومر) قد دام فينا | يطوق بالسلاسل كل جيد

(1) طاوله بجاهه: فاخره به. وطاله يطوله: علاه وارتفع عليه. ويريد «بالركن الشديد»: العزة والمنعة. والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز.

(2) نعاجزكم: نأتي بما يعجزكم.

(3) يريد «بالعهود»: وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر.

(4) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد اتهم المصريين في أحد تقريراته التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم. والكنود: الكفر بالنعة.

(5) أبد الأبيد، أي أبد الدهر.

(6) المنهل: المطر يشتد انصبابه.

(7) يريد «بالشهود الأربعة»: من أعدموا في دنشواى، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد.

(8) قتيل الشمس: الضابط الإنجليزي الذي مات في حادث دنشواى بضربة الشمس، واتهم الأهلون بقتله. والهاجع: النائم. يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون إلى المطالبة بالحرية.

ويتحف (مصر) آنا بعد آن بمجلود ومقتول شهيد
لننزع هذه الأكفان عنا ونبعث في العوالم من جديد
رمى (دار المعارف) بالرزايا وجاء بكل جبار عنيد (1)
يدل بحوله ويتيه تيها ويعبث بالنهى عبث الوليد (2)
فبدد شملها وأدال منها وصاح بها: سبيلك أن تبيدي (3)
هبوا (دنلوب) وأدال منها وأقدركم على نزع الحقود (4)
وأعلى من (غلادستون) رأيا وأحكم من فلاسفة (الهنود) (5)
فإنا لا نطيق له جوارا وقد أودى بنا أو كاد يودي
مللنا طول صحبته وملت سوابقنا من المشي الوئيد (6)
بحمد الله ملككم كبير وأنتم أهل مرحمة وجود
خذوه فأمتعوا شعبا سوانا بهذا الفضل والعلم المفيد

(1) كل جبار عنيد: يريد مستشار المعارف إذ ذاك، وهو المستر دانلوب وأعوانه.

(2) الحول: القوة.

(3) أدال منها: أذهلها وأذهب عزها ودولتها. وتبيد: تهلك.

(4) الجنان: القلب.

(5) غلادستون، هو وليم غلادستون، ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة 1809م، وكان من ساسة الإنجليز المشهورين، وتولى وزارة المالية مرتين، ثم كان رئيسا لمجلس النوّاب، ثم رأس الوزارة الإنجليزية أربع مرات. وتوفي في 19 مايو سنة 1898م.

(6) السوابق: الخيل التي تجيء سابقة في الحلبة؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها. والوئيد من المشي: البطيء منه.

إذا استوزرت فاستوزر علينا   فتى (كالفضل) أو (كابن العميد) (1)
ولا تثقل مطاه بمستشار   يحيد به عن القصد الحميد (2)
وفي الشورى بنا داء عهيد   قد استعصى على الطب العهيد (3)
شيوخ كلما همت بأمر   زأرتم دونه زأر الأسود
لحى بيضاء يوم الرأي هانت   على حمر الملابس والخدود (4)
أترضى أن يقال – وأنت حر –   بأنك قين هاتيك القيود؟ (5)
وهل في دار ندوتكم أناس   بهذا الموت أو هذا الجمود (6)
فنح غضاضة التاميز عنا   كفانا سائغ النيل السعيد
أرى أحداثكم ملكوا علينا   (بمصر) موارد العيش الرغيد (7)

(1) الفضل، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل، أسلم على يد المأمون في سنة 190هـ. وكان وزيرا للرشيد؛ وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف. ومات مقتولا يوم الخميس ثاني شعبان سنة 202هـ. وابن العميد، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل، وزر لركن الدولة أبي على بن بويه، والد عضد الدولة المشهور في سنة 328هـ، فساس دولته ووطد أركانها، وما زال في وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفى سنة 360هـ. وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب.

(2) المطا: الظهر. يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كدنلوب).

(3) العهيد: القديم الذي أتى عليه عهد طويل. يقول إن بمجلس الشورى في مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين.

(4) يريد «باللحى البيضاء»: أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية. و«بحمر الملابس والخدود»: الانجليز. وكان مما تتميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء.

(5) القين: الحدّاد.

(6) دار ندوتكم: يريد بها مجلس العموم البريطاني. ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأي مجلس الشورى والجمعية العمومية، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيهما أو ردّه.

(7) الرغيد: الواسع الطيب.

وقد ضقنا بهم وأبيك ذرعا … وضاق بحملهم ذرع البريد
أكل موظف منكم قدير … على التشريع في ظل العميد؟
فضع حدًّا لهم وانظر إلينا … إذا أنصفتنا نظر الودود
وخبرهم وأنت بنا خبير … بأن الذل شنشنة العبيد (**1**)
وأن نفوس هذا الخلق تأبى … لغير إلهها ذل السجود
وول أمورنا الأخيار منا … نثب بهم إلى الشأو البعيد (**2**)
وأشركنا مع الأخيار منكم … إذا جلسوا لإيقام الحدود (**3**)
وأسعدنا بجامعة وشيد … لنا من مجد دولتك المشيد
وإن أنعمت بالإصلاح فابدأ … بتلك فإنها بيت القصيد (**4**)
وفرج أزمة الأموال عنا … بما أوتيت من رأي سديد
وسل عنها (اليهود) ولا تسلنا … فقد ضاقت بها حيل (اليهود)
إذا ما ناح في (أسوان) باك … سمعت أنين شاك في (رشيد)
جميع الناس في البلوى سواء … بأدنى الثغر أو أعلى الصعيد
تدارك أمة بالشرق أمست … على الأيام عاثرة الجدود (**5**)

(**1**) الشنشنة: العادة والطبيعة.

(**2**) الشأو: الغاية.

(**3**) يلاحظ أنه لم يرد في كتب اللغة «إيقام» بياء بعد الهمزة كما في هذا البيت. والذي ورد «إقام» بدون ياء مصدر أقام.

(**4**) بتلك، أي بالجامعة المصرية، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك.

(**5**) عاثرة الجدود: أي تاعسة الحظوظ.

وأيد مصر والسودان واغنم ثناء القوم من بيض وسود
وما أدري وقد زودت شعري وظني فيك بالأمل الوطيد (**1**)
أجئت نحوطنا وترد عنا وترفعنا إلى أوج السعود؟ (**2**)
أم اللرد الذي أنحى علينا أتى في ثوب معتمد جديد؟ (**3**)

تحية العام الهجري

[سنة 1327 هـ - يناير سنة 1909م]

أطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم في صورة زاد حسنها على الدهر حسنا أنها تتكرر (**4**)
وبشرهم من وجهه وجبينه وغرته والناظرين مبشر
وأذكرهم يوما أغر محجلا به توج التاريخ والسعد مسفر (**5**)
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى يحف به قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعى وراءه ملائكة ترعى خطاه وتخفر (**6**)

(**1**) الوطيد: الثابت القوي. و«بالأمل» متعلق بـ«زودت».

(**2**) حاطه يحوطه: حفظه وتعهده.

(**3**) أنحى علينا، أي أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف.

(**4**) تجلى: ظهر وتشكف.

(**5**) يقال: يوم أغر محجل، إذا كان مشهورا. وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة في الخيل، الأغر منها: ما كان في جبهته بياض. والمحجل: ما كان البياض في قوائمه. والمسفر: المضيء المشرق. ويريد بهذا اليوم: يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

(**6**) يماشيه: يمشي معه. وتخفر: تحرس.

بيسراه برهان من الله ساطع هدى، وبيمناه الكتاب المطهر
فكان على أبواب (مكة) ركبه وفي (يثرب) أنواره تتفجر (1)
مضى العام ميمون الشهور مباركا تعدد آثار له وتسطر
مضى غير مذموم فإن يذكروا له هنات فطبع الدهر يصفو ويكدر (2)
وأن قيل أودى بالألوف أجابهم مجيب: لقد أحيا الملايين فانظروا (3)
إذا قيس إحسان امرئ بإساءة فأربى عليها فالإساءة تغفر (4)
ففيه أفاق النائمون وقد أتت عليهم كأهل الكهف في النوم أعصر (5)
وفي عالم الإسلام في كل بقعة له أثر باق وذكر معطر
سلوا (الترك) عما أدركوا فيه من منى وما بدلوا في المشرقين وغيروا
وإن لم يقم إلا (نيازي) و(أنور) فقد ملأ الدنيا (نيازي) و(أنور) (6)
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجا سيوفا وجدوا جدهم وتدبروا (7)

(1) يثرب: الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء.

(2) الهنات: الهفوات اليسيرة التي تحتمل أمثالها.

(3) أودى بهم: أهلكهم.

(4) أربى: زاد.

(5) يشير بقوله «أفاق النائمون»: إلى بعض الشعوب التي هبت في العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكتت على الذل والاستعباد مدة طويلة، ومن هذه الشعوب: الشعب التركي والفارسي والمصري، كما سيشر الشاعر إلى ذلك بعد. فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف.

(6) نيازي وأنور: بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية، وقد أبليا بلاء حسنا في إعادة الدستور إلى أمتهما.

(7) تواصوا، أي الترك. والتواصي: أن يوصي القوم بعضهم بعضا. والحجا: المقل. وجدوا جدهم، أي اجتهدوا وثابروا.

فسادوا وشادوا للهلال منازلا على هامها سعد الكواكب ينثر (1)
تجلى بها (عبد الحميد) بوجهه على شعبه والشاه خزيان ينظر (2)
سلام على (عبد الحميد) وجيشه وأمته ما قام في الشرق منبر
سلوا (الفرس) عن ذكرى أياديه عندهم فقد كان فيه (الفرس) عميا فأبصروا (3)
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم فباتوا على أبوابها وتجمهروا (4)
ينادون أن مني علينا بنظرة وأحيي قلوبا أوشكت تتفطر (5)
كلانا مشوق والسبيل ممهد إلى الوصل لولا ذلك المتغشمر (6)
أطلي علينا لا تخافي فإننا بسرك أوفى منه حولا وأقدر (7)
سلام عليكم أمة (الفرس) إنكم خليقون أن تحيوا كراما وتفخروا (8)
ولا أقوى (الشاه) السلام فإنه يريق دماء المصلحين ويهدر (9)
وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه وأخنى عليه الدهر والأمر مدبر (10)

(1) الهام: الرءوس، الواحدة هامة.

(2) الشاه: ملك العجم. ووصفه بالخزي لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك.

(3) أياديه، أي أيادي العام ونعمه عليهم.

(4) استعمال «التجمهر»، كما في هذا البيت استعمال شائع في كلام عصرنا، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التي بين أيدينا والصواب: «وتجمهروا» بإسقاط الهاء وتشديد الميم، أي يجمعوا.

(5) مني، خطاب للحياة. وتتفطر: تتشقق.

(6) المتغشمر: المتنمر الظالم، يريد شاه العجم.

(7) الحول: القوة. يقول: إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين ننالها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذي يحول بيننا وبينها.

(8) خليقون: جديرون.

(9) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية في فارس من أنواع العذاب والقتل.

(10) وفيه، أي في هذا العام المنصرم (سنة 1326هـ – 1908م). وهوى: سقط. وعبد العزيز، هو سلطان مراكش. (انظر التعريف به في الحاشية رقم 3 من صفحة 6 من هذا الجزء). وأخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه.

ولا عجب أن ثل عرش مملك ... قوائمه عود ودف ومزهر (1)
فألقى إلى (عبد الحفيظ) بتاجه ... ومر على أدراجه يتعثر (2)
وقام بأمر المسلمين موفق ... على عهده (مراكش) تتحضر
وفي دولة (الأفغان) كانت شهوره ... وأيامه بالسعد واليمن تزهر (3)
أقام بها والعود ريان أخضر ... وفارقها والعود فينان مثمر (4)
وعوذها بالله من شر طامع ... إذا ما رمى (إدوارد) أو راش (قيصر) (5)
وفيه نمت في (الهند) للعلم نهضة ... أرى تحتها سرا خفيا سيظهر (6)
فتجري إلى العلياء والمجد شوطها ... ويخصب فيها كل جدب وينضر (7)
وفيه بدت في أفق (جاوة) لمعة ... أضاءت لأهليها السبيل فبكروا (8)
فيا ليته أولى (الجزائر) منة ... تفك لها تلك القيود وتكسر (9)

(1) ثل: هدم. ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز لجماعة من المغنين والمغنيات من مصر. (انظر الكلام على هذا في الحاشية رقم 3 من صفحة 6 من هذا الجزء).

(2) تولى عبد الحفيظ سلطة مراكش بعد خلع عبد العزيز سنة 1908م. وفي عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد في 21 مايو سنة 1911م. وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاي يوسف عن السلطة في سنة 1912م.

(3) تزهر: تشرق وتضيء.

(4) الفينان من النبات: الحسن الطويل. ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها.

(5) عوّذها: حصنها وحفظها. وإدوارد، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز. وراش السهم يريشه: ألصق عليه الريش، وذلك ليكون أسرع في ذهابه نحو الغرض. وقيصر: لقب ملك روسيا. وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان. والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء.

(6) نمت: زادت.

(7) ينضر، من النضرة، وهي الحسن والبهجة.

(8) لمعة، أي لمعة من شعاع الأمل. وبكر فلان إلى الأمر: أتاه في أول وقته وبادر إليه.

(9) يريد «بالقيود» في هذا البيت: قيود الاستعباد والأسر التي قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب.

وفي (تونس) الخضراء يا ليته بنى ... له أثرا في لوحة الدهر يذكر

وفيه سرت في (مصر) روح جديدة ... مباركة من غيرة تتسعر

خبت زمنا حتى توهمت أنها ... تجافت عن الإيراء لولا (كرومر) (1)

تصدى فأوراها وهيهات أن يرى ... سبيلا إلى إخمادها وهي تزفر (2)

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى ... ففي (مصر) أيقاظ على (مصر) تسهر

وقد كان «مرفين» الدهاء مخدرا ... فأصبح في أعصابنا يتخدر (3)

شعرنا بحاجات الحياة فإن ونت ... عزائمنا عن نيلها كيف نعذر؟

شعرنا وأحسسنا وباتت نفوسنا ... من العيش إلا في ذرا العز تسخر (4)

إذا الله أحيا أمة لن يردها ... إلى الموت قهار ولا متجبر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى قادة تبني وشعب يعمر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى عالم يدعو وداع يذكر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى عالم يدري وعلم يقرر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى حكمة تملي وكف تحرر

(1) خبت: سكنت وخمدت. وتجافت: تباعدت. وإيراء النار: إشعالها.

(2) تصدّى: تعرّض. وتزفر، أي يسمع صوت توقدها. يقول: إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدى لنار الوطنية في قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن.

(3) المرفين: مخدر معروف، والمراد به هنا خداع السياسة.

(4) ذرا العز (بفتح الذال): كنفه وظله.

رجال الغد المأمول إنا بحاجة إليكم فسدوا النقص فينا وشمروا (1)
رجال الغد المأمول لا تتركوا غدا يمر مرور الأمس والعيش أغبر
رجال الغد المأمول إن بلادكم تناشدكم بالله أن تتذكروا
عليكم حقوق للبلاد أجلها تعهد روض العلم فالروض مقفر
قصارى منى أوطانكم أن ترى لكم يدا تبتني مجدا ورأسا يفكر (2)
فكونوا رجالا عاملين أعزة وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا
ويا طالبي الدستور لا تسكنوا ولا تبيتوا على يأس ولا تتضجروا
أعدوا له صدر المكان فإنني أراه على أبوابكم يتخطر
فلا تنطقوا إلا صوابا فإنني أخاف عليكم أن يقال تهوروا (3)
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ولا ناله في العالمين مقصر
لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لا شك نظفر
هم لهم العام القديم مقدر ونحن لنا العام الجديد مقدر
ثقوا بالأمير القائم اليوم إنه بكم وبما ترجون أدرى وأخبر (4)
فلا زال محروس الأريكة جالسا على عرش (وادي النيل) ينهي ويأمر

(1) شمر للأمر: استعد له.

(2) قصارى منى أوطانكم، أي غاية مناها؛ يقال: قصاراك أن تفعل كذا، أي جهدك وغايتك وآخر أمرك.

(3) تهوروا: وقعوا في المكروه بقلة مبالاة، والمراد هنا التكلم في شئون السياسة بما تؤاخذهم به القوانين.

(4) الأمير، هو عباس حلمي الثاني خديوي مصر السابق.

الانقلاب العثماني

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد (1) وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت في 12 مايو سنة 1909م]

لا رعى الله عهدها من جدود   كيف أمسيت يا بن (عبد المجيد) (**2**)
مشبع الحوت من لحوم البرايا   ومجيع الجنود تحت البنود (**3**)
كنت أبكي بالأمس منك فما لي   بت أبكي عليك (عبد الحميد)؟
فرح المسلمون قبل النصارى   فيك قبل الدروز قبل اليهود

شمتوا كلهم وليس من الهمة أن يشمت الورى في طريد

أنت (عبد الحميد) والتاج معقو   د و(عبد الحميد) رهن القيود
خالد أنت رغم الليالي   في كبار الرجال أهل الخلود
لك في الدهر – والكمال محال   صفحات ما بين بيض وسود
وحاولوا طمس ما صنعت وودوا   لو يطيقون طمس خط الحديد (**4**)

(**1**) ولد السلطان عبد الحميد في **21** سبتمبر سنة **1842**م، و ولي الملك في أغسطس سنة **1876**م، وخلع في **27** أبريل سنة **1909**م، وتوفى في **10**فبراير سنة **1918**م.

(**2**) الجدود: الحظوظ؛ الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال).

(**3**) يشير بقوله «مشبع الحوت»: إلى من كان يأمر السلطان عبد بإغراقهم في مضيق البسفور. والبنود: الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو فارسي معرب. يشير بقوله «ومجيع الجنود»: إلى ما كان يقاسيه الجيش التركي من شظف العيش وضيق ذات اليد.

(**4**) يريد الخط الحديدي الحجازي بين دمشق والمدينة الذي أنشأه السلطان عبد الحميد، وبدأ العمل فيه سنة **1900**م، واحتفل بافتتاحه في سنة **1908**م.

ذاك (عبد الحميد) ذخرك عنداللهباق إن ضاع عند العبيد

أكرموه وراقبوا الله في الشيـ ـخ ولا ترهقوه بالتهديد (1)
لا تخافوا أذاه فالشيخ هاو ليس فيه بقية للصعود
ولي الأمر ثلث قرن ينادي باسمه كل مسلم في الوجود
كلما قامت الصلاة دعى الدا عي (لعبد الحميد) بالتأييد (2)
فاسم هذا الأسير قد كان مقرو نا بذكر الرسول والتوحيد
بت أخشى عليكم أن يقولوا إن أثرتم من كامنات الحقود (3)
كان (عبد الحميد) بالأمس فردا فغدا اليوم ألف (عبد الحميد) (4)
يا أسيرا في (سنت هيلين) رحب بأسير في (سالنيك) جديد (5)
قل له كيف زال ملكك لم يعـ ـصمك إعداد عدة أو عديد (6)
لم تصنك الجنود تفيدك بالأر واح والمال يا غرام الجنود
قل له كيف كنت؟ كيف امتلكت الـ ـأرض؟ كيف انفردت بالتمجيد؟

(1) أرهقه: أثقل عليه وظلمه.

(2) يريد «بالصلاة»: صلاة الجمعة. ويريد «بالداعي»: الخطيب.

(3) أثاره إثارة: هيجه. وكامنات الحقود: ما خفي منها.

(4) يقول لمن ولي الأمر من رجال تركيا: إن أثرتم دفائن الصدور، وأسأتم التصرف في الأمور، تضاعف الظلم، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد.

(5) يريد «بالأسير في سنت هيلين»: نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف، وقد أسر في جزيرة هيلانة، وظل بها أسيرا حتى مات، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا. وسالونيك: مدينة معروفة بمقدونيا، وكانت من أملاك الدولة العثمانية، وهي الآن من أملاك اليونان؛ وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه.

(6) لم يعصمك: لم يحفظك. والعدّة: السلاح. والعديد: الكثرة.

فثللت العروش عرشا فعرشا　　وصبغت الصعيد بعد الصعيد (1)
كلما نلت غاية لم تنلها　　همة الدهر قلت: هل من مزيد؟
ضاقت الأرض عن مداك فأرسلـ　　ـت بطرف إلى السماء عتيد (2)
قل له: جل من له الملك لا ملـ　　ـك لغير المهيمن المعبود
أنت مهما شقيت أرفه حالا　　من أسير الجزيرة المكمود (3)
وأسير الأقفاص قد كان أشقى　　لو سألت الأسفار عن (با يزيد) (4)
كان (عبد الحميد) في القصر أشقى　　منه في الأسر والبلاء الشديد
كان لا يعرف القرار بليل　　لا ولا يستلذ طعم الهجود (5)
حذرا يرهب الظلام ويخشى　　خطرة الريح أو بكاء الوليد
نفق تحت طابق الأرض أخفى　　في تدجيه من ضمير الكنود (6)

(**1**) ثللت العروش، أي هدمت. والصعيد: التراب. يريد أنه صبغه بدماء أعدائه.

(**2**) المدى: الغاية. والعتيد: المعد المهيأ.

(**3**) أرفه حالا: أحسنها. وأسير الجزيرة: نابليون بونابرت. والجزيرة: سانت هيلانة السابق ذكرها. والمكمود: المحزون.

(**4**) الأسفار: الكتب؛ الواحد: سفر (بكسر فسكون). وبا يزيد، هو با يزيد الأوّل ابن السلطان مراد الأوّل، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان، ولد عام **761**هـ. وجلس على كرسي الملك بعد وفاة أبيه عام **791**هـ. وتوفي في سنة **805**هـ؛ ويشير الشاعر بهذا البيت إلى وقوع با يزيد في أسر تيمورلنك ملك التتار في موقعة أنقرة سنة **805**هـ؛ وسجنه إياه في قفص حتى مات كمدا بعد سجنه بثمانية أشهر.

(**5**) الهجود: النوم.

(**6**) النفق (بالتحريك): سرب في الأرض له مخرج إلى مكان. ويشير إلى المواضع الخفية التي كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه. وتدجيه: إظلامه. والكنود: الكفور. شبه ظلام المسارب التي كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق إليه.

يعجز الوهم عن تلمس ذاك الـ ـباب باب الخليفة المنكود (1)
أصحيح ما قيل عنك وحق ما سمعنا من الرواة الشهود
أن (عبد الحميد) قد هدم الشر ع وأربى على فعال (الوليد)؟ (2)
إن بريئا وإن أثيما ستجزى يوم تجزى أمام رب شهيد
أصحيح بكيت لما أتى الوفـ ـد ونابتك رعشة الرعديد؟ (3)
ونسيت الآباء والمجد والسؤ دد والعز يا كريم الجدود؟ (4)
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علها نزوة الفؤاد الجليد (5)
علها دمعة الوداع لذاك الـ ـملك أو ذكرة لتلك العهود
غسل الدمع عنك حوبة ماضيـ ـك ووقاك شر يوم الوعيد (6)
شفع الدمع فيك عند البرايا ليس ذاك الشفيع بالمردود
دمعك اليوم مثل أمرك بالأمـ ـس مطاع في سيد ومسود (7)
كان (عبد العزيز) أجمل أمرا منك في يوم خلعه المشهود (8)

(1) يقول: إن هذا النفق خفي وضلت سبيله على طالبه، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرف الطريق إلى بابه.

(2) أربى: زاد. والوليد، هو ابن يزيد بن عبد الملك الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين.

(3) يريد الوفود المبعوث بخلعه. والرعديد: الجبان.

(4) السؤدد: السيادة والرفعة.

(5) الجلد: المتجلد الصابر.

(6) الحوبة (بفتح الحاء): الخطيئة.

(7) يقول: إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر في رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش.

(8) عبد العزيز، هو أحد سلاطين آل عثمان، وهو الثاني والثلاثون منهم، وهو ابن السلطان محمود الثاني. ولد عام 1245هـ، وتولى الخلافة في سنة 1277هـ، وخلع في سنة 1293هـ، وتوفي في السنة نفسها. وهو الذي زار مصر في عهد المغفور له إسماعيل باشا الخديوي، وسمي باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة.

خاف مأثور قوله فتعالى عن صغار ومات موت الأسود (1)
ضم مقراضه إليه ونادى دون ذل الحياة قطع الوريد (2)
حي عهد الرشاد يا شرق وابلغ ما تمنيت من زمان بعيد (3)
قد تولى (محمد الخامس) الملـ ـك فأعظم بتاجه المعقود
وتجلى في مهرجان تجلى سيف (عثمان) فيه بالتقليد (4)
وقف الدهر خاشعا إذ رأى السيـ ـفين في قبضة العزيز المجيد (5)
طأطئ للجلال يا أمم الأر ض سجودا، هذا مقام السجود (6)
علم الله أن عهد (رشاد) خير فأل برد عهد (الرشيد) (7)

(1) الصغار: الذل. يقول: إن هذا السلطان قد خاف في يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة.

(2) المقراض: المقص.

(3) يريد «بالرشاد»: السلطان محمد رشاد الخامس، قد تولى الملك في سنة **1327**هـ – سنة **1909**م – بعد خلع السلطان عبد الحميد.

(4) المهرجان: عيد للفرس، ويطلق على كل عيد. وعثمان، هو ابن أرطغول مؤسس الدولة العثمانية التي تنسب إليه. (انظر التعريف به في الحاشية رقم **1** من صفحة **17** من هذا الجزء).

(5) يريد «بالسيفين»: سيف عثمان مؤسس الدولة، وسيف الخليفة الجالس على العرش.

(6) طأطأ رأسه: خفضه.

(7) يريد «بالرشيد»: الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الأسلامية في أيامه من الرقي أقصاه.

عيد الدستور العثماني

أنشدها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة 23 يوليه سنة 1909م

أجل هذه أعلامه ومواكبه ... هنيئا لهم فليستجب الذيل ساحبه (1)
هنيئا لهم فالكون في يوم عيدهم ... مشارقه وضاءة ومغاربه (2)
رعى الله شعبا جمع العدل شمله ... وتمت على عهد الرشاد رغائبه (3)
تحالف في ظل الهلال إمامه ... وحاخامه–بعد الخلاف – وراهبه (4)
خذوا بيد الإصلاح والأمر مقبل ... فإني أرى الإصلاح قد طر شاربه (5)
وردوا على الملك الشباب الذي ذوى ... فإني رأيت الملك شابت ذوائبه (6)
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما ... حمته يد (الفاروق) فالله طالبه
إذا (شكوت الفاروق) قام مناديا ... إلى الحق لباه (نيازي) وصاحبه (7)

(1) أجل: نعم. وأعلامه، أي أعلام العيد. ولهم: للأتراك. وسحب الذيل: كناية عن التيه والفخر.

(2) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاء)، أي ذات حسن وبهجة، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد)

(3) الرغائب: جمع رغيبة، وهي ما يرغب فيه.

(4) الهلال شعار الدولة العثمانية.ويريد «بالإمام والحاخام والراهب»: اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية.

(5) طر شاربه: نبت وطلع، وذلك في أول عهد الشباب. ويريد بهذه العبارة: أن وقت الإصلاح قد حان.

(6) ذوي: ذبل. والذوائب: الضفائر؛ الواحدة ذؤابة. وشيبب الذوائب، كناية عن الضعف والانحلال.

(7) شوكت ونيازي: بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقي التركية. ويريد «بالصاحب»: أنور باشا القائد التركي المعروف. وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن في الانقلاب العثماني المعروف، وخلع السلطان عبد الحميد، وإعادة الدستور إلى الأمة التركية.

ثلاثة آساد بجانبها الردى وإن هي لاقاها الردى بجانبه (1)
يصارعها صرف المنون فتلتقي مخالبها فيه وتنبو مخالبه (2)
روت قول (بشار) فثارت وأقسمت وقامت إلى عبد الحميد تحاسبه:
(إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه) (3)
وسار على أعقابها كل سابح على متنه برج مشيد يداعبه (4)
يصيح به: لنرى أو نبلغ المنى ولا شبع أو يرجع الحق غاصبه
هنالك فانهل واتخذ ثم مربطا (بيلدز) واحمد في الوغى من تصاحبه (5)
رجال من الإيمان ملآى نفوسهم وجيش من الأرتاك ظمآى قواضبه (6)
صوالجه سمر القنا، وكراته رءوس الأعادي، والحصون ملاعبه (7)

(1) الردى: الهلاك.

(2) المنون: الموت. وتنبو: تكل وترتد.

(3) صعر خده: أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا. ويريد بقوله «نعاتبه»: نهدده بالسيوف وننذره بالقتل. وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر. والبيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة.

(4) يريد «بالسابح»: الفرس الشديد الجرى. والمتن: الظهر. ويريد «بالبرج»: الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته.

(5) انهل: أشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. ويلدز: قصر الخلافة بالقسطنطينية. والوغى: الحرب. يعد الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده.

(6) القواضب: السيوف القواطع. ومعنى قوله «ظمآى قواضبه»: أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء.

(7) الصوالج: العصى المعوجة الأطراف التي يلعبون بها الكرة؛ الواحد صوجان، فارسي معرب. والقنا: الرماح؛ الواحدة قناة. وقد شبه هذا الجيش في حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب، وقلة مبالاته بالموت فيها، فجعل الرماح صوالجه، ورءوس الأعداء كراته، والحصون مواضع اللعب.

إذا ثار دكت أجبل وتخشعت بحار وأمضى الله ما هو كاتبه (1)
وثلث عروش واستقرت ممالك ولو أن ذا القرنين فيها يناصبه (2)
فمن لم يشاهد (يلدز) بعد ربها وقد زال عنه الملك واندك جانبه (3)
وأسلمه أحبابه لقضاته وفر – ولم يخش المعرة – كاتبه (4)
وقلمت الأقدار أظفار بطشه ودل على ما تجهل الجن حاجبه (5)
فما شهد الدنيا تزول ولا رأى بلاء قضاء الله فيمن يحاربه (6)
أبيح حماها وانطوى مجد ربها وقامت على البيت (الحميدي) نوابه (7)
ولم يغن عن (عبد الحميد) دهاؤه ولا عصمت (عبد الحميد) تجاربه (8)
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه دنانيره والأمر بالأمر حازبه (9)
ولم يخفه عن أعين الحق مخدع ولا نفق في الأرض جم مساربه (10)

(1) دكت: تهدمت. وما هو كاتبه، أي ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش.

(2) ثلث: هدمت. وذو القرنين: ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات. ويناصبه: يعاديه.

(3) ربها: صاحبها، وهو عبد الحميد.

(4) يريد «بكاتبه»: عزت العابد باشا.

(5) يقال: هو مقلم الأظفار، إذا كان أعزل بغير سلاح. ويريد «بما تجهل الجن»: السراديب والأنفاق التي كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه.

(6) فما: جواب «من» في قوله السابق: «فمن لم يشاهد... إلخ».

(7) أبيح حماها، أي صارت يلدز مفتحة النواحي لكل داخل مهما قل شأنه.

(8) عصمت: حفظت.

(9) لم ترم دونه دنانيره، أي أن أمواله لم تدفع عنه أعدائه. فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمي السهام دفاعا عمن يحتمي به. وحزبه الأمر: نابه واشتد عليه وضغطه.

(10) يشير في هذا البيت غلى المخابئ والأنفاق التي كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه.

أقام عليه مهلكا عند مهلك يمر به روح الصبا فيواثبه (1)
تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله فلو مسه طيف لدارت لوالبه
وأسرف في حب الحياة فحاطها بسور من الأهوال لم ينج راكبه
ففي كل قفل للمنية مكمن وفي كل مفتاح قضاء يراقبه (2)
وفي كل ركن صورة أو تكلمت لما شك في (عبد الحميد) مخاطبه
تماثيل إيهام أنيمت وأقعدت تراءى بها أعطافه ومناكبه (3)
تمثله في نومه وجلوسه وتخدع فيه الموت حين يقاربه
أقام عليه ألفموت محجب ليغلب موتا واحدا عز غالبه
سلوه أأغنت عنه في يوم خلعه عجائبه؟ أو أحرزته غرائبه؟ (4)
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا فضاقت على شيوخ الملوك مذاهبه (5)
وأخرجه من (يلدز) رب (يلدز) وجرده من سيف (عثمان) واهبه
وأصبح في منفاه والجيش دونه يغالب ذكرى ملكه وتغالبه (6)

(1) الروح: الريح. يقول: إن عبد الحميد قد بالغ في المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان.

(2) يشير بهذا البيت إلى ما كان يروى من العجائب التي كان يتخذها السلطان عبد الحميد في الحذر عل نفسه من أعدائه، حتى إنه قد صنعت لمخابئه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله.

(3) تراءى، أي تتراءى. والأعطاف: الجوانب.

(4) أحرزته: حفظته.

(5) المقدار: القدر. وصدع بالأمر: جاهر به به مصرحا.

(6) والجيش دونه، أي واقف دونه يمنعه من الفرار.

يناديه صوت الحق: دق ما أذقتهم
فكل امرئ رهن بما هو كاسبه (1)

هم منحوك اليوم ما أنت مشته
فرد لهم بالأمس ما أنت سالبه (2)

ودع عنك ما أملت إن كنت حازما
فلم يبق للآمال فضل تجاذبه (3)

مضى عهد الاستبداد واندرك صرحه
وولت أفاعيه وماتت عقاربه (4)

لك الله يا (تموز) إنك بلسم
لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه (5)

فكم رعت جبارا وأرهقت ظالما
وأنصفت مظلوما توالت مصائبه (6)

فدنياك من شهر أغر محجل
أوائله ميمونة وعواقبه (7)

تقابله الأعياد في الأرض كلما
تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه (8)

ففي الغرب عيد ينظم الغرب حسنه
فتهتز من وقع السرور جوانبه (9)

وفي الشرق عيد لم ير الشرق مثله
تدفق في دار السلام مواكبه (10)

(1) رهن بما هو كاسبه، أي مجزى مما اقترفه هو، لا بما اقترفه غيره؛ يقال: هو رهن بكذا، أي مقصور عليه لا يتعداه.

(2) ما أنت مشته، أي الحياة. وما أنت سالبه، أي حقوق الأمة وحريتها.

(3) شبه «الآمال» بالرداء الذي له فضول، أي زيادات يجذب منها. يقول: إن مآلك في الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجذبها منه.

(4) الصرح: ما علا من البنيان. ويريد «بالأفاعي والعقارب»: جواسيس عبد الحميد ورسل الشر في عهده.

(5) تموز: شهر معروف من السنة المسيحية، ويوافق شهر يولية، وهو الذي نالت فيه الأمة التركية دستورها. والبلسم: دواء تضمد به الجراح.

(6) رعت: أفزعت. وأرهقت ظالما: حملته ما لا يطيق من العذاب.

(7) يقال: يوم أو شهر أغر محجل، إذا كان مشهورا؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة في الخيل، الأغر منها ما كان في جبهته بياض، والمحجل ما كان البياض في قوائمه.

(8) تجلى: ظهر.

(9) يريد «بالعيد الذي في الغرب»: عيد الحرية في فرنسا، وهو في شهر تموز (14 يولية).

(10) يريد «بالعيد الذي في الشرق»: عيد الدستور التركي؛ وفي نسبه إلى الشرق، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها. ودار السلام: القسطنطينية.

يطيفون بالعرش الكريم وربه تطيف بهم آلاؤه ومناقبه (1)
لتهنئ أمير المؤمنين محمدا خلافته فالعرش سعد كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينه كما ملكت شم الجبال كتائبه (2)
ممالكه محروسة وثغوره ركائبه منصورة ومراكبه

إلى البرنس حسين كامل باشا (3)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت في 10 نوفمبر سنة 1909م]

لقد نصل الدجى فمتى تنام أهم ذاد نومك أم هيام (4)
غفا المحزون والشاكي وأغفى أخو البلوى ونام المستهام (5)
وأنت تقلب الكفين آنا وآونة يقلبك السقام (6)
تحدرت المدامع منك حتى تعلم من محاجرك الغمام (7)

(1) الآلاء: النعم. والمناقب: الخصال الحميدة، الواحدة منقبة.
(2) شم الجبال: أعاليها، الواحد أشم. والكتائب: فرق الجيش؛ الواحدة كتيبة.
(3) ولد السلطان حسين كامل في يوم 19 صفر سنة 1270 هـ - 21 نوفمبر سنة 1853م. وفي يوم 19 ديسمبر سنة 1914 تولى عرش مصر. وتوفي رحمه الله في 9 أكتوبر سنة 1917م.
(4) نصل الدجى: خرج من سواده وابيض بطلوع الصباح. وذاد: منع. والهيام: العشق.
(5) غفا وأغفى: نام. والمستهام: العاشق.
(6) تقليب الكف: كناية عن الحيرة.
(7) المحاجر: جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما)، وهو ما دار حول العين. والغمام: السحاب. يقول: إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك.

وضجت من تقلبك الحشايا وأشفق من تلهفك الظلام (1)
تبيت تساجل الأفلاك سهدا وعين الكون رنقها المنام (2)
وتكتمنا حديث هواك حتى أذاع الصمت ما أخفى الكلام
بربك هل رجعت إلى رسيس من الذكرى وهل رجع الغرام؟ (3)
وقد لمع المشيب وذاك سيف على فوديك علقه الحمام (4)
أيجمل بالأديب أديب مصر بكاء الطفل أرهقه الفطام (5)
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر ومصر في يد الباغي تضام (6)
عدمت يراعتي إن كان ما بي هوى بين الضلوع له ضرام (7)
وما أنا والغرام وشاب رأسي وغال شبابي الخطب الجسام (8)
ورباني الذي ربى (لبيدا) فعلمني الذي جهل الأنام (9)

(1) الحشايا: الفرش المحشوة، الواحدة حشية (بتشديد الياء).

(2) تساجل الأفلاك سهدا، أي تشاركها في السهر وتناوبها فيه. ورنقها: خالطها.

(3) الرسيس: البقية والأثر.

(4) الفودان: ناحيتا الرأس. والحمام (بكسر الحاء): الموت. ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس»: الشيب، لأن كليهما قاتل.

(5) أرهقه: آذاه وآلمه.

(6) الباغي: الظالم.

(7) اليراعة: القلم. ويريد بلاغته وأدبه، لأنهما يكتبان به. وضرام النار: اشتعالها.

(8) غاله: أفناه وأهلكه. والجسام والجسيم: العظيم.

(9) يريد لبيد ين ربيعة العامري الشاعر المعروف، صاحب المعلقة المشهورة، التي أوّلها: عفت الديار محلها فرسومها. وكان من المعمرين، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم. ويريد «بالذي ربى لبيدا»: الزمان وتطاوله. وخصه بالذكر لأنه من المعمرين، ممن جربوا الحياة حتى سئموها، قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لعمرك ما أرقت لغير مصر ومالي دونها أمل يرام (1)
ذكرت جلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها وباتت مصر فيه، فهل ألام؟
أرى شعبا بمدرجة العوادي تمخمخ عظمه داء عقام (2)
إذا ما مر بالبأساء عام أطل عليه بالبأساء عام
سرى داء التواكل فيه حتى تخطف رزقه ذاك الزحام (3)
قد استعصى على الحكماء منا كما استعصى على الطب الجذام (4)
هلاك الفرد منشؤه توان وموت الشعب منشؤه انقسام
وإنا قد ونينا وانقسمنا فلا سعي هناك ولا وئام
فساء مقامنا في أرض (مصر) وكاب لغيرنا فيها المقام
فلا عجب إذا ملكت علينا مذاهبنا وأكثرنا نيام (5)
(حسين حسين) أنت لها فنبه رجالا عن طلاب الحق ناموا
وكن بأبيك لابن أخيك عونا فأنت بكفه نعم الحسام (6)

(1) أرق أرقا (وزان فرح فرحا): سهر.

(2) المدرجة: الطريق. والعوادي: النوائب. ويمخمخ العظم، إذا أخرج مخه. والداء العقام: الذي لا يرجى البرء منه.

(3) يريد «بالزحام»: مزاحمة الأجانب للمصريين.

(4) الضمير في «استعصى»: يعود على «التواكل» السابق.

(5) المذاهب: الطرق.

(6) يريد «بابن أخيه»: عباس الثاني خديوي مصر السابق.

افض في قاعة الشورى وئاما فقد أودى بنا وبها الخصام
وعلمهم مصادمة العوادي فمثلك لا يروعه الصدام (1)
ففي حزب اليمين لديك قوم وإن قلوا فإنهم كرام
وفي حزب الشمال لديك أسد كماة لا يطيب لها انهزام (2)
فكونوا للبلاد ولا يفتكم من النهزات والفرص اغتنام (3)
فما سادوا بمعجزة علينا ولكن في صفوفهم انضمام (4)
فلا تثقوا بوعد القوم يوما فإن سحاب ساستهم جهام (5)
وخافوهم إذا لانوا فإني أرى السواس ليس لهم ذمام (6)
فكم ضحك العميد على لحانا وغر سراتنا منه ابتسام (7)
أبا الفلاح إن الأمر فوضى وجهل الشعب والفوضى لزام (8)
فأسعدنا بنشر العلم واعلم بأن النقص يعقبه التمام

(1) العوادي: النوائب. ويروعه: يفزعه.

(2) الكماة: الشجعان، الواحد كي (بفتح الكاف وتشديد الياء).

(3) النهزات: ما ينتهز من الفرص، الواحدة نهزة (بضم فسكون).

(4) سادوا: يريد شعوب الغرب.

(5) يريد «بالقوم»: الإنجليز. و«بوعدهم»: ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها. والجهام من السحب (بفتح الجيم): الذي لا ماء فيه.

(6) الذمام: الذمة والعهد.

(7) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست). والسراة من الناس: أهل الرفعة والمنزلة، الواحد سري (بفتح السين وتشديد الياء).

(8) أبو الفلاح: كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب. ولزام، أي أن الجهل والفوضى متلازمان، إذا وجد أحدهما وجد الآخر.

وليس العلم يمسكنا وحيدا	إذا لم ينصر العلم اعتزام
وإن لم يدرك الدستور (مصرا)	فما لحياتهم أبدا قوام (1)
حمونا ورد ماء (النيل) عذبا	وقالوا: إنه موت زؤام (2)
وما الموت الزؤام إذا عقلنا	سوى الشركات حل لها الحرام
لقد سعدت بغفلتنا فراحت	بثروتنا وأولها (التزام)
فيا ويل القناة إذا احتواها	(بنو التاميز) وانحسر اللثام (3)
لقد بقيت من الدنيا حطاما	بأيدينا وقد عز الحطام (4)
وقد كنا جعلناها زماما	فوالهفي إذا قطع الزمام (5)
(فيا قصر الدبارة) لست أدري	أحرب في جرابك أم سلام
أجبنا، هل يراد بنا وراء	فنقضي أم يراد بنا أمام
ويا حزب اليمين إليك عنا	لقد طاشت نبالك والسهام
ويا حزب الشمال عليك منا	ومن أبناء نجدتك السلام

(1) قوام الأمر: نظامه وعماده وملاكه الذي يقوم به.

(2) يشير بهذا البيت إلى شركة المياه. يريد بقوله: «موت زؤام»: ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم.

(3) القناة، أي قناة السويس. وبنو التاميز: الإنجليز. والتاميز نهر عندهم معروف. ويريد «بانحسار اللثام»: انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر.

(4) بقيت، أي القناة.

(5) يريد بهذا البيت الذي قبله أن قناة السويس قد بقيت في يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة.

(6) نقضي: نموت.

(7) حزب اليمين: الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة في مجلس شورى القوانين. وحزب الشمال: المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأي الأمة. وأبناء نجدتك، أي الذين يناصرونك ويرون رأيك. والنجدة: الشجاعة والنصرة.

تحية العام الهجري

[سنة 1328 هـ ـ يناير سنة 1910م]

لي فيك حين بدا سناك وأشرقا أمل سألت الله أن يتحققا (1)

أشرق علينا بالسعود ولا تكن كأخيك مشئوم المنازل أخرقا (2)

قد كان جراح النفوس فداوها مما بها وكن الطبيب موفقا

هللت حين لمحت نور جبينه ورجوت فيه الخير حين تألقا (3)

وهززته بقصيدة لو أنها تليت على الصخر الأصم لأغدقا (4)

فنأى بجانبه وخص بنحسه مصرا وأسرف في النحوس وأغرقا (5)

لو كنت أعلم ما يخبئه لنا لسألت ربي ضارعا أن يمحقا

اولي الأعاجم منة مذكورة وأعاد للأتراك ذاك الرونقا (6)

وتغيرت فيه الخطوب بفارس حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا (7)

(1) السنا: الضوء يخاطب هلال المحرم.

(2) يريد بقوله «أخيك»: هلال العام الذي قبله. والمنازل: البروج التي ينتقل فيها القمر. والأخرق: من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحمق.

(3) تألق: أضاء وأشرق.

(4) يقال: هزه إلى المعروف: إذا حركه إليه وشوقه إلى عمله. وأغدق: تفجر بالماء الكثير. ويريد «بالقصيدة»:القصيدة السابقة التي أوّلها:

أطل على الأكوان والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا

(5) نأى: بعد. يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه. وأغرق في النحوس: بالغ فيها وأفرط.

(6) أولى: أعطى. ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، نالوا فيه الدستور، وكذلك الترك.

(7) الخطوب: الشئون؛ الواحد: خطب (بفتح الخاء). والشاه: ملك العجم. والبيدق الجندي. ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج. والمعنى أن الحكم في فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه.

وأدال من (عبد الحميد) لشعبه فهوى وحاول أن يعود فأخفقا (1)

أمسى يبالي حارسا من جنده ولقد يكون وما يبالي الفيلقا (2)

ورمى على أرض الكنانة جرمه بالنازلات السود حتى أرهقا (3)

حصدت مناجله غراس رجائنا ولو أنها أبقت عليه لأورقا (4)

فتقيدت فيه الصحافة عنوة ومشى الهوى بين الرعية مطلقا (5)

وأتى يساوم في (القناة) خديعة ولو أنها تمت لتم بها الشقا

إن البلية أن تباع وتشترى (مصر) وما فيها وألا تنطقا (6)

كانت تواسينا على آلامنا صحف إذا نزل البلاء وأطبقا (7)

فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت عنا أسى حتى تغص وتشرقا

كانت لنا يوم الشدائد أسهما نرمي بها وسوابقا يوم اللقا (8)

(1) يقال: أدال الله لك من فلان: إذا جعل الكرة والنصر لك عليه. وأخفق في السعي: لك ينجح فيه.

(2) الضمير في «أسى»: لعبد الحميد. والفيلق: الجيش العظيم.

(3) رمى: الضمير يعود على الهلال. وأرض الكنانة: مصر. وأرهق: أنزل على أهلها العسر والظلم والطغيان/

(4) المناجل: جمع منجل، وهو آلة يحصد بها الزرع، معروفة.

(5) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذي عمل به في عهد وزارة بطرس غالي باشا، فقيد حرية الرأي والكتابة في الصحف. والعنوة: القهر. ويريد «بالهوى»: الحكم بما يشتهيه الحاكم، لا بما يقتضيه العدل. ومطلقا، أي لا قيد عليه.

(6) يشير بهذا البيت الذي قبله إلى ما حدث في عهد نظارة بطرس غالي باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة 1969م إلى نهاية سنة 2008م، وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن في ذلك غبنا فاحشا قدر بمبلغ 130.598.000 جنيها، وكان ذلك في 7 إبريل سنة 1910م، وكان رأي الجمعية العمومية في هذه المسألة قطعيا لا استشاريا.

(7) أطبق عليهم البلاء: غشيهم وغطاهم.

(8) السوابق: من صفات الخيل، أي أن الصحف كانت عدّة لنا في الجهاد.

كانت صماما للنفوس إذا غلت فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا

كم نفست عن صدر حر واجد لولا الصمام من الأسى لتمزقا (1)

مالي أنوح على الصحافة جازعا ماذا ألم بها وماذا أحدقا؟ (2)

قصوا حواشيها وظنوا أنهم أمنوا صواعقها فكانت أصعقا

وأتوا بحاذقهم يكيد لها بما يثني عزائمها فكانت أحذقا (3)

أهلا بنابتة البلاد ومرحبا جددتم العهد الذي قد أخلقا (4)

لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

مدت له الآمال أفلاكها خيط الرجاء إلى العلا فتسلقا (5)

فتجشموا للمجد كل عظيمة إني رأيت المجد صعب المرتقى (6)

من رام وصل الشمس حاك خيوطها سببا إلى آماله وتعلقا (7)

عار على ابن النيل سباق الورى – مهما تقلب دهره – أن يسبقا

أو كلما قالوا تجمع شملهم لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا (8)

(1) نفست: خففت. والواجد: الحزين. والأسى (بفتح الهمزة): الحزن. «ومن الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا».

(2) ألم: نزل. وأحدق: أحاط.

(3) يريد «بحاذقهم»: بطرس غالي باشا رئيس النظار إذ ذاك. ويريد بقوله «فكانت أحذقا»: أنها كانت تؤدي عملها في نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ.

(4) نابتة البلاد: نشؤها وشبانها. وأخلق: بلى ورث.

(5) تسلق: صعد.

(6) تجشموا: تكلفوا.

(7) حاك: نسج. والسبب: الحيل. يقول: إن من يريد أن يبلغ معالي الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها.

(8) الشقاق: الخلاف والعداوة.

فتدفقوا حجبا وحوطوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفقا (1)
حملوا علينا بالزمان وصرفه فتأنقوا في سلبنا وتأنقا (2)
هزوا مغاربها فهابت بأسهم يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقا (3)
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق باب للسعادة مغلقا
ثم استمدوا منه كل قواكم إن القوي بكل أرض يتقى
وابنوا حوالي حوضكم من يقظة سورا وخطوا من حذار خندقا (4)
وزنوا الكلام وسددوه فإنهم خبأوا لكم في كل حرف مزلقا (5)
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعر أطاف به الهلاك وحلقا (6)
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا للسالكين بكل فج موبقا (7)
الموت في غشيانه وطروقه والموت كل الموت ألا يطرقا (8)
فتحينوا فرص الحياة كثيرة وتعجلوها بالعزائم والرقى (9)

(1) حاطه: صانه وحفظه.

(2) حملوا علينا بالزمان، أي حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه. وتأنق في الأمر: بالغ فيه.

(3) يقول: إن الإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب.

(4) المراد (بالحوض) هنا: الحمى.

(5) المزلق: مكان الانزلاق، أي الزلل والسقوط.

(6) الوعر: الصعب. وحلق: ارتفع. يريد أن الهلاك قد غشي طريقكم من كل مكان.

(7) الفج: الطريق. والموبق: المهلك.

(8) يريد أن طريق الأمة إلى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر، ففي الإقدام موت، وفي الإحجام موت أعظم، فتحينوا الفرص، وهو ما يقوله في البيت الآتي.

(9) تعجل الأمر: طلبه عاجلا. والرقى: جمع رقية، وهو معروفة. ويريد «بالعزائم والرقى» هنا: قوة الدهاء والتلطف في الحيلة، وحسن التأتي إلى المقاصد.

أو فاخلقوها قادرين فإنما فرص الحياة خليقة أم تخلقا
وتفيئوا ظل الأريكة واقصدوا ملكا بأمته أبر وأرفقا (1)
لا زال تاج الملك فوق جبينه تحت الهلال يزين ذاك المفرقا (2)

تحية الأسطو العثماني

أنشدها في حفل أقيم بتياترو عباس في 9 مارس سنة 1910م.

بالذي أجراك يا ريح الخزامى بلغي البسفور مني السلاما (3)
واقطفي من كل روض زهرة واجعليها لتحايانا كماما (4)
وانشري رياك في ذاك الحمى والثمي الأرض إذا جئت الإماما (5)
ملك للشرق في أيامه همة الغرب نهوضا واعتزاما
أيها القائم بالأمر لقد قمت في الناس فأحسنت القياما
جرد الرأي فكم رأي إذا سل من غمد النهى فل الحساما (6)

(1) تفيئوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها ويستظلوا بها. والأريكة: سرير الملك.
(2) مفرق الرأس: وسطه، وهو حيث يفرق فيه الشعر.
(3) الخزامي: نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نفحة؛ وهذا النبات يقارب البنفسج، وزهره إلى الزرقة واللازوردية.
(4) الكمام: أغطية الزهر؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم). يقول: حوطي تحايانا بأزهار الرياض. ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار ريحا، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة.
(5) الريا: الرائحة الطيبة. ويريد «بالإمام»: خليفة المسلمين.
(6) النهى: العقول؛ الواحد نهية. وفل الحسام: ثلمه وكسره.

وابعث الأسطول ترمي دونه   قوة الله وراء وأمام
يكلأ الشرق ويرعى بقعة   رفع الله بها (البيت الحراما) (1)
وثغورا هي أبهى منظرا   من ثغور الغيد بيدين ابتساما (2)
خصها الله بأفق مشرق   ضم في اللألئ (مصرا) و(الشآما) (3)
حي يا مشرق أسطول الألى   ضربوا الدهر بسوط فاستقاما (4)
ملكوا البرى فلما لم يسمع   مجدهم نالوا من البحر المراما
بجوار منشت كالدمى   أينما سارت صبا البحر وهاما (5)
كلما أوفت على أمواجه   سجد الموج خشوعا واحتشاما (6)
كان بالبحر إليها ظمأ   وعجيب يشتكي البحر الأواما (7)
فهي في السلم جوار تجتلي   تبهر العين رواء ونظاما (8)
وهي في الحرب قضاء سابح   يدع الحصن تلالا ورجاما (9)

(1) يكلأ الشرق: يحفظه ويصونه. ويريد «بالبقعة»: الحجاز.
(2) الغيد: جمع غادة، وهي المرأة اللينة الناعمة.
(3) اللألاء: الضياء.
(4) «ضربوا الدهر.... إلخ»: يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزهم فاستقام لهم.
(5) الجواري المنشآت: السفن. والدمى: جمع دمية، وهي الصورة المنقشة المزينة. شبه السفن بها في جمالها.
(6) أوفت: أشرفت. والاحتشام: الحياء.
(7) الأوام: شدة العطش.
(8) تجتلي: ينظر إليها الناس معجبين بحسنها ورونقها. والرواء (بضم الراء): حسن المنظر،
(9) الرجام: الحجارة، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم).

ما نجوم الرجم من أبراجها إثر عفريت من الجن ترامى (1)
من مراميها بأنكي موقعا لا ولا أقوى مراسا وعراما (2)
وهي بركان إذا ما هاجها هائج الشر عداء وخصاما
جبل النار لقد رعت الورى أنت في حاليك لا ترعى ذماما (3)
أنت في البر بلاء فإذا ركب البحر غدا موتا زؤاما (4)
فاتقوا الطود مكينا راسيا واتقوا الطود إذا ما الطود عاما (5)
حملت حربا فكانت حقبة نذرا للموت تجتاح الأناما (6)
خافها العالم حتى أصبحت رسلا تحمل أمنا وسلاما (7)
بعث المشرق من مرقده بعد حين، جل من يحيي العظاما
أيها الشرقي شمر لا تنم وانفض العجز فإن الجد قاما

(1) ترامي، أي تترامى وتتساقط. ويشير إلى أن الجن كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع؛ وقد حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة الجن.

(2) أنكى: خبر «لما» في قوله السابق: «ما نجوم». والعرام: الشراسة والأذى والحدة. يريد أن الشهب التي يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن في الحرب.

(3) رعت: أفزعت. والذمام: الحرمة والعهد.

(4) يشير بقوله «أنت في البر»: إلى البراكين المعروفة. وبقوله «فإذا ركب البحر»: إلى الأسطول، تشبيها له بالبراكين. جعل للبركان مظهرين: مظهره الحقيقي في البر، ومظهره المجازي في الأسطول.

(5) الطود: الجبل العظيم.

(6) الحقبة من الدهر: مدة لا حد لها. وتجتاح الأنام: تهلكهم.

(7) يريد بهذا البيت الذي قبله: أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا، فكانت في الحرب رسل موت تحصد الأرواح، وهي لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها، فكانت مبعث سلم أيضا.

واتط العزم جوادا للعلا | واجعل الحكمة للعزم زماما (1)
وإذا حاولت في الأفق مني | فاركب البرق ولا ترض الغماما (2)
لا تضق ذرعا بما قال العدا | رب ذي لب عن الحق تعامى
سابق الغربي واسبق واعتصم | بالمروءات وبالبأس اعتصاما
جانب الأطماع وانهج نهجه | واجعل الرحمة والتقوى لزاما
طلبوا من علمهم أن يعجزوا | قادر الموت وأن يثنوا الحماما (3)
وأرادوا منه أن يرفعهم | فوق هام الشهب في الغيب مقاما (4)
(قتل الإنسان ما أكفره) | طاول الخالق في الكون وسامي (5)
أحرج الغيب إلى أن بزه | سره بزا ولم يخش انتقاما (6)
قوى الرحمن زيدينا قوى | وأفيضي في بني الشرق الوئاما
أفرغي من كل صدر حقده | أملأ التاريخ والدنيا كلاما
أسأل الله الذي ألهمنا | خدمة الأوطان شيخا وغلاما
أن أرى في البحر والبر لنا | في الوغى أنداد (طوجو) و(أياما) (7)

(1) الزمام: ما تقاد به الدابة.
(2) يريد «بركوب البرق»: شدة السرعة، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للمجدّ.
(3) قادر الموت: مقدره، وهو الله تعالى.
(4) الهام: الرءوس. الواحدة: هامة. والشهب: النجوم.
(5) طاول: غالب. وساماه مساماة: باراه في السمو.
(6) بزه: سالبه.
(7) الوغى: الحرب. والأنداد: الأشباه. وطوجو وأياما: قائدان يابانيان معروفان.

حرب طرابلس (1)

[في سنة 1912م]

طمع ألقى عن الغرب اللثاما فاستفق يا شرق واحذر أن تناما (2)
واحملي أيتها الشمس إلى كل من يسكن في الشرق السلاما
واشهدي يوم التنادي أننا في سبيل الحق قد متنا كراما (3)
مادت الأرض بنا حين انتشت من دم القتلى حلالا وحراما (4)
عجز الطليان عن أبطالنا فأعلوا من ذرارينا الحساما (5)
كبلوهم، قتلوهم، مثلوا بذوات الخدر، طاحوا باليتامى (6)
ذبحوا الأشياخ والزمنى ولم يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما (7)
أحرقوا الدور، استحلوا كل ما حرمت (لاهاي) في العهد احتراما (8)
بارك المطران في أعمالهم فسلوه بارك القوم علاما؟ (9)

(1) ترجع أطماع إيطاليا في طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط في اقتسام أفريقيا. ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتي النفوذ في مصر وتونس، قويت أطماعها في طرابلس. ولم تأت سنة 1912م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا، وفي هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته.

(2) اللثام (بالكسر): النقاب. أي أن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم.

(3) يوم التنادي: يوم القيامة.

(4) مادت الأرض: اضطربت. وانتشت: سكرت.

(5) أعلوا، أي سقوا. وأصل الإعلال: السقي بعد السقي.

(6) طاح به: ذهب به وأهلكه.

(7) الزمنى: ذوو العاهات؛ الواحد: زمن (بفتح الأول وكسر الثاني).

(8) يشير إلى مؤتمؤ لاهاي الذي عقد في سنة 1899م بدعوة من نقولا الثاني قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب، بتقليل السلاح، وتفويض المشاكل التي تقع بين الدول إلى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول.

(9) المطران (بالفتح ويكسر): رئيس الكهنة، وهو دون البطرق وفوق الأسقف.

ابهذا جاءهم إنجيلهم … آمرا يلقي على الأرض سلاما؟
كشفوا عن نية الغرب لنا … وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم … أقسمت تلتهم الشرق التهاما
أطلقوا الأسطول في البحر كما … يطلق الزاجل في الجو الحماما (1)
فمضى غير بعيد وانثنى … يحمل الأنباء شؤما وانهزاما
قد ملأنا البر من أشلائهم … فدعوهم يملئوا الدنيا كلاما (2)
أعلنوا الحرب وأضمرنا لهم … أينما حلوا هلاكا واختراما (3)
خبروا (فكتور) عنا أنه … أدهش العالم حربا ونظاما (4)
أدهش العالم لما أن رأوا … جيشه يسبق في الجري النعاما
لم يقف في البر إلا ريثما … يسلم الأرواح أو يلقي الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا … منة نذكرها عاما فعاما (5)
أنت أهديت إلينا عدة … ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان في أيديكم … ذا كلال فغدا يفري العظاما (6)

(1) الزاجل: الذي يرسل الحمام.

(2) الأشلاء: الأعضاء وبقايا الأجساد؛ الواحد شلو.

(3) اخترم القوم: استأصلهم.

(4) فكتور عمانوئيل، هو ملك إيطاليا.

(5) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك في هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم، ولا يخفى ما في هذا من التهكم.

(6) كل السيف كلالا: لم يقطع. ويفري: يشق.

أكثروا النزهة في أحيائنا وربانا إنها تشفي السقاما
وأقيموا كل عام موسما يشبع الأيتام منا والأيامى (1)
لست أدري بت ترعى أمة من بني (التليان) أم ترعى سواما (2)
ما لهم – والنصر من عاداتهم – لزموا الساحل خوفا واعتصاما
أفلتوا من نار (فيزوف) إلى نار حرب لم تكن أدنى ضراما (3)
لم يكن (فيزوف) أدهى حمما من كرات تنفث الموت الزؤاما (4)
إيه يا (فيزوف) نم عنهم فقد نفضت إفريقيا عنها المناما
فهي بركان لهم سخره مالك الملك جزاء وانتقاما
لو دروا ما خبأ الشرق لهم آثروا (فيزوف) واختاروا المقاما
تلك عقبى أمة غادرة تنكث العهد ولا ترعى الذماما (5)
تلك عقبى كل جبار طغى أو تعالى أو عن الحق تعامى
لو درت (رومة) ما قد نابها في (طرابلس) أبت إلا انقساما
وأبى كل اشتراكي بها أن يرى التاج على رأس أقاما
أعلنوا ضم مغانينا إلى ملك (فكتور) ولم يخشوا ملاما (6)

(1) الأيامى: جمع أيم (بتشديد الياء)، وهو من لا زوج لها.

(2) السوام: الإبل الراعية.

(3) فيزوف: بركان في جنوبي إيطاليا معروف.

(4) الحمم: جمع حمة، وهي كل ما احترق من النار. يريد ما يقذفه بركان فيزوف. ويريد «بالكرات»: قذائف المدافع. والزؤام: الكريه.

(5) الذمام: الحق والحرمة.

(6) المغاني: المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون).

أعلنوا الضم ولما يفتحوا قيد أظفروا وراء أو أماما (1)
فآعجبوا من فاتح ذي مرة يحسب النزهة في البحر صداما (2)
ويرى الفتح ادعاء باطلا وافتراء واحتجاجا واحتكاما
أيها الحائر في البحر اقترب من حمى (البسفور) إن كنت هماما
كم سمعنا عن لسان البرق ما يزعج الدنيا إذا الأسطول عاما
عام شهرين ولم يفتح سوى هوة فيها الملايين ترامى (3)
دفنوا تاريخهم في قاعها ورموا في إثره المجد غلاما
فاطمئني أمم الشرق ولا تقنطي اليوم فإن الجد قاما (4)
إن في أضلاعنا أفئدة تعشق المجد وتأبى أن تضاما (5)

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك، وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة **1912**م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب، ورجل عربي.

الجريح:

(ليلاي) ما أنا حي يرجى ولا أنا ميت
لم أقض حق بلادي وهأنا قد قضيت (6)

(1) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أي مقدار ظفر. (2) المرة (بالكسر): القوة والشدة.
(3) ترامى: تترامى.
(4) الجد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.
(5) تضام: تظلم. (6) قضيت: مت.

شفيت نفسي لو أني ... لما رميت رميت
(بيروت) لو أن خصما ... مشى إلى مشيت
أو داس أرضك باغ ... لدسته وبغيت
أو حل فيك عدو ... منازل ما اتقيت
لكن رماك جبان ... لو بان لي لاشتفيت (1)
(ليلاي) لا تحسبيني ... على الحياة بكيت
ولا تظني شكاتي ... من مصرعي إن شكوت (2)
ولا يخيفنك ذكري ... (بيروت) أني سلوت (3)
(بيروت) مهد غرامي ... فيها وفيك صبوت (4)
جررت ذيل شبابي ... لهوا وفيها جريت
فيها عرفتك طفلا ... ومن هواك انتشيت (5)
ومن عيون رباها ... وعذب فيك ارتويت (6)
فيها (لليلى) كناس ... ولي من العز بيت (7)

(1) اشتفى: أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه.
(2) الشكاة: الشكوى.
(3) أي لا تخشي يا ليلاي من سلوتي إياك حينما أذكر بيروت، فكلاكما في الحب عندي شواء، كما يتبين ذلك من الأبيات.
(4) صبا: مال. أي إن شوقي وغرامي وميلي فيك وفيها.
(5) انتشى: سكر.
(6) الربا: ما ارتفع من الأرض؛ الواحدة ربوة. وعذب فيك، أي ريقك العذب.
(7) الكناس: بيت الظبي الذي يأوى إليه.

فيها بنى لي مجدا   أوائلي وبنيت

(ليلى) سراج حياتي   خبا فما فيه زيت (**1**)

قد أطفأته كرات   ما من لظاهن فوت (**2**)

رمى بهن بغاة   أصبنني فتويت (**3**)

ليلى:

لو تفتدي بحياتي   من الردى لفديت

ولو وقاك وفى   بمهجة لوقيت

إن عشت أو مت إني   كما نويت نويت (**4**)

الجريح:

(ليلاي) عيشي وقري   إذا الحمام دعاني

(ليلاي) ساعات عمري   معدودة بالثواني

فكفكفي من دموع   تفري حشاشة فاني (**5**)

ومهدي لي قبرا   على ذرا (لبنان)

ثم اكتبي فوق لوح   لكل قاص وداني:

(**1**) خبا: خمد وطفأ.

(**2**) يريد «بالكرات»: قذائف المدافع المعروفة بالقنابل. واللظى: النار، أو لهبها. والفوت: الانفلات.

(**3**) تويت، أي هلكت.

(**4**) كما نويت نويت، أي أني حياتي حياتي وموتي تبعا لحياتك وموتك.

(**5**) تفرى: تقطع. والحشاشة: بقية الروح في المريض.

هنا الذي مات غدرا		هنا فتى الفتيان
رمته أيدي جناة		من جيرة النيران (1)
قرصان بحر تولوا		من حومة الميدان (2)
لم يخرجوا قيد شبر		عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتا		في أوجه الفرسان
فشمروا لانتقام		من غافل في أمان
وسودوا وجه (روما)		بالكيد للجيران
تبا لهم من بغاث		فروا من العقبان (3)
لو أنهم نازلونا		في الشام يوم طعان
رأوا طرابلس تبدو		لهم بكل مكان
يا ليتني لم أعاجل		بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو		رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا		له رفعة شان
وليعلم الغرب أنا		كأمة (اليابان)

(1) يريد «بحيرة النيران»: الإيطاليين، لوجود البراكين في بلادهم.

(2) قرصان البحر: لصوصه. وحومة الميدان: موضع القتال. يريد ميدان طرابلس.

(3) البغاث؛ طيور يضرب بها المثل في الضعف. والعقبان: جمع عقاب، وهو من الطيور الجوارح، والعرب تسميه (الكاسر).

لا نرتضي العيش يجري في ذلة وهوان
أراهم أنزلونا منازل الحيوان
وأخرجونا جميعا عن رتبة الإنسان
وسوف تقضي عليهم طبائع العمران (1)
فيصبح الشرق غربا ويستوي الخافقان (2)
لاهم جدد قوانا لخدمة الأوطان (3)
فنحن في كل صقع تشكو بكل لسان (4)
يا قوم إنجيل (عيسى) وأمة القرآن
لا تقتلوا الدهر حقدا فالملك للديان

ليلى:

إني أرى من بعيد جماعة مقبلينا
لعل فيهم نصيرا لعل فيهم معينا

العربي:

هون عليك، تماسك إني سمعت أنينا (5)
أظن هذا جريحا يشكو الأسى أو طعينا
بالله ماذا دهاه يا هذه خبرينا؟

(1) يريد «بطبائع العمران»: سنته في الترقي من حسن إلى أحسن، كما يدل البيت الآتي.
(2) الخافقان: المشرق والمغرب.
(3) لا هم، أي اللهم.
(4) الصقع (بالضم): الناحية، والجمع أصقاع.
(5) تماسك: تمالك.

ليلى:

لقد دهته المنايا من غارة الخائنينا
صبوا علينا الرزايا لم يتقوا الله فينا
فخففوا من أذاه إن كنتم فاعلينا

العربي:

لا تيأس، وتجلد أراك شهما ركينا (1)
أبشر فإنك ناج واصبر مع الصابرينا

الطبيب:

أواه إني أراه بالموت أمسى رهينا
جراحه بالغات تعيي الطبيب الفطينا
وعن قريب سيقضي غض الشباب حزينا (2)

العربي:

أف لقوم جياع قد أزعجونا العالمينا
قراهم أين حلوا ضرب يقد المتونا (3)
عقوا المروء هدوا مفاخر الأولينا
عاثوا فسادا وفوا يستعجلون السفينا (4)

(1) الركين: الرزين.
(2) يقضي يموت.
(3) القري: ما يقدم للضيف. ويقد: يقطع. والمتون: الظهور؛ الواحد: متن.
(4) السفين: السفن؛ الواحدة سفينة.

وألبسوا الغرب خزيا ... في قرنه العشرينا
وألجموا كل داع ... وأحرجوا المصلحينا
فيا (أربة) مهلا ... أين الذي تدعينا
ماذا تريدين منا ... والداء أمسى دفينا
أين الحضارة إنا ... بعيشنا قد رضينا
لم نؤذ في الدهر جارا ... ولم نخاتل خدينا (1)
(مسرة) الشام إنا ... إخوانكم ما حيينا (2)
ثقوا فإنا وثقنا ... بكم وجئنا قطينا (3)
إنا نرى فيك (عيسى) ... يدعو إلى الخير فينا
قربت بين قلوب ... قد أوشكت أن تبينا (4)
فأنت فخر النصارى ... وصاحب المسلمينا

الجريح:

رأيت يأس طبيبي ... وهمسه في فؤادي
لا تندبيني فإني ... أقضي وتحيا بلادي

(1) لم نخاتل: لم نخادع. والخدين: الصاحب.

(2) مسرة الشام: مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت، وكان يعتني بالجرحى في هذه الحادثة.

(3) القطين: أهل الدار المقيمون بها. يريد أن السلمين والنصارى أهل وطن واحد في تلك تالبلاد.

(4) تبين: تنفصل.

العربي:

أستودع الله شهما ... ندبا طويل النجاد (1)
أستودع الله روحا ... كانت رجاء البلاد
فيا شهيدا رمته ... غدرا كرات الأعادي
نم هانئا مطمئنا ... فلم تنم أحقادي
فسوف يرضيك ثأر ... يذيب قلب الجماد

استقبال الطيار العثماني فتحي بك

نشرت في سنة 1914م، ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته إلى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أهلا بأول مسلم ... في المشرقين علا وطار
النيل والبسفور فيـ ... ـك تجاذبا ذيل الفخار (2)
يوم امتطيت براقك الـ ... ـميمون واجترت القفار (3)
تلهو وتعبث بالريا ... ح على المفاوز والبحار (4)

(1) الندب: الذي إذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها. والنجاد: حمائل السيف. وطول النجاد: كناية عن طول القامة.

(2)كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا.

(3) البراق: الدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج. شبه الشاعر طائرة فتحي بك في سرعته ويمنها.

(4) المفاوز: جمع مفازة، وهي الفلاة الواسعة التي لا ماء فيها.

لو سابقتك سوابق الـ ـأفكار أدركها العثار (1)
حسدتك في الأفق البرو ق وغار في الأرض البخار (2)
تجري بسابحة تشق سبيلها شق الإزار (3)
وتكاد تقدح في الأثيـ ـر فيستحيل إلى شرار
مثل الشهاب انقض في آثار عفريت وثار (4)
فإذا علت فكدعوة الـ ـمضطر تخترق الستار (5)
وإذا هوت فكما هوت أنثى العقاب على الهزار (6)
وتسف آونة وآ ونة يحيد بها ازورار (7)
فيخالها الراءون قد قرت وليس بها قرار
لعب الجواد أقل ليـ ـثا من قضاعة أو نزار (8)

(1) يصفه في هذا البيت بالسرعة حتى أنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر.

(2) كني «بالبخار» عن القواطر البخارية.

(3) يريد بالسابحة: الطائرة، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء، شبه اختراقها للفضاء بشق الثياب.

(4) شبه الطائرة في شرعتها بالشهاب الذي كان يرسل على كل من يحاول استرتاق السمع من الجن.

(5) شبهها بدعوة المضطر، لما روي في الأثر من أن ليس بينها وبين الله حجاب، فهي تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل. ويريد «بالستار»: حجاب السماء.

(6) هوت: هبطت. والعقاب: طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر. والهزار (بالفتح): عصفور صغير متنوع الصوت؛ ويقال له: العندليب.

(7) تسف: تدنو من الأرض؛ يقال: أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها. والازورار: الانحراف.

(8) أقل: حمل. وكنى بقوله «ليثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا. يقول: إن هذه الطائرة تلعب في سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربي. وقضاعة ونزار: قبيلتان معروفتان.

أو كاللعوب من الحما ئم فوق ملعبه استطار
وكأنها في الأفق حيـ ـن يميل ميزان النهار (1)
والشمس تلقي فوقها حلل احمرار واصفرار
ملك تمثله لنا (السيما) فيأخذنا انبهار
(فتحي) بربك ما رأيـ ـت بذلك الفلك المدار
أبلغت تسبيح الملا ئك أو دنوت من السرار (2)
أم خفت تلك الراصدا ت هناك من شهب ونار (3)
أرأيت سكان النجو م وأنت في ذاك الجوار
أهناك في (المريخ) ما في الأرض من علل الشجار (4)
أهناك يستعدي الضعيـ ـف على القوى فلا يجار (5)
ما لابن آدم زاد في غلوائه فطغى وجار (6)
يا ليت شعري هل له في عالم الملكوت ثار (7)

(1) ميلان ميزان النهار: كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها إلى جهة الغرب.
(2) السرار (بالكسر): مصدر سارّه (بتشديد الراء). ويريد به هنا: مناجاة سكان السماء. يقال: سارّ فلان فلانا يساره: إذا ناجاه وأعلمه بسره. يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلوّ إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة في السماء.
(3) الراصدات: الشهب التي أعدها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء؛ قال تعالى حكاية عن الجن: (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا).
(4) الشجار: النزاع والخصام.
(5) يقال: استعديت الأمير على فلان فأعداني، أي استعنت به عليه فأعانني وأنصفني منه.
(6) الغلواء (وتسكن اللام): التغالي. والمراد هنا: التغالي في الأمل والطموح.
(7) الثار: الثأر، وسهلت الهمزة للشعر.

أم لاذ معتصما بكر سي المهيمن واستجار
فاستل من قلب الجما د الصلب أجنحة وطار (1)
وتسلق الأجواء ممـ ـتطيا عواصفها وسار
يرجو النجاء من المظا لم والمغارم والدمار (2)
يأيها الطيار طر فإذا بلغت مدى المطار (3)
فزر السها والفرقديـ ـن إذا أتيح لك المزار (4)
وسل النجوم عن الحيا كلة ففي السؤال لك اعتبار
هم ينبئونك أن الكائنات إلى بوار (5)
والظلم من طبائع النظا م فإن ظلمت فلا تمار (6)
إن الذي برأ السديـ ـم هو الذي برأ الغبار (7)
في العالم العلوي والـ ـسفلي أحكام تدار
خلق الضعيف لخدمة الـ ـاقوى وليس له خيار
فتقو يرهبك القو وهن يلازمك الصغار (8)

(1) استل: نزع.
(2) الدمار: الهلاك.
(3) مدى المطار: غايته.
(4) السها: كوكب خفي لبعده، وهو في نبات نعش الصغرى. والفرقدان: نجمان يهتدى بهما.
(5) البوار: الهلاك والدمار.
(6) ماراه يماريه مماراة: جادله ونازعه. يقول لا تنازع في ظلم وقع عليك ولا تتبرم به، فإن تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوي وضعيف.
(7) برأ: خلق. والسديم: الضباب الرقيق.
(8) هان يهون: ذل. والصغار: الذل.

في الأرض ما تبغون من عز وآمال كبار
فيها الحديد وفيه بأ س يوم يمتهن الذمار (1)
فيها الكنوز الحافلا ت لمن تبصر واستنار
منها استمد قواه من قهر الممالك واستعار (2)
وبما احتوت رد الحصيـ ـف الرأي غارة من أغار (3)
في ذمة الآفاق سر وارجع إلى تلك الديار (4)
واجعل تحيتنا إلى بلد به للملك دار (5)
دار عليها للخلا فة والهدى رفع المنار
دار الغزاة الفاتحيـ ـن الصفوة الغر الخيار
في كل حاضرة لهم غزو ففتح فانتصار
ضربوا الزمان بسوط عزتهم فلان لهم فدار (6)
يمشون في غاب القنا مشى المرنح بالعقار (7)

(1) الذمار (بالكسر):ما يلزمك حفظه وحمايته. يقول: إن في الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدي علينا وينتهك من حرماتنا.

(2) «استعار»: معطوف على «استمد»، أي استعار منها قوته وبأسه.

(3) حصيف الرأي: جيده ومحكمه وسديده.

(4) يريد «بالديار»: بلاد تركيا موطن الطيار.

(5) يريد «بالبلد»: الآستانة مقر الخلافة.

(6) دار، أي دار الزمان لهم بما يشتهون. يقول: إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا.

(7) القنا: الرماح؛ الواحدة قناة. شبهها بالغاب في كثرتها واشتباك بعضها ببعض. والعقار (بالضم): الخمر. والمرنح بها: الذي يتمايل في مشيته سكرا، شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال، بشارب الخمر المترنح سكرا.

من كل أروع فاتك لا يستشير سوى الغرار (1)

ذي مرة تشجيه ذا ت النقع لا ذات الخمار (2)

يغشى المعامع ضاربا بحايته ضرب القمار (3)

لا ينثني أو تخرج الـ ـأجرام عن فلك المدار (4)

عبست لهم أيامهم والعبس يعقبه افترار (5)

ما عابهم أن الصعو د يليه في الدهر انحدار

فلكل غاد روحة ولكل وضاء سرار (6)

ولسوف يعلو نجمهم ويسود ذياك الشعار (7)

(1) الأروع: هو الذي يعجبك بشجاعته ومنظره. والغرار (بالكسر): حد السهم والرمح والسيف.

(2) المرة: قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدته واستحكامه. وذات النقع: الحرب لما تثيره من النقع، وهو الغبار، والخمار (بالكسر): ما تغطي به المرأة وجهها. يقول: إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساءبجمالهن.

(3) المامع: الحروب؛ الواحدة: معمعة. يقول: إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها.

(4) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها في الدوران.

(5) العبس: العبوس. والافترار: التبسم والضحك الحسن.

(6) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاء): البهيج الحسن؛ يريد البدر. والسرار (بكسر السين): الليلة التي يستتسر فيها القمر، أي يختفي، وذلك لا يكون إلا في آخر الشهر، وربما كان ليلة، وربما كان ليلتين. وكنى بذلك عما ينتهي إليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب.

(7) يريد «بالشعار»: الهلال، وكان شعار الدولة العثمانية.

إلى معتمد بريطانيا في مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكماهون

[نشرت في يناير سنة 1915م]

أي (مكمهمون) قدمت بالـ ـقصد الحميد وبالرعاية
ماذا حملت لنا عن الـ ـملك الكبير وعن (غرايه)؟ (1)
أو ضح مصر (لمصر) الفرق ما بين السيادة والحماية
وأزل شكوكا بالنفو س تعلقت منذ البداية
ودع الوعود فإنها فيما مضى كانت رواية
أضحت ربوع النيل سلـ ـطنة وقد كانت ولاية
فتعهدوها بالصل ح وأحسنوا فيها الوصاية
إنا لنشكو واثقيـ ـن بعدل من يشكى الشكاية (2)
نرجو حياة حرة مضمونة في ظل راية
ونروم تعليما يكو ن له من الفوضى وقاية
ونود ألا تسمعوا فينا السعاية والوشاية
أنتم أطباء الشعو ب وأنبل الأقوام غاية

(1) غراية، يريد السير إدوارد غراي، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك.

(2) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته.

أنى حللتم في البلا   د لكم من الإصلاح آية
رسخت بناية مجدكم   فوق الروية والهداية (**1**)
وعدلتم فملكتم الـد   نيا وفي العدل الكفاية
إن تنصروا المستضعفيـ   ـن فنحن أضعفهم نكاية
أو تعملوا لصلاحنا   فتداركوه إلى النهاية
إنا بلغنا رشدنا   والرشد تسبقه الغواية
لا تأخذونا بالكلا   م فليس في الشكوى جناية
هذا (حسين) فوق عر   ش (النيل) تحرسه العناية
هو خير من يبني لنا   فدعوه ينهض بالبناية

إلى غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا

قالها ينكر عليه إثارته للحرب العاظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت في يناير سنة 1915م]

لله آثار هناك كريمة   حسدت روائع حسنها (برلين) (**2**)
طاحت بها تلك المدافع تارة   لما أمرت وتارة (زبلين) (**3**)

(**1**) يصف في هذا البيت الإنجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأني في الأمور، واتباع سواء السبيل.
(**2**) يريد آثار الحضارة في فرنسا وغيرها من الممالك التي خربها الألمان في الحرب العظمى.
(**3**) طاحت بها، أي محتها. وزبلين: يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه، وهو الكونت زبلين الألماني.

ماذا رأيت من النبالة والعلا   في عدمهن وكلهن عيون (1)
لو أن في (برلين) عندك مثلها   لعرفت كيف تجلها وتصون
إن كت هدمت (رمس) فإنه   أودى بمجدك ركنها الموهون (2)
لم يغن عنها معبد خربته   ظلما ولم يمسك عنانك دين
لا تحسبن الفخر ما أحرزته   الفخر بالذكر الجميل رهين
هل شدت في (برلين) غير معسكر   قامت عليه معاقل وحصون
وجمعت شعبك كله في قبضة   إن لم تكن لانت فسوف تلين
نظمت تجارتك المدائن والقرى   (فالنيل) ناء بها وناء (السين) (3)
فبكل أرض من رجالك عصبة   وبكل بحر من لدنك سفين
تسرى ونسرك أين لحن يظلها   لا الليث يزعجها ولا التنين (4)
فالأمر أمرك والهند مغمد   والنهى نهيك والسرى مأمون (5)

(1) عدمهن، أي فقداهن وذهابهن.

(2) رمس: مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية، وقد خربها الألمان بمدافعهم في الحرب الأخيرة، ثم جددت بعد انتهائها. والموهون. الذي أدركه الوهن، وهو الضعف والانحلال. يقول: إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرب فانهدم بذلك ما بينته من مجد وفخر.

(3) يقال: ناء بالحمل، إذا أثقله ولم يقدر على حمله. والسين: نهر بفرنسا معروف.

(4) يريد «بالنسر»: الراية الألمانية. والليث: إشارة إلى بريطانيا. والتنين: إشارة إلى اليابان. والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها.

(5) المهند: السيف. والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك في أيام السلم.

قد كان في (برلين) شعبك وادعا ... يستعمر الأسواق وهي سكون (1)

فتحت له أبوابها فسبيلها ... وقف عليه ورزقه مضمون

فعلام أرهقت الورى وأثرتها ... شعواء فيها للهلاك فنون؟ (2)

تالله لو نصرت جيوشك لانطوى ... أجل السلام وأقفر المسكون

سبعون مليونا إذا وزعتها ... بين الحواضر نالنا مليون

ويل لمن يستعمرون بلاده ... الفحط أيسر خطبه والهون (3)

أكثرت من ذكر الإله تورعا ... وزعمت أنك مرسل وأمين

عجبا أتذكره وتملأ كونه ... ويلا لينعم شعبك المغبون

وكذلك القصاب يذكر ربه ... والنصل في عنق الذبيح دفين

(1) الوادع: الساكن المطمئن. ويستعمر، يريد: يعمر. الذي وجدناه في كتب اللغة أنه يقال: أعمره المكان واستعمره فيه، أي جعله يعمره. وفي التنزيل العزيز: (هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أي أذن لكم في عمارتها. ولم نجد في كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم: استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته.

(2) أرهقت الورى: ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون. وشعواء، يريد غارة شعواء أي عامة شاملة.

(3) الهون (بضم الهاء): الذل.

الحرب العظمى

[نشرت في 15 يوليه سنة 1915م]

لاهم إن الغرب أصبح شعلة   من هولها أم الصواعق تفرق (1)

العلم يذكي نارها وتثيرها   مدنية خرقاء لا تترفق (2)

ولقد حسبت العلم فينا نعمة   تأسو الضعيف ورحمة تتدفق (3)

فإذا بنعمة بلاء مرهق   واذا برحمته قضاء مطبق (4)

عجز الرماة عن الرماة فأرسلوا   كسفا يموج بها دخان يخنق (5)

تتعوذ الآفاق منه وتنثني   عنه الرياح ويتقيه الفيلق (6)

وتنابلوا الكيمياء فأسرفوا   وتساجلوا بالكهرباء فأغرقوا (7)

وتنازلوا في الجو حين بدا لهم   أن البسيطة عن مداهم أضيق

نفسوا على الحيتان واسع ملكها   فتفننوا في سبله وتأنقوا (8)

ملكوا مسابحها عليها بعد ما   غلبوا النسور على الجواء وحلقوا (9)

إن كان عهد العلم هذا شأنه   فينا فعهد الجاهلية أرفق

(1) لاهم، أي اللهم. وتفرق: تخاف وتفزع.

(2) يذكي بنارها: يشعلها. والخرقاء: الحمقاء. ويشير إلى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة في الحرب.

(3) تأسو الضعيف، أي تعمل على تقويته وتعالج ضعفه.

(4) مطبق: عام شامل.

(5) يريد «بالكسف»: قطع الدخان من الغازات السامة التي استعملت في الحرب أخيرا، شبهها بكسف السحاب، أي قطعه؛ الواحدة كسفة.

(6) الفيلق: الجيش العظيم.

(7) التنابل: الترامي بالنبل. يشير إلى استعمال المواد الكيميائية وتسخير الكهرباء في الإهلاك والتدمير.

(8) نفس عليه الشيء: حسده عليه ولم يره أهلا له.

(9) الجواء: جمع جو. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات في الحروب.

مظاهرة السيدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيدات في الثورة الوطنية في سنة 1919

ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنية، وتأخر نشرها في الصحف إلى 12 مارس سنة 1929م

خرجن الغواني يحتججـ ... ـن ورحت أرقب جمعهنه
فإذا بهن تخذن من ... سود الثياب شعارهنه
فطلعن مثل كواكب ... يسطعن في وسط الدجنة (1)
وأخذن يجتزن الطريـ ... ـق ودار (سعد) قصدهنه
يمشين في كنف الوقا ... ر وقد أبن شعورهنه
وإذا بجيش مقبل ... والخيل مطلقة الأعنة
وإذا الجنود سيوفها ... قد صوبت لنحورهنه
وإذا المدافع والبنا ... دق والصوارم والأسنة (2)
والخيل والفرسان قد ... ضربت نطاقا حولهنه
فتطاحن الجيشان سا ... عات تشيب لها الأجنة
فتضعضع النسوان والنسوان ... ليس لهن منه (3)
ثم انهزمن مشتتا ... ت الشمل نحو قصورهنه

(1) الدجنة: الظلمة.
(2) الصوارم: السيوف القواطع.
(3) المنة: القوة.

فليهنأ الجيش الفخو ... ر بنصره وبكسرهنه
فكأنما الألمان قد ... لبسوا البراقع بينهنه
وأتوا (بهندنبرج) مخـ ... ـتفيا بمصر يقودهنه (1)
فلذاك خافوا بأسهن ... وأشفقوا من كيدهنه

أيا صوفيا

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك، وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة.

[وتأخر نشر هذه القصيدة إلى سنة 1932م]

(أيا صوفيا) حان التفريق فاذكري ... عهود كرام فيك صلوا وسلموا (3)
إذا عدت يوما للصليب وأهله ... وحلى نواحيك المسيح ومريم (4)
ودقت نواقيس وقام مزمر ... من الروم في محرابه يترنم
فلا تنكري عهد المآذن إنه ... على الله من عهد النواقيس أكرم

(1) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(2) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(3) أيا صوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح الكنيسة الأولى في الشرق فحولها العثمانيون مسجدا.

(4) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

تباركت، (بيت المقدس) جذلان آمن ... ولا يأمن (البيت العتيق) المحرم (1)

أيرضيك أن تغشي سنابك خيلهم ... حماك وأن يمنى (الحطيم) و(زمزم)؟ (2)

وكيف بذل المسلمون وبينهم ... كتابك يتلى كل يوم ويكرم؟

نبيك محزون وبيتك مطرق ... حياء وأنصار الحقيقة نوم

عصينا وخالفنا فعاقبت عادلا ... وحكمت فينا اليوم من ليس يرحم

مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتننتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوروبا قاطعا المفاوضة مع الإنجليز ومستقيلا من الوزارة. نشرت في **15** ديسمبر سنة **1921** وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها.

وقف الخلق ينظرون جميعا ... كيف أبني قواعد المجد وحدي

وبناة الأهرام في سالف الدهـ ... ـر كفوني الكلام عند التحدي

أنا تاج العلاء في مفرق الشر ... ق ودراته فرائد عقدي

أي شيء في الغرب قد بهر النا ... س جمالا ولم يكن منه عندي؟

(1) كنى «ببيت المقدس والبيت العتيق»: عن معابد النصارى ومعابد المسلمين. يقول: إن معابد النصارى في فرح وأمن، ومعابد المسلمين في خوف وفزع.

(2) سنابك الخيل: أطراف حوافرها؛ الواحد سنبك. ويمنى: يبتلى ويصاب. والحطيم: ما بين الركن وزمزم والمقام. جعل سقوط الأستانة في يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام، لأن سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولايتها.

(3) العلاء (بالفتح والمد): الرفعة والشرف. والمفرق (كمقعد ومجلس): وسط الرأس. والفرائد: الجواهر التي لا توائم لها لنفاستها؛ الواحدة فريدة. ويريد «بدراته»: ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها.

فترابي تبر ونهري فرات ... وسمائي مصقولة كالفرند (1)
أينما سرت جدول عند كرم ... عند زهر مدنر عند رند (2)
ورجالي لو أنصفوهم لسادوا ... من كهول ملء العيون ومرد (3)
لو أصابوا لهم مجالا لأبدوا ... معجزات الذكاء في كل قصد
إنهم كالظبا ألح عليها ... صدأ الدهر من ثواء وغمد (4)
فإذا صقيل القضاء جلاها ... كن كالموت ماله من مرد (5)
أنا إن قدر الله مماتي ... لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي
ما رماني رام وراح سليما ... من قديم عناية الله جندي
كم بغت دولة عليا وجارت ... ثم زالت وتلك عقبى التعدي
إنني حرة كسرت قيودي ... رغم رقبى العدا وقطعت قدي (6)
وتماثلت للشفاء وقد دا ... نيت حيني وهيأ القوم لحدي (7)
قل لمن أنكروا مفاخر قومي ... مثل ما أنكروا مآثر ولدي
هل وقفتم بقمة الهرم الأكـ ... ـبر يوما فريتم بعض جهدي؟ (8)

(1) الفرات: العذب. والفرند: السيف

(2) مدنر، أي مختلف الألوان، أو مشرق متلألئ. والرند: شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له: الغار.

(3) ملء العيون، أي تعجبك مناظرهم. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته.

(4) الظبا: جمع ظبة؛ وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والثواء: طول المكث.

(5) الصيقل: شاحذ السيوف وجاليها؛ والجمع صياقل وصياقلة.

(6) رقبى العدا، أي مراقبتهم لي. والقد: القيد يقد من جلد.

(7) الحين (بالفتح): الهلاك.

(8) فريتم، أي فرأيتم.

هل رأيتم تلك النقوش اللواتي   أعجزت طوق صنعة المتحدي؟ (1)
حال لون النهار من قدم العهـ   ـد وما مس لونها طول عهد (2)
هل فهمتم أسرار ما كان عندي   من علوم مخبوءة طي بردي؟ (3)
ذاك فن التحنيط قد غلب الدهـ   ـر وأبلى البلي وأعجز ندي
قد عقدت العهود من عهد فرعو   ن ففي (مصر) كان أول عقد (4)
إن مجدي في الأوليات عريق   من له مثل أولياتي ومجدي؟ (5)
أنا أم التشريع قد أخذ الرو   مان عني الأصول في كل حد (6)
ورصدت النجوم منذ أضاءت   في سماء الدجى فأحكمت رصدي (7)
وشدا (بنثور) فوق ربوعي   قبل عهد اليونان أو عهد (نجد) (8)

(1) الطوق: الطاقة والجهد. والمتحدي: المعارض الذي ينازعك الغلبة والفخر.

(2) حال: تغير وتحول.

(3) البردي (بالتشديد وخفف للشعر): نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما.

(4) يشير إلى المخالفة التي عقدت بين رمسيس الثاني ملك الحثيين سنة 1250ق م على أن يمسكا عن الحروب، وأن يكونا صديقين إلى الأبد. وقد حددا في تلك المحالفة حدود أملاكهما، وهي أقدم محالفة عرفت في التاريخ.

(5) الأوليات، أي السنين الأولى.

(6) يشير إلى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم، وقد وفد إليهم واضعي القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان، وعن اليونان أخذ الرومان.

(7) كان المصريون من أقدم الأمم التي اشتغلت بعلم الفلك؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أممهم أخذت هذا العلم عن المصريين؛ وقد عثر في بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها.

(8) بنتاءور: أقدم شاعر عرفه التاريخ، وهو مصري. و«قبل عهد اليونان»... إلخ، أي قبل شعراء اليونان وشعراء العرب.

وقديما بنى الأساطيل قومي ففرقن البحار يحملن بندي (**1**)

قبل أسطول (نلسن) كان أسطو لي سريا وطالعي غير نكد (**2**)

فسلوا البحر عن بلاء سفيني وسلوا البر عن مواقع جردي (**3**)

اتراني وقد طويت حياتي في مراس لم ابلغ اليوم رشدي؟

أي شعب أحق مني بعيش وارف الظل أخضر اللون رغد؟ (**4**)

أمن العدل أنهم يريدون الـ ـماء صفوا وأن يكدر وردي؟

أمن الحق أنهم يطلقون الـ ـأسد منهم وأن تقيد أسدي؟

نصف قرن إلا قليلا أعاني ما يعاني هوانه كل عبد

نظر الله لي فأرشد أبنا ئي فشدوا إلى العلا أي شد

إنما الحق قوة من الد يان أمضى من كل أبيض هندي (**5**)

قد وعدت العلا بكل أبي من رجال فأنجزوا اليوم وعدي

أمهروها باروح فهي عروس تشنأ المهر من عروض وتقيد (**6**)

(**1**) فرقن البحر: شققنها. والبند: العلم الكبير. وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية، فأتموا سياحتهم في ثلاث سنين.

(**2**) نلسن، هو أمير البحر الإنجليزي الذي أحرق أسطول نابليون بونابرت في موقعة أبي قير المعروفة. والنكد: الشؤم.

(**3**) الجرد: الخيل. ويريد الجيوش البرية.

(**4**) الوارف من الظلال: الواسع الممتد.

(**5**) الأبيض الهندي: السيف.

(**6**) تشنأ: تكره. والعروض: جمع عرض (بالتحريك)، وهو كل شيء سوى الدراهم والدنانير.

وردوا بي مناهل العز حتى يخطب النجم في المجرة ودي (1)
وارفعوا دولتي على العلم والأخـ ـلاق فالعلم وحده ليس يجدي (2)
وتواصوا بالصبر فالصبر إن فا رق قوما فما له من مسد (3)
خلق الصبر وحده نصر القو م وأغنى عن اختراع وعد (4)
شهدوا حومة الوغى بنفوس صابرات وأوجه كغير ربد (5)
فمحا الصبر آية العلم في الحر ب وأنحى على القوي الأشد (6)
إن في الغرب أعينا راصدات كحلتها الأطماع فيكم بسهد (7)
فوقها مجهر يريها خفايا كم ويطوي شعاعه كل بعد (8)
فاتقوها بجنة من وئام غير رث العرا وسعي وكد (9)
واصفحوا عن هنات من كان منكم رب هاف هفا على غير عمد (10)

(1) «يخطب النجم... إلخ»: كناية عن العلوّ والرفعة.

(2) يجدي: ينفع.

(3) من مسدّ، أي من شيء يقوم مقامه.

(4) يريد «بالقوم»: الإنجليز، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة.

(5) الوغى: الحرب، لما فيها من الجلبة والصوت. وحومتها: ساحتها. وربد: عابسة متجهمة؛ الواحد أربد.

(6) يريد «بآية العلم»: ما اخترعه العلم من أسلحة. وأنحي عليه: أقبل عليه بالأضعاف والإهلاك. ويريد «بالقوي الأشد»: الألمان.

(7) «حكتها الأطماع... إلخ»، أي إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم، تتحين بكم الفرص.

(8) المجهر: المنظار.

(9) الجنة (بالضم): ما وقاك في الحرب. والرث: البالي. ويريد «بالعرا»: الصلات والروابط، الواحدة عروة.

(10) الهنات: جمع هنة، وهي اليسير المحتمل من الزلات، ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذي بدأت بوادره في ذاك الحين على رئاسة المفاوضات الرسمية.

نحن نجتاز موقفا تعثر الآ راء فيه وعثرة الرأي تردي (1)
ونعير الأهواء حربا عوانا من خلاف والخلف كالسل يعدي (2)
ونثير الفوضى على جانبيه فيعيد الجهول فيها ويبدي (3)
ويظن الغوى أن لا نظام ويقول القوي قد جد جدي
فقفوا فيه وقفة الحزم وارموا جانبيه بعزمة المستعد
إننا عند فجر ليل طويل قد قطعناه بين سهد ووجد
غمرتنا سود الأهاويل فيه والأماني بين جزر ومد (4)
وتجلى ضياؤه بعد لأي وهو رمز لعهدي المسترد (5)
فاستبينوا قصد السبيل وجدوا فالمعالي مخطوبة للمجد (6)

تصريح 28 فبراير

[نشرت في أول إبريل سنة 1922م]

مالي أرى الأكمام لا تفتح والروض لا يذكو ولا ينفح (7)
والطير لا تلهو بتدويمها في ملكها الواسع أو تصدح (8)

(1) تردي: تهلك.

(2) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد أخرى، كأنهم جعلوا الأولى بكرا، وهي أشدّ الحروب.

(3) الضمير في قوله «جانبيه» يعود على قوله «موقفا» المتقدم ذكره.

(4) الأهاويل: جمع أهوال.

(5) بعد لأي، أي بعد إبطاء واحتباس ومشقة.

(6) قصد السبيل: الطريق المستقيم.

(7) الأكمام: جمع كم (بكسر الكاف)، وهو غطاء الزهر. ويذكو: تسطع رائحته. وينفح طيبه. ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة «نفح» بتشديد الفاء؛ فلعل حافظا رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين.

(8) تدويم الطائر: تحليقه في الهواء. وتصدح: ترفع صوتها بالغناء.

والنيل لا ترقص أمواهه ... فرحى ولا يجري بها الأبطح (1)
والشمس لا تشرق وضاءة ... تجلو هموم الصدر أو تنزح (2)
والبدر لا يبدو على ثغره ... من بسمات اليمن ما يشرح
والنجم لا يزهر في أفقه ... كأنه في غمرة يسبح (3)
ألم يجئها نبأ جاءنا ... بأن مصر حرة تمرح؟ (4)
أصبحت لا أدري على خبرة ... أجدت الأيام أم تمزح؟
أموقف للجد نجتازه ... أم ذاك للاهي بنا مسرح؟
ألمح لاستقلالنا لمعة ... في حالك الشك فأستروح (5)
وتطمس الظلمة آثارها ... فأنثني أنكر ما ألمح
قد حارت الأفهام في أمرهم ... إن لمحوا بالقصد أو صرحوا (6)
فقائل لا تعجلوا إنكم ... مكانكم بالأمس لم تبرحوا (7)
وقائل أوسع بها خطوة ... وراءها الغاية والمطمح
وقائل أسرف في قوله: ... هذا هو استقلالكم فافرحوا

(1) الأمواه: جمع ماه. والأبطح: المسيل الواسع للماء.
(2) وضاءة: ذات حسن وبهجة. وتنزح (من بابي منع وضرب)، أي تنزح الهم وتفنيه وتذهبه، وأصله من نزح البئر، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل.
(3) يزهر: يضيء ويتلألأ. ويريد «بالغمرة»: الماء الكثير.
(4) تمرح: من المرح (بالتحريك)، وهو شدّة الفرح.
(5) الحالك: الشديد السواد. واستروح إلى الشيء: سكن إليه واطمأن.
(6) الضمير في «أمرهم» للإنجليز.
(7) لا تعجلوا، أي لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح.

إن وسائل العقل يقل عاهدوا   واستوثقوا في عهدكم تربحوا

وأسسوا دارا لنوابكم   للرأي فيها والحجا أفسحوا (1)

ولتذكر الأمة ميثاقها   ألا ترى عزتها تجرح

وتنتخب صفوة أبنائها   فمنهم المخلص والمصلح

وليتق الله أولو أمرها   أن يسكتوا الأصوات أو يرفحوا (2)

أو تسألوا القلب يقل حاذروا   وصابروا أعداءكم تفلحوا (3)

إني أرى قيدا فلا تسلموا   أيديكم فالقيد لا يسجح (4)

إن هيأوه من حرير لكم   فهو على لين به أفدح

حتام – والصبر له غاية –   لغيرنا من بئرنا نمتح؟

حتام _ والأموال مشفوهة –   نمنح إلا (مصر) ما نمنح؟ (6)

حتام يمضي أمرنا غيرنا   وذاك بالأحرار لا يملح؟

(1) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال: أفسحت له في المكان (الهمز في أوّله)، والذي وجدناه أنه يقال: فسحت له فيه. قال تعالى: (فافسحوا يفسح الله لكم).

(2) يريد بقوله «يرفحوا»: أنهم ينفون من خالقهم في سياستهم إلى رفح (بالتحريك)، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح.

(3) صابروا أعداءكم، أي غالبوهم في الصبر.

(4) لا يسجح، أي لا يفرج عمن تقيد به ولا يفلته.

(5) متح الماء من البئر يمتحه متحا: استخرجه منها.

(6) المشفوه: الذي كثرت عليه الأيدي حتى استنفد.

أساء بعض الناس في بعضهم ... ظنا وقد أمسوا وقد أصبحوا (1)
فانتهزت أعداؤنا نهزة ... فينا وما كانت لهم تسنح (2)
فالرأي كل الرأي أن تجمعوا ... فإنما إجماعكم أرجح
وكل من يطمع في صدعكم ... فإنه في صخرة ينطح (3)
أخشى إذا استكثرتم بينكم ... من قادة الآراء أن تفضحوا
فلتقصدوا ما اسطعتم فيهم ... فإنما في القلة المنجح

عيد الاستقلال

[نشرت في 15 مارس سنة 1923م تحت عنوان: (بين اليقظة والمنام)]

أشرق فدتك مشارق الإصباح ... وأمط لثامك عن نهار ضاحي (4)
بوركت يا يوم الخلاص ولا ونت ... عنك السعود بغدوة ورواح
بالله كن يمنا وكن بشرى لنا ... في رد مغترب وفك سراح (5)

(1) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية. وخبر «أمسوا» «وأصبحوا» محذوف للعلم به، أي أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة.

(2) النهزة: الفرصة. وتسنح: تلوح.

(3) يقال: نطح في صخرة، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق. وأصله من قول الأعشى:

كناطح صخرة يوما ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(4) أمط لثامك، أي اكشف قناعك؛ يخاطب عيد الاستقلال. والنهار الضاحي: المشرق.

(5) يشير بقوله «في رد مغترب... إلخ»: إلى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك في جبل طارق بعد أن كان مع صحبه في جزيرة سيشل.

أقبلت والأيام حولك مثل صفين تخطر خطرة المياح (1)
وخرجت من حجب الغيوب محجلا في كل لحظ منك ألف صباح (2)
لو صح في هذا الوجود تناسخ لرأيت فيك تناسخ الأرواح
ولكنت يوم (اللابرنت) بعينه في عزة وجلالة وسماح (3)
يوم يريك جلاله ورواؤه في الحسن قدرة فالق الإصباح (4)
خلعت عليه الشمس حلة عسجد وحباه (آذار) أرق وشاح (5)
الله أثبته لنا في لوحه أبد الأبيد فما له من ماحي (6)
حييه عنا يا أزاهر واملئي أرجاءه بأريجك الفواح (7)
وانفحه عنا يا ربيع بكل ما أطلعت من رند ونور أقاح (8)
ته يا (فؤاد) فحول عرشك أمة عقدت خناصرها على الإصلاح (9)
أبناؤها – وهم أحاديث الندى _ ليسوا على أوطانهم بشحاح (10)
صبروا على مر الخطوب فأدركوا حلو المنى معسولة الأقداح

(1) المياح: المتبختر في مشيته، وهو ضرب حسن من المشي.
(2) محجلا: مضيئا وأصله من التحجيل في الخيل، وهو بياض في قوائمها.
(3) اللابرنت: قصر أمنمحتب الثاني الذي اشتهر في قديم الزمان بعظمته، وكان مقرا للحكومة. ويريد «بيومه»: أيام أمنمحتب التي كانت كلها خيرا وبركة على مصر.
(4) فالق الإصباح: هو الله تعالى.
(5) المسجد: الذهب. وآذار: شهر من شهور السنة المسيحية معروف، تكثر فيه الأزهار.
(6) أبد الأبيد: كناية عن الدوام.
(7) أريج الأزهار: رائحته.
(8) الرند: شجر طيب الرائحة من شجر البادية. والأقاحي: جمع أقحوان، وهو نبات له زهر أبيض، وأوراق زهره صغيرة مفلجة؛ وتشبه به الثغور.
(9) عقد الخناصر على الأمر: كناية عن الإجماع على القيام به.
(10) الندى: الجود. وشحاح: بخلاء.

شاكسي سلاح الصبر ليس بأعزل　　　يغزوه رب عوامل وصفاح (1)

الصبر – إن فكرت – أعظم عدة　　　والحق – لو يدرون – خير سلاح

قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى　　　إنكار ذاك الحق في إصحاح؟ (2)

كم خدرت أعصاب مصر نوافح　　　لوعودهم كنوافح التفاح (3)

فتعلل المصري مغتبطا بها　　　أرأيت طفلا عللوه بداح؟

وتأنقوا في الخلف حتى أصبح　　　أقوالهم تجرى بغير رياح (5)

لما تنبه بالكنانة نائم　　　وأصات بالشكوى الأليمة صاحي (6)

وتكشفت تلك الغياهب وانطوت　　　وبدت شموس الحق وهي ضواحي (7)

علموا بحمد الله أن قرارنا　　　في ظل غير الله غير متاح (8)

فاليوم قري يا كنانة واهدئي　　　حرم الكنانة لم يكن بمباح

من ذا يغير على الأسود بغابها　　　أو من يعوم بمسبح التمساح؟

(1) شاكي سلاح الصبر، أي المتسلح به. والعوامل: هي صدور الرماح مما يلي أسنتها، الواحد عامل وعاملة. والصفاح: السيوف. يقول: إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذو الرمح والسيف.

(2) الإصحاح: من الإقسام التي تنقسم إليها أسفار التوراة والإنجيل. يقول: هل أحل لكم إنكار حق الضعيف في كتاب سماوي؟

(3) نوافح التفاح: روائحه. وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منوّمة، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به.

(4) الداح: نقش يلوح به للصبيان يعللون به.

(5) تأنقوا في الخلف، أي أتقنوه. وتذري: تطير وتنتثر.

(6) أصات: صوت وصاح.

(7) الغياهب: الظلمات، الواحد غيهب. والضواحي: المشرقة.

(8) غير متاح: غير ممكن.

للنيل مجد في الزمان مؤثل من عهد (آمون) وعهد (فتاح) (1)
فسل العصور به وسل آثاره في (مصر) كم شهدت من السياح
يا صاحب القطرين غير مدافع ما مثل ساحك في العلا من ساح (2)
لم يبدو فوق نور يجتلي كالتاج فوق جبينك الوضاح (3)
ذكرت بعرشك (مصر) يوم وليته عرش (المعز) بها وعرش (صلاح) (4)
في كل قطر من جلالك روعة ولكل قطر منك ظل جناح (5)
لك (مصر) و(السودان) والنهر الذي يختال بين ربي وبين بطاح
وبواسق (السودان) تشهد أنها غرست بعهد جدودك الفتاح (6)
لا غرو إن غنى بمدحك صائح أو مسجح في حلبة المداح (7)
حسن الغناء مع الصياح كحسنه عند الخبير به مع الإسجاح (8)

(1) المؤثل: المؤصل الثابت. وآمون: كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد إخناتون، وكان اسمه يدمج في أسماء الملوك، فيقال: أمينحتب. وفتاح: يريد به منفتاح ابن رمسيس الثاني.

(2) صاحب القطرين: ملك مصر والسودان.

(3) يجتلي: يرى.

(4) يريد «بالمعز»: المعز لدين الله الخليفى الفاطمي المعروف. و«بصلاح»: السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(5) يشير بهذا البيت إلى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق.

(6) البواسق: الأشجار المرتفعة، الواحدة باسقة.

(7) مسجح، الصواب فيها: ساجح، أي ساجع في غنائه كما تسجع الحمامة، إذ المستعمل في هذا المعنى «سجح» لا «أسجح». يقول: سيان من رفع صوته بمدحك، أو من أرسله في هدوء ولين.

(8) يريد بالإسجاح: السجع بالغناء، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه.

أو لم يكن ملك مصر ونيلها ... ينساب بين مروجها الأفياح؟ (1)
منضورة الجنات حالية الربا ... مطلولة السرحات والأرواح (2)
قد قال (عمرو) في ثراها آية ... مأثورة نقشت على الألواح: (3)
بينا تراه لآلئا وكأنما ... نثرت بتربته عقود ملاح
وإذا به للناظرين زمرد ... يشفيك أخضره من الأتراح
وإذا به مسك تشق سواده ... شق الأديم محارث الفلاح (4)
البرلمان تهيأت أسبابه ... لم يبق من سبب سوى المفتاح
هو في يديك وديعة لرعية ... تثني بألسنة عليك فصاح
رد الوديعة يا (فؤاد) فإنما ... رد الوديعة شيمة المسماح (5)
وانهض بشعبك يا (فؤاد) إلى العلا ... وإلى مكان في الوجود براح (6)

(1) المروج: الأراضي الواسعة فيها نبت كثير. والأفياح، أي الواسعة.

(2) منضورة: حسنة بهيجة. وحالية الربا، أي مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات. ومطلولة، أي أصابها الطل، وهو المطر الضعيف الخفيف. والسرحات: جمع سرحة: وهي الشجرة العظيمة. والأرواح: الرياح.

(3) يريد «بعمرو»: عمرو بن العاص فاتح مصر. ويشير «بالآية»: إلى ما روي من أن عمروا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعاني التي يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد.

(4) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى أحوال ثلاث: حال تربة مصر أيام أيام الفيضان والماء يغمرها، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء، فشبهها في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه، وفي الثانية بالزمرد في خضرته، وفي الثالثة بالمسك في سواده. وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر.

(5) المسماح: الكثير السماح.

(6) البراح: المكان الذي لا سترة فيه من شجر وغيره، يريد مكانا ظاهرا للعالم.

فالله يشهد والخلائق أننا ... طلاب حق في الحياة صراح (1)
هذا منار البرلمان أمامكم ... لهدى السبيل كإبرة الملاح (2)
فتيمموه مخلصين فما لكم ... من دونه من غبطة وفلاح (3)
الفضل للشورى وتلك هي التي ... تزع الهوى وترد كل جماح (4)
هي لا تضل سبيلها فكأنما ... خلق السبيل لها بغير نواحي
هي – لا براح – ترد كيد عدوكم ... وتفل غرب الغاصب المجتاح (5)
فتكنفوا الشورى على استقلالكم ... في الرأي لا توحيه نزعة واحي (6)
ويد الإله مع الجماعة فاضربوا ... بعصا الجماعة تظفروا بنجاح
كونوا رجالا عاملين وكذبوا ... والصبح أبلج، حامل المصباح (7)
ودعوا التخاذل في الأمور فإنما ... شبح التخاذل أنكر الأشباح

(1) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح): المحض الخالص الذي لا شائبة فيه.

(2) إبرة الملاح: هي التي يتبين بها الجهات ويهتدي بها في السير.

(3) تيمموه، أي اقصدوا إليه.

(4) تزع الهوى: تكفه وتزجره.

(5) لا براح، أي لا ريب. وتفل: تثلم وتكسر. والغرب: الحدّ.

(6) تكنفوا الشورى: أحيطوا بها والزموها. وقوله «لا توحيه نزعة واحي»، أي اصدروا عن رأيكم ولا تتلقوا الأمر عن غيركم. والواحي: من وحيت إليه الكلام، بمعنى أوحيته إليه.

(7) يريد «بحامل المصباح»: الفيلسوف اليوناني ديوجينيس المولود سنة 412ق.م والمتوفي سنة 323 ق.م. وكان قد خرج يوما في رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل. يقول: كذبوا هذا الفيلسوف الذي ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه.

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى بسوى خلاف بيننا وتلاحي (1)
قم يا بن (مصر) فأنت حر واستعد مجد الجدود ولا تعد لمراح (2)
شمر وكافح في الحياة فهذه دنياك دار تناحر وكفاح
وانهل مع النهال من عذب الحيا فإذا رقا فامتح مع المتاح (3)
وإذا ألح عليك خطب لا تهن واضرب على الإلحاح بالإلحاح (4)
وخض الحياة وإن تلاطم موجها خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائدا لا تحسبن الغمر كالضحضاح (5)
وإذا اجتوتك محلة وتنكرت لك فاعدها وانزح مع النزاح (6)
في البحر لا تثنيك نار بوارج في البر لا يلويك غاب رماح
وانظر إلى الغربي كيف سمت به بين الشعوب طبيعة الكداح (7)
والله ما بلغت بنو الغرب المنى إلا بنيات هناك صحاح
ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها والجو بين تناوح الأرواح (8)

(1) التلاحي: التخاصم.

(2) يريد «بالمراح»: الأخذ في أسباب الفرح واللهو.

(3) انهل: اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. والحيا: المطر. ورقا (مسهل من رقأ بالهمز)، بمعنى جف وانقطع. والمتح: نزح الماء من البئر. ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها.

(4) لا تهن، أي لا تذل ولا تضعف.

(5) الغمر: الماء الكثير. والضحضاح: الماء القريب الغور.

(6) اجتواه: كرهه. يقول: إذا نبا بك منزل، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين.

(7) الكداح: الجادّ المجتهد في العمل.

(8) تناوح الأرواح: اختلاف مهاب الرياح.

والبر مصهور الحصى متأججا　　يرمي بنزاع الشوى لواح (1)
يلقى فتيهم الزمان بهمة　　عجب ووجه في الخطوب وقاح (2)
ويشق أجواز القفار مغامرا　　وعر الطريق لديه كالصحصاح (3)
وابن الكنانة في الكنانة راكد　　يرنو بعين غير ذات طماح (4)
لا يستغل – كما علمت – ذكاءه　　وذكاؤه كالخاطف اللماح (5)
أمسى كماء النهر ضاع فراته　　في البحر بين أجاجه المنداح (6)
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح　　في فادح البؤسى مع الأنواح (7)
واربح لمصر برأس مالك عزة　　إن الذكاء حبالة الأرباح (8)
وإذا رزقت رئاسة فانسج لها　　بردين من حزم ومن إسجاح (9)
واشرب الماء القراح منعما　　فلكم وردت الماء غير قراح (10)

(1) المصهور: الذي أصابه الحر وحمي عليه. والمتأجج: الملتهب. والشوي: اليدان والرجلان وقحف الرأس. يصف البر بأنه يقذف بحرّ شديد ينزع الشوى. وفي القرآن في وصف النار: (كلا إنها لظى نزاعة للشوى). ولواح، أي حرّ مغير للألوان.

(2) وقاح: مجترئ.

(3) أجواز القفار: أوساطها، الواحد جوز. والصحصاح: ما استوى من الأرض.

(4) يرنو: ينظر. والطماح: الطموح والتطلع إلى المجد.

(5) الخاطف اللماح: البرق.

(6) الفرات: العذب. والأجاج: الشديد الملوحة. والمنداح: المنبسط المتسع.

(7) يقال: فدحه الأمر، إذا أثقله وبهظه. والأنواح: النائحات.

(8) حبالة الصائد: الشرك الذي يصيد به.

(9) الإسجاح: حسن العفو.

(10) الماء القراح: الصافي الخالص. يريد العيش الصافي من الأكدار.

من قصيدة في شؤون مصر السياسية

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته إلى المعاش في سنة 1923م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قد مر عام يا سعاد وعام وابن الكنانة في حماه يضام
صبوا البلاء على العباد فنصفهم يجبي البلاد ونصفهم حكام
أشكى إلى (قصر الدوبارة) ما جنى (صدقي الوزير) وما جنى (علام) (1)

ومنها في الإنجليز:

قل للمحايد هل شهدت دماءنا تجري وهل بعد الدماء سلام؟ (2)
سفكت مودتنا لكم وبدا لنا أن الحياد على الخصام لثام
إن المراجل شرها لا يتقي حتى ينفس كربهن صمام (3)
لم يبق فينا من يمني نفسه بودادكم فودادكم أحلام
أمن السياسة والمروءة أننا نشقى بكم في أرضنا ونضام؟
إنا جمعنا للجهاد صفوفنا سنموت أو نحيا ونحن كرام

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدقي باشا

ودعا عليك الله في محرابه الشيخ والقسيس والحاخام
لا هم أحي ضميره ليذوقها غصصا وتنسف نفسه الآلام

(1) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب. ويشير بقوله «وما جنى علام»: إلى كل ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب.

(2) أشار بقوله «المحايد»: إلى أن الإنجليز في هذه الفترة التي قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدّعون الحياد في الشؤون المصرية.

(3) المراجل: القدور.

إلى الإنجليز:

[نشرت في 9 مارس سنة 1923م]

بنيتم على الأخلاق أساس ملككم فكان لكن بين الشعوب ذمام (1)
فمالي أرى الأخلاق قد شاب قرنها وحل بها ضعف ودب سقام (2)
أخاف عليكم بعد نهضة فليس لملك الظالمين دوام
أضعتم وداد لو رعيتم عهوده لما قام بين الأمتين خصام
أبعد حياد لا رعى الله عهده وبعد الجروح الناغرات وئام (3)
إذا كان في حسن التفاهم موتنا فليس على باغي الحياة ملام (4)

إلى المندوب السامي

[نشرت في 11 مارس سنة 1923م]

ألم تر في الطريق إلى (كياد) تصيد البط بؤس العالمينا؟ (5)
ألم تلمح دموع الناس تجري من البلوى ألم تسمع أنينا؟
ألم تخبر بني التاميز عنا وقد بعثوك مندوبا أمينا
بأنا قد لمسنا الغدر لمسا وأصبح ظننا فيكم يقينا؟

(1) الذمام: الحق والحرمة.

(2) القرن: الذؤابة من الشعر.

(3) الناغرات: الداميات.

(4) يقول: إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا، لأن فيه حياتنا.

(5) كياد: بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب إليها المندوب السامي وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور.

كشفنا عن نواياكم فلستم وقد برح الخفاء محايدينا (1)
سنجمع أمرنا وترون منا لدى الجلي كراما صابرينا (2)
ونأخذ حقنا رغم العوادي تطيف بنا ورغم القاسطينا (3)
ضربتم حول قادتنا نطاقا من النيران يعيي الدارعينا (4)
على رغم المروءة قد ظفرتم ولكن بالأسود مصفدينا (5)

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشؤون المصرية

[نشرت في 14 إبريل سنة 1932م]

لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم فمصابكم ومصابنا سيان (6)
حاربتم أخلاقكم لتحاربوا أخلاقنا فتألم الشعبان (7)

(1) لم نجد في كتب اللغة (النوايا) جمع نية، كما استعمله الشاعر هنا، وهو جمع شائع في كلام أهل العصر، وهو من غلطاتهم؛ والقياس: نيات. وبرح الخفاء، أي وضح الأمر وتبين.

(2) الجلي: النازلة الشديدة.

(3) القاسطون: الظالمون.

(4) الدارعون: لابسو الدروع. يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفي واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود.

(5) المصفد: المقيد.

(6) يخاطب الإنجليز في هذا البيت ويقول: إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة، فلا تدّعوها لكم بعد، فمصابكم في الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باحتلالكم.

(7) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الانجليز في هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف. وبالأخلاق المضافة إلينا، إلى ما أظهرناه في نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد. يقول: إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر في سبيل محاربة أخلاقنا، فكلا الشعبين متألم، لأنه يحارب فيما طبع عليه.

ثمن الحياد

[نشرت في 4 إبريل سنة 1032م]

لقد طال الحياد ولم تكفوا ... أما أرضاكم ثمن الحياد؟
أخذتم كل ما تبغون منا ... فما هذا التحكم في العباد؟
بلونا شدة منكم ولينا ... فكان كلاهما ذر الرماد
وسالمتم وعاديتم زمانا ... فلم يغن المسالم والمعادي
فليس وراءكم غير التجني ... وليس أمامنا غير الجهاد

إلى الإنجليز

[نشرت في 28 إبريل سنة 1932م]

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا ... واطمسوا النجم واحرمونا النسيما
واملئوا البحر إن أردتم سفينا ... واملئوا الجو إن أردتم رجوما
وأقيموا للعسف في كل شبر ... (كنستبلا) بالسوط يفري الأديما (1)
إننا لن نحول عن عهد مصر ... أو ترونا في الترب عظما رميما
عاصف صان ملككم وحماكم ... وكفاكم بالأمس خطبا جسيما

(1) العسف: الظلم والأخذ بالقوة. ويفري الأديم: يشق الجلد.

غال (أرمادة) العدو ففزتم وبلغتم في الشرق شأوا عظيما (1)
فعدلتم هنيهة وبغيتم وتركتم في النيل عهدا ذميما
فشهدنا ظلما يقال له العد ل وودا يسقي الحجيم الحميما (2)
فاتقوا غضبة العواصف إني قد رأيت المصير أمسى وخيما

الحياد الكاذب

[نشرت في سنة 1932م]

(قصر الدوبارة) قد نقضـ ـت العهد نقض الغاصب
أخفيت ما أضمرته وأبنت ود الصاحب
الحرب أروح للنفو س من الحياد الكاذب

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسي كان قد زعم أن جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كم حددوا يوم الجلاء الذي أصبح في الإبهام كالمحشر
وسن قوم الطيش من جهلهم كذبة (إبريل لأكتوبر)

(1) غال: أهلك. وأرمادة: هي الأسطول الإسباني الذي كان يريد مهاجمة الأسطول الإنجليزي في القرن السادس عشر، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته. وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذي قبله. ويشير بقوله «وبلغتم في الشرق»: إلى كثرة مستعمرات الإنجليز فيه.

(2) يريد «بالحميم»: الأوّل: الصديق. و«بالحميم» الثاني: الشراب الشديد الحرارة.

الامتيازات الأجنبية

سكت فأصغروا أدبي وقلت فأكبروا أربي (1)
وما أرجوه من بلد به ضاق الرجاء وبي؟
وهل (في مصر) مفخرة سوى الألقاب والرتب؟
وذي إرث يكاثرنا بمال غير مكتسب
وفي الرومي موعظة لشعب جد في اللعب (3)
يقتلنا بلا قود ولا دية ولا رهب (4)
ويمشي نحو رايته فتحميه من العطب (5)
فقل للفاخرين: أما لهذا الفخر من سبب؟
أروني بينكم رجلا ركينا واضح الحسب (6)
أروني نصف مخترع أروني ربع محتسب؟ (7)
أروني ناديا حفلا بأهل الفضل والأدب؟
وماذا في مدارسكم من التعليم والكتب؟

(1) الأرب: العقل.

(2) كاثره بماله: فاخره بكثرته.

(3) يريد «بالشعب»: الشعب المصري. وجدّ في اللعب: أي استمر عليه وواظب.

(4) القود: القصاص. والرهب (بالتحريك): الخوف.

(5) العطب: الهلاك.

(6) الركين: الرزين.

(7) يريد «بالمحتسب»: العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه؛ ومنه قولهم: فلان محتسب البلد».

وماذا في مساجدكم   من التبيان والخطب؟
وماذا صحائفكم   سوى التمويه والكذب؟
حصائد ألسن جرت   إلى الويلات والحرب (1)
فهبوا من مراقدكم   فإن الوقت من ذهب
فهذي أمة (اليابا   ن) جازت دارة الشهب (2)
فهامت بالعلا شغفا   وهمنا بابنة العنب (3)

(1) حصائد الألسنة: ما تقتطعه من الكلام الذي لا خير فيه، الواحدة حصيدة، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جذ. وفي حديث معاذ: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم». والحرب «بالتحريك»: الهلاك.

(2) الدارة: المنزل.

(3) ابنة العنب: الخمر.

الشكوى

إلى محمد الشيمي بك المحامي بطنطا

نال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه في أول شبابه قبل انتظامه في سلك المدرسة الحربية، ثم تركه لخلاف وقع بينهما.

جراب حظي قد أفرغته طمعا   بباب أستاذنا (الشيمي) ولا عجبا
فعاد لي وهو مملوء فقلت له: مما؟ فقال من الحسرات واحربا (1)

إلى آدم أبي البشر

سليل الطين كم نلنا شقاء   وكم خطت أناملنا ضريحا (2)
وكم أزرت بنا الأيام حتى   فدت بالكبش (إسحاق) الذبيحا (3)

(1) سكن السين في «الحسرات» لضرورة الوزن، والحرب بالتحريك: الهلاك.

(2) سليل الطين: يريد آدم أبا البشر عليه السلام. وخط القبر: حفره. يقول لآدم: تركت بنيك يعبث بهم الشقاء والفناء.

(3) أزرت بنا الأيام، أي تهاونت بنا، ووضعت من شأننا. وإسحاق الذبيح، هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام؛ وقد اختلف العلماء في الذبيح من ولدي إبراهيم، فقيل: هو إسحاق كما هنا، وقيل: هو إسماعيل. وقصد هذا الذبح والفداء مشهورة، وقد قصها الله تعالى في القرآن، إذ قال تعالى في سورة الصافات: (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات.

وباعت (يوسف) بيع الموالي وألقت في يد القوم (المسيحا) (**1**)
ويا (نوحا) جنيت على البرايا ولم تمنحهم الود الصحيحا (**2**)
علام حملتهم في الفلك هلا تركتهم فكنت لهم مريحا
أصاب رفاقي القداح المعلى وصادف سهمي القدح المنيحا (**3**)
فلو ساق القضاء إلى نفعا لقام أخوه معترضا شحيحا (**4**)

(**1**) يوسف، هو ابن يعقوب عليهما السلام، وأمره مع إخوته من إلقائه في الجب، والتقاط بعض السيارة له، وبيعهم إياه بيع العبيد مشهور، وقد قص الله ذلك في القرآن في سورة يوسف. والموالي: العبيد؛ الواحد مولى. ويريد «بالقوم»: جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام؛ وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن.

(**2**) يشير إلى قصة نبي الله نوح عليه السلام، وأمره مع قومه والطوفان الذي أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه في السفينة مشهور، وقد قص الله تعالى ذلك في القرآن.

(**3**) القدح (بكسر القاف وسكون الدال): واحد القداح، وهي سهام الميسر. والقدح المعلى، هو السهم السابع منها، وهو أفضلها، لأنه إذا خرج حاز سبعة أنصبا والمنيح: سهم من سهام الميسر لا نصيب ولا فرض، وهو الثالث من القداح الغفل التي ليس فرض ولا أنصباه.

(**4**) أخوه، أي أخو القضاء، وهو القدر.

النفس الحزينة

بيتان مترجمان عن (جان جاك روسو) (1)

[نشرا في 23 نوفمبر سنة 1900م]

خلقت لي نفسا فأرصدتها للحزن والبلوى وهذا الشقاء (1)
فامنن بنفس لم يشبها الأسى لعلها تعرف طعم الهناء (3)

سعي بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت في 31 ديسمبر سنة 1900م]

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما وعدت وما أعقبت إلا التندما (4)
لحي الله عهد القاسطين الذي به تهدم من بنياننا ما تهدما (5)
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم فلا تك مصريا ولا تك مسلما
سلام على الدنيا سلام مودع رأى في ظلام القبر أنسا ومغنما

(1) روسو، هو الكاتب الفرنسي المعروف، بطل الحرية وزعيم المساواة. ولد سنة 1712م، وكانت وفاته في 3 يولية سنة 1770م. وله عدة تآليف، منها كتاب الاتفاق الجمهوري، وكتاب إميل، وقاموس في الموسيقى، وآخر في علم النبات، وغيرها.

(2) أرصدتها للحزن: حبستها عليه.

(3) لم يشبها: لم يخالطها. أي امنن علي بنفس أخرى لم تخالطها الأحزان.

(4) يقول: إن تقرحت قدماه من كثرة السعي على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لهما، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم.

(5) القاسطون: الجائرون المائلون عن الحق، ويريد بهم المحتلين وصنائعهم.

أضرت به الأولى فهام بأختها فإن ساءت الأخرى فويلاه منهما (1)
فهبي يا رياح الموت نكبا وأطفئي سراج حياتي قبل أن يتحطما (2)
فما عصمتني من زماني فضائلي ولكن رأيت الموت للحر أعصما (3)
فيا قلب لا تجزع إذا عضك الأسى فإنك بعد اليوم لن تتألما (4)
ويا عين قد آن الجمود لمدمعي فلا سيل دمع تسكبين ولا دما (5)
ويا يد ما كلفتك البسط مرة لذي منة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك في أنمل البلى وإن كنت أحلى في الطروس وأكرما (6)
ويا قدمي ما سرت بي لمذلة ولم ترتقي إلا إلى العز سلما
فلا تبطئي سيرا إلى الموت واعلمي بأن كريم القوم من مات مكرما
ويا نفس كم جشمتك الصبر والرضا وجشمتني أن ألبس المجد معلما (7)
فما اسطعت أن تستمرئي مر طعمه وما اسطعت بين القوم أن أتقدما (8)

(1) يريد «بالأولى»: الدنيا. و«بالأخرى»: الآخرة؛ فإن شقى فيها كما شقي في دنياه فويلاه.

(2) النكب: جمع نكباء، وهي الريح إذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين، وهي ريح مهلكة للزرع والمواشي، حابسة للقطر. ويتحطم: يتكسر.

(3) عصمتني: حفظتني.

(4) يشير بقوله «بعد اليوم»: إلى الموت.

(5) جمود الدمع: انقطاعه أو قلته. قدّر الشاعر في هذا البيت أن ما تمناه من الموت قد وقع، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع.

(6) في أنمل البلى، أي في يد الفناء. والطروس: جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء)، وهو الصحيفة يكتب فيها.

(7) جشمتك: كلفتك. والمعلم من الثياب: الذي فيه أعلام من طراز أو غيره. شبه المجد به في وضوحه وظهوره.

(8) استمرأ الطعام: استطابه واستساغه. ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين في البيت السابق. وبقوله «وما اسطعت بين القوم... إلخ» إلى المجد، في البيت السابق أيضا. يقول لنفسه: إن كلينا لم يستطع القيام بما كلف به.

فهذا فراق بيننا فتجملي فإن الردى أحلى مذاقا ومطعما (1)
ويا صدر كم حلت بذاتك ضيقة وكم جال في أنحائك الهم وارتمى
فهلا ترى في ضيقة القبر فسحة تنفس عنك الكرب إن بت مبرما؟ (2)
ويا قبر لا تبخل برد تحية على صاحب أوفى علينا وسلما (3)
وهيهات يأتي الحي للميت زائرا فإني رأيت الود في الحي أسقما
ويأيها النجم الذي طال سهده وقد أخذت منه السرى أين يمما (4)
لعلك لا تنسى عهود منادم تعلم منك السهد والأين كلما (5)

الإخفاق بعد الكد

وفيها ينعي مجد الترك والعرب، ويشير إلى معان أخرى في الشكوى

[نشرت سنة 1318هـ ـ سنة 1900م]

ماذا أصبت من الأسفار والنصب وطيك العمر بين الوخد والخبب؟ (6)

نراك تطلب لا هونا ولا كثبا ولا نرى لك من مال ولا نشب (7)

(1) تجملي: لا تظهري الجزع.

(2) المبرم: المتضجر.

(3) أوفى، أي أشرف علينا زائرا.

(4) السرى (بضم السين): السير ليلا. ويمم: قصد.

(5) الأين: التعب والإعياء. وفي هذا البيت والذي قبله ينادي الشاعر النجم الذي أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ، ويطلب إليه أن يذكر عهود أليف له في سهره وسيره. وقوله «كلما»، أي كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى.

(6) النصب (بالتحريك): التعب. والوخد: الإسراع في المشي. والخبب (بالتحريك): أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا.

(7) الهون: الهين. والكثب (بالتحريك): القرب. والهون الكثب: صفتان لوصوف محذوف، أي لا طلبا هينا ولا قريبا. والنشب: المال الأصيل.

لا تطعماني أنياب الملام على هذا العثار فإني مهبط العجب (1)
وددت لو طرحوا بي يوم جئتهم في مسبح الحوت أو في مسرح العطب (2)
لعل (ماني) لقى ما أكابده فود تعجيلنا من عالم الشجب (3)
إني احتسبت شبابا بت أنفقه وعزمة شابت الدنيا ولم تشب (4)
كم همت في البيد والآرام قائلة والشمس ترمي أديم الأرض باللهب (5)
وكم لبست الدجى والترب ناعسة والليل أهدأ من جأشي لدى النوب (6)
والنجم يعجب من أمري ويحسبني لدى السرى ثامنا للسبعة الشهب (7)
لكنني غير مجدود وما فتئت يد المقادير تقصيني عم الأرب (8)

(1) «لا تطعماني... إلخ»، أي لا تجعلاني طعمة. وقد شبه الملام، بالأسد ذي الأنياب؛ ونفسه بالفريسة.

(2) تمنى أو طرحه أهله يوم ولادته في قاع البحر أو أي طريق من طرق الهلاك.

(3) ماني، هو ماني الثنوي صاحب مذهب المانوية المشهور. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه ماني من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل، وقد ظهر ماني في أيام سابور بن أردشير، وقتل في زمن بهرام بن سابور. والشجب: الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه.

(4) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمته في أيام الحياة شيئا، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخر له من أجر وثواب.

(5) هام: ذهب على وجهه حائرا لا يدري أين يتوجه. والآرام: الظباء، الواحد: رئم، وهو في الأصل مخصوص بالظبي الخالص البياض. والقائلة: المستكنة وقت الظهيرة لشدة الحرّ؛ ويقال إن الظباء لا تقيل إلا إذا اشتد القيظ. وأديم الأرض: وجهها وظاهرها.

(6) الترب (بضم فسكون): جمع ترباء، بمعنى التراب، وهذا الجمع مطرد في (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة، أنها مستقرة في مكانها لقلة من يثيرها من المارة بالمشي عليها. والجأش: النفس. وقيل: القلب. يصف في الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءا من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر.

(7) الشهب السبعة، هي السيارة، وهي: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. يقول: إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب، حتى كأنه واحد منها.

(8) المجدود: المحظوظ.

وقد غدوت وآمالي مطرحة — وفي أموري ما للضب في الذنب (1)

فإن تكن نسبتي للشرق مانعتي — حظا فواها لمجد الترك والعرب

وقاضبات لهم كانت إذا اخترطت — تدثر الغرب في ثوب من الرهب (2)

وجمرة لهم في الشرق ما همدت — ولا علاها رماد الختل والكذب (3)

متى أرى (النيل) لا تحلو موارده — لغير مرتهب لله مرتقب

فقد غدت (مصر) في حال إذا ذكرت — جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب (4)

كأنني عند ذكرى ما ألم بها — قرم تردد بين الموت والهرب (5)

إذا تطقت فقاع السجن متكأ — وإن سكت فإن النفس لم تطب (6)

أيشتكي الفقر غادينا ورائحنا — ونحن نمشي على أرض من الذهب

والقوم في (مصر) كالإسفنج قد ظفرت — بالماء لم يتركوا ضرعا لمحتلب (7)

(1) مطرحة، ملقاة منبوذة. ويريد بقوله «وفي أموري.... إلخ»: أن أموره معقدة متعذرة الحل، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد.

(2) القاضبات: السيوف القواطع. واخترط السيف: استله من غمده. وتدثر: التف. والرهب (بالتحريك): الخوف والرعب. يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشي بأسها الغرب.

(3) استعار «الجمرة» في هذا البيت لقوى الدولة وشوكتها وعزها. والختل: الخداع. يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشي غيرها من سياسات دول الغرب.

(4) الرطب (بسكون الطاء) معروف، وتحريكها هنا لضرورة الوزن، ويلاحظ أننا لم نجد ذلك في شعر آخر فيما راجعنا.

(5) القرم: السيد العظيم والبطل الشجاع.

(6) يقول: إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب، وإحجام يعقبه لذع الضمير.

(7) يريد «بالقوم»: الأجانب. يقول: إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء. والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للمرأة، جمعه ضروع.

(يا آل عثمان) ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله إخوان وفي الكتب (1)
تركتمونا لأقوام تخالفنا في الدين والفضل والأخلاق والأدب

حسرة على ما فات

[نشرت في يونيه سنة 1902م]

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا (2)
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت وفي يمين العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا في العز شامخة لا تشرق الشمس إلا في مغانينا (3)
وكان أقصى منى نهر (المجرة) لو من مائه مزجت أقداح ساقينا (4)
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كانوا يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا (5)
حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا (6)

(1) آل عثمان: الترك.
(2) المآقي: جمع مؤق ومأق، وهو مجرى الدمع من العين.
(3) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل الذي غنى به أهله، أي أقاموا.
(4) المجرة: نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء؛ وتشبهها الشعراء بالنهر، كما في هذا البيت.
(5) صروف الدهر: غيره ونوائبه. والنظر الشزر: أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله بوجهك معرضا عنه، أو غاضبا عليه.
(6) النشب: المال والعقار.

وداع الشباب

قال هذه القصيدة في وسط دار مزارع في الجيزة قضى بها بعض أيام شبابه، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحركت في نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت في 26 فبراير سنة 1932م]

كم مر بي فيك عيش لست أذكره ... ومر بي فيك عيش لست أنساه (1)

ودعت فيك بقايا ما علقت به ... من الشباب وما ودعت ذكراه

أهفو إليه على ما أقرحت كبدي ... من التباريح أولاه وأخراه (2)

لبسته ودموع العين طيعة ... والنفس جياشة والقلب أواه (3)

فكان عوني على وجد أكابده ... ومر عيش على العلات ألقاه

إن خان ودي صديق كنت أصحبه ... أو خان عهدي حبيب كنت أهواه

قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به ... والهفتي ونضوب الشيب أغلاه (4)

كم روح الدمع عن قلبي وكم غسلت ... منه السوابق حزنا في حناياه (5)

(1) يقول: قول: إنه مرت به في هذا البيت شؤون وأحوال نسي بعضها وذكر بعضها.

(2) أهفو، أي أميل. والتباريح: ما يعانيه المحب من شدة الشوق.

(3) جياشة: مضطربة بمختلف العواطف. والأواه: الحزين.

(4) أرخصه: جعله رخيصا. والضمير في «به» يعود على الشباب. ونضوب الشيب، أي ذبول العود وجفافه في المشيب. يقول في الشطر الأول: إن غزارة الدمع في عهد الشباب قد جعلته رخيصا يفيض لأقل الأشياء؛ ويتلهف في الشطر الثاني على قلة هذا الدمع في عهد المشيب حتى غلا وعز، فلا يجيبه إذا دعاه.

(5) روح الدمع عن قلبي، أي خفف من حزنه ونفس من لوعته. وسوابق الدموع: ما أسرع منها.

لم أدر ما يده حتى ترشفه فم المشيب على رغمي فأفناه (1)
قالوا تحررت من قيد الملاح فعش حرا ففي الأسر ذل كنت تأباه
فقلت يا ليته دامت صرامته ما كان أرفقه عندي وأحناه (2)
بدلت منه بقيد لست أفلته وكيف أفلت قيدا صاغه الله (3)
أسرى الصبابة أحياء وإن جهدوا أما المشيب ففي الأموات أسراه

وقال:

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه ويتشوق إلى مصر

رميت بها على هذا التباب وما أوردتها غير السراب (4)
وما حملتها إلا شقاء تقاضيني به يوم الحساب (5)
جنيت عليك يا نفسي وقلبي عليك جنى أبي فدعي عتابي (6)
فلولا أنهم وأدوا بياني بلغت بك المنن وشفيت مابي (7)

(1) يده، أي نعمة الدمع عندي؛ ويقال: ترشفه، أي شربه قليلا قليلا.

(2) يا ليته، أي يا ليت هذا القيد السابق ذكره. وصرامته: شدته وإحكامه وتعذر الإفلات منه.

(3) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا؛ ولكن ورد في عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر. قال أبو العباس ثعلب: يقال:«بدلت الخاتم بالحلقة»: إذا أذبته وسويته حلقة؛ وبدلت الحلقة بالخاتم: إذا أذبتها وجعلتها خاتما. والمراد بالقيد هنا: قيد المشيب.

(4) بها، أي بالنفس. والتباب: الخسران والنقص. والسراب: هو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء عن بعد؛ ويشبه به الخداع.

(5) تقاضيني: تحاسبني عليه.

(6) جناية أبيه عليه أنه كان سببا في ولادته، إشارة إلى قول المعري:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

(7) وأده: دفنه حيا.

سعيت وكم سعى قبلي أديب ... فآب بخيبة بعد أغتراب
وما أعذرت حتى كان نعلي ... دما ووسادتي وجه التراب (1)
وحتى صيرتنى الشمس عبدا ... صبيغا بعد ما دبغت إهابي (2)
وحتى قلم الإملاق ظفري ... وحتى حطم المقدار نابي (3)
متى أنا بالغ يا (مصر) أرضا ... أشم بتربها ريح الملاب (4)
رأيت ابن البخار على رباها ... يمر كأنه شرخ الشباب (5)
كأن بجوفه أحشاء صب ... يؤجج نارها شوق الإياب
إذا ما لاح ساءلنا الدياجي ... أبرق الأرض أم برق السحاب (6)

وقال:

ما لهذا النجم في السحر ... قد سها من شدة السهر؟
خلته يا قوم يؤنسني ... إن جفاني مؤنس السحر (7)
يا لقومي إنني رجل ... أفنت الأيام مصطبري
أسهرتني الحادثات وقد ... نام حتى هاتف الشجر (8)

(1) ما أعذرت: ما قصرت. ويريد «بكون نعله دما»: كثرة السعي إلى أن تقرحت قدماه فصار الدم لهما كالنعل.

(2) الصبيغ: المصبوغ. وإهاب الإنسان: جلده.

(3) قلمه: قطعه. والإملاق: الفقر المدقع. ويرد «بالظفر والناب» في هذا البيت: أسباب قوته.

(4) الملاب: لفظ فارسي، وهو كل عطر سائل.

(5) ابن البخار: القطار. والربا: ما ارتفع من الأرض. وشرخ الشباب: أوله وربعانه، شبه به القطار في السرعة.

(6) الدياجي: الظلمات، جمع داجية. (7) مؤنس السحر: حبيبه أو نديمه.

(8) هاتف الشجر: الطائر المغرد.

والدجى يخطو على مهل		خطو ذي عز وذي خفر (1)
فيه شخص اليأس عانقني		كحبيب آب من سفر
وأثارت بي فوادحه		كامنات الهم والكدر (2)
وكأن الليل أقسم لا		ينقضي أو ينقضي عمري
أيها الزنجي ما لك لم		تخش فينا خالق البشر (3)
لي حبيب هاجر وله		صورة من أبدع الصور
أتلاشى في محبته		كتلاشي الظل في القمر

شكوى الظلم

لقد كانت الأمثال تضرب بيننا		بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر (4)
فلما بدت في الكون آيات ظلمهم		إذا (بسدوم) في حكومته (عمر) (5)

(1) الخفر: شدة الحياء. وقد كنى «بتمهل الدجى في خطوه» عن طول الليل.

(2) الفوادح: ما يثقل حمله من النوائب.

(3) يريد «بالزنجي»: الليل، لسواده.

(4) سدوم (بالدال المهملة؛ وقيل بالذال المعجمة): إحدى مدائن قوم لوط الخمسة التي دمرها الله لجور أهلها وكفرهم، وكان لها قاض يضرب به المثل في الظلم، يقال له: (سدوم) أيضا، فقيل: «أظلم من قاضي سدوم».

(5) الحكومة: الحكم. عمر، هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ضرب به المثل في العدل. ويريد الشاعر بهذا البيت: أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا إذا قيس بظلم حكام هذا العصر.

وقال في مرض له:

مرضنا فما عادنا عائد ... ولا قيل: أين الفتى الألمعي؟ (1)
ولا حن طرس إلى كاتب ... ولا خف لفظ على مسمع (2)
سكتنا فعز علينا السكوت ... وهان الكلام على المدعي
فيا دولة آذنت بالزوال ... رجعنا لعهد الهوى فارجعي (3)
ولا تحسبينا سلونا النسيب ... وبين الضلوع فؤاد يعي (4)

سجن الفضائل

نعمن بنفسي وأشقينني ... فيا ليتهن ويا ليتني (5)
خلال نزلن بخصب النفوس ... فروينهن وأظمأنني
تعودن مني إباء الكريم ... وصبر الحليم وتيه الغني
وعودتهن نزال الخطوب ... فما ينثنين وما أنثني
إذا ما لهوت بليل الشباب ... أهبن بعزمي فنبهنني (6)

(1) الألمعي: الذكي المتوقد ذكاء.

(2) الطرس: الصحيفة يكتب فيها. والمسمع (بكسر الميم الأولى): الأذن. (وبفتحها): السمع.

(3) يريد دولة الأدب.

(4) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر. ويعي: يحفظ.

(5) نعمن، أي الخلال المذكورة في البيت الآتي: فيا ليتهن ويا ليتني، أي يا ليتهن ما نعمن ويا ليتني ما شقيت.

(6) أهاب به: دعاه.

فما زلت أمرح في قدهن ويمرحن مني بروض جني (1)
إلى أن تولى زمان الشباب وأوشك عودي أن ينحني
فيا نفس إن كنت لا توقنين بمعقود أمرك فاستيقني (2)
فهذي الفضيلة سجن النفوس وأنت الجديرة أن تسجني
فلا تسأليني متى تنقضي ليالي الإسار؟ ولا تحزني

كتاب إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

كتب بها إليه من السودان

كتابي إلى سيدي، وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل (3)، ومن تيهيي به فوق النثرة والإكليل (4)؛ وقد تعجلت السرور، وتسلفت الحبور (5)؛

وقطعت ما بيني وبين النوائب

وبشرت أهلي بالذي قد ممعته فما محنتي إلا ليال قلائل
وقلت لهم للشيخ فينا مشيئة فليس لنا من دهرنا ما ننازل (6)

(1) القد (بالكسر): السير يقد من جلد يقيد من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال. وروض جني (بتشديد الياء وخففت للشعر)، أي أدرك ثمره وصلح للجني. يقول: إنني في ضيق من هخذه الخلال الحميدة، وهي في سعة من نفسي.

(2) بمعقود أمرك، أي بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه، وهو الموت.

(3) السلسبيل: اسم عين ماء في الجنة؛ قال تعالى: «عبنا فيها تسمى سلسبيلا».

(4) النثرة: اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد»، وهي منازل القمر. والإكليل: منزل من منازل القمر (أيضا)، وهو اربعة أنجم مصطفة.

(5) تسلفت الحبور: طلبته مقدما قبل أوانه.

(6) تنازل: تقاتل.

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي بالصمصامة (1)، والحارث بالنعامة (2)؛ فلم أقل ما قال الهذلي لصاحبه حين نسى وعده (3)، وحجب رفده (4):

يا دار عاتكة التي أتعزل (5)

(1) الزبيدي، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور، وهو من بني زبيد، وقد أدرك الجاهلية والإسلام، وله بلاء حسن في المعارك التي شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي غيرها. والصمصامة: اسم سيف.

(2) الحارث، هو ابن عباد التغلبي؛ وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم. والنعامة: اسم فرسه.

(3) يريد «بالهذلي» أبا بكر. و«بصاحبه»: أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المعروف. ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما، وكان أبو بكر الهذلي هذا من جلساء المنصور وصحابته، وكان قد تعود ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلالا له، ورهبة منه، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة، ثم تثاقل عن الوفاء بوعده، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التي يشيب بها الأحوص؛ فقال الهذلي للمنصور: يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة التي يقول فيه الشاعر.

يا دار عاتكة التي أتعزل

فعجب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته، وفطن إلى ما يريد الهذلي بذكر هذه الأبيات، وهو قول الشاعر فيها:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذاق اللسان يقول ما لا يفعل

وتذكر وعده، فقام بوفائه لساعته. والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصاري من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز، وأولها:

يا دار عاتكة التي اتعزل ... حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسما إليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام: أنه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلي مع المنصور.

(4) الرفد: العطاء والصلة.

(5) أتعزل: أتجنب.

بل أناديه نداء الأخيذة في عمورية (1)، شجاع الدولة العباسية، وأمد صوتي بذكر إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه؛ وأعتمد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح على نجمة القطب.

وقال أصحابي وقد هالني النوى وهالهم أمري: متى أنت قافل؟ (2)

فقلت: إذا شاء الإمام فأوبتي قريب. وربعي بالسعادة آهل (3)

وهأنا متماسك حتى تنحسر هذه الغمرة (4)، وينطوي أجل تلك الفتره؛ وينظر لي سيدي نظرة ترفعني من ذات الصدع (5)، إلى ذات الرجع؛ وتردني إلى وكري الذي فيه درجت رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها (6)، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها.

(1) الأخيذة: الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة. وعمورية: بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بني العباس في سنة 223هـ. ويريد «بشجاع الدولة العباسية»: المعتصم بالله السابق ذكره. ويشير بهذا الكلام إلى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم في عمورية في عهد المعتصم، وكان الروم يعذبونها، فصاحت: وامعتصماه، فقال لها بعض الحراس ساخرا بها: سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا. فنمى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق، وتقدمه هو على جواد أبلق. فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة في سجنها واستخلصها وأعادها إلى بلادها.

(2) النوى: البعد. وقافل: راجع.

(3) قال: «قريب» ولم يقل: «قريبة» لأنه يستعمل في المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى: «إن رحمة الله قريب من المحسنين». وآهل بالسعادة: عامر بها.

(4) تنحسر هذه الغمرة، أي تنكشف هذه المصيبة.

(5) الصدع: الشق. ويريد «بذات الصدع»: الأرض. والرجع: المطر بعد المطر. وذات الرجع، أي السماء. قال تعالى: (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع).

(6) الوكر: عش الطائر؛ والمراد به هنا: وطنه. ودرجت: مشيت. والمزن (بضم فسكون): السحاب. ويشير بهذه العبارة إلى ماء المطر الذي يسقط من السماء، فتحوله الشمس حرها إلى بخار، ثم يعود إلى أصله سحابا.

فإن شاء فالقرب الذي رجوته وإن شاء فالعز الذي أنا آمل
وإلا فإني (رؤبة) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل (1)

فلقد حللت السودان حلول الكليم في التابوت (2)، والمغاضب في جوف الحوت (3)؛ بين الضيق ولاشدة، والوحشة والوحدة (4). لا، بل حلول الوزير في تنور العذاب والكافر في موقف يوم الحساب (5)؛ بين نارين: نار القيظ، ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمره يذيب دماغ الضب والعقل ذاهل (6)
فصرت كأني بين روض ومنهل تدب الصبا فيه وتشدو البلابل (7)

(1) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. وكان هو وأبوه من رجال الإسلام وفصائحهم المذكورين المقدمين منهم. ومات رؤبة في أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فضرب بقافه المثل في السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا: إن لم يدركني الأستاذ الإمام بمساعيه، فإني مستقر في هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة في سكونها، حتى يأتي الأجل. وفي قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالي غدوت كقاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل: الدواهي التي تأخذ الإنسان من حيث لا يدري.

(2) الكليم: نبي الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه في التابوت وإلقائه في اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى في سورة الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية. وقصة التقام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها الله تعالى في القرآن.

(4) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو في شرح القاموس ضبطا بالعبارة.

(5) يريد «بالوزير»: أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفتين، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله. ويشير بهذه العبارة إلى ما يروي من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة في تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أول من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة 233هـ.

(6) يذيب دماغ الضب: كناية عن شدة الحر. والضب: حيوان قصير الذنب، معقه، خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد.

(7) الصبا: ريح الشمال. وتشدو، أي تغرد.

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين (1)، وقصرت يد الجديدين (2)؛ عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد (3)، فلقد نمى (4) ضب ضغنه على

(5)، وبدرت بوادر السوء منه إليَ (6)؛ فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم (7)، وآلامي كأنها جلود أهل الجحيم، كلما نضج منها أديم تجدد أديم (8)؛ وأمسيت وملك آمالي إلى الزوال أسرع من أثر الشهاب في السماء، ودولة صبري إلى الاضمحلال أحث من حباب الماء (9)؛ فنظرت في وجوه تلك العباد، وإني لفارس العين والفؤاد (10)؛ فلم تقف فراستي على غير بابك.

(1) يريد «بالنجمين»: المشترى والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيرا في نفوس البشر يؤلفان منها ما فترق. ويقال: قعدت همته عن كذا، أي عجزعنه.

(2) الجديدان: اليل والنهار.

(3) يريد «بالجبار العنيد»: كتشنر باشا سردار الجيش المصري إذ ذاك، وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة، حتى يقال: إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه: لا يرقى ولا يرفت.

(4) نمى ينمى وينمو: زاد.

(5) الضب: الغيظ والحقد الخفي.

(6) بدرت: أسرعت. والبوادر: جمع بادرة، وهي ما يبدو من الإنسان عند حدته من خطأ وسقطات، والمراد «ببوادر السوء»: أوائله.

(7) الحميم: الصديق.

(8) الأديم: الجلد. ويشير بهذه العبارة إلى قوله تعالى في صفة عذاب أهل النار: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب).

(9) أحث: أشد سرعة. وحباب الماء: فقاقيعه التي تكون على سطحه.

(10) فارس: اسم فاعل من الفراسة، وهى الستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية.

وإني اهديك سلاما لو امتزج بالسحاب (1)، واختلط منه باللعاب (2)؛ لأصبحت تتهادى بقطره الأكاسرة (3)، وأمست تدخر منه الرهبان في الأديره (4)؛ ولأغنى ذات الحجاب، عن الغالية والملاب (5)؛ ولا بدع إذا جاد السيد بالرد (6)، فقد يرى الوجه المليك في المرآة، وخيال القمر في الأضاة (7)؛ وإن حال حائل، دون أمنية هذا السائل؛ فهو لا يذم يومك، ولاييأس من غدك؛ فأنت خير ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا، والسلام.

(1) صوابه «أهدى لك» أو «إليك».

(2) لعاب السحاب: مطره.

(3) قطر السحاب: ماؤه الذي يقطر منه. والأكاسرة: ملوك فارس.

(4) لم نجد هذا الجمع «للدير» في مدونات اللغة التي بين أيدينا؛ الذي وجدناه أن جمعه: أديار، كما في القاموس وغيره؛ وديورة، كما في المصباح؛ وهذا الجمع المذكور هنا شائع الاستعمال في كلام المعاصرين، بل لا يستعملون غيره. وقد شبه المطر اللمتزج بسلامه بالخمر المعتقة عند الرهبان، المحفوظة في أديارهم.

(5) الغالية: نوع من الطيب مركب من أخلاط تغلى على النار. والملاب: كل عطر مائع؛ وهو لفظ فارسي معرب.

(6) لايدع، أي ليس غريبا ولا أول شيء حدث.

(7) الأضاة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد): الغدير؛ وجمعه أضوات (بالتحريك).

المراثي

رثاء عثمان (1) السيد أباظة بك

سنة 1896م

ردا كؤوسكما عن شبه مفؤود	فليس ذلك يوم الراح والعود (2)
يا ساقى أراني قد سكنت إلى	ماء المدامع عن ماء العناقيد (3)
وبت يرتاح سمعي حين يفتقه	صوت النوادب لا صوت الأغاريد (4)
فأمسكا الراح إني لا أخامرها	وبلغا الغيد عني سلوة الغيد (5)
ثم أمضيا ودعاني إنني رجل	قد آل أمري إلى هم وتسهيد
أبعد (عثمان) أبغي مأربا حسنا	من الحياة وحظا غير منكود؟

(1) عثمان أباظة بك، هو ابن السيد أباظة باشا، ولد سنة **1264** هـ – **1848**م وألحقه والده بالمدرسة الخيدوية، ثم مدرسة الإدارة والألسن، وهي مدرسة الحقوق أول عهدها؛ وتولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوي مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها، وأقام ببلده (الربعمائة) بإقليم الشرقية؛ وكان أبوه السيد أباظة باشا أول من نال لقب (باشا) من كثير التردد عليه، وتوفى سنة **1896**م. وكان أبوه السيد أباظة باشا أوّل من نال لقب (باشا) من المصريين العرب.

(2) المفؤود: مصاب الفؤاد. والراح: الخمر.

(3) سكن إلى الشيء: استراح إليه وأنس به. ويريد بماء العناقيد: الخمر.

(4) يفتقه، أي يشقه وينفذ فيه. والأغاريد: جمع أغرودة، وهي الأغنية.

(5) لا أخامرها، أي لا أخالطها. والغيد جمع غيداء، وهي المرأة المتثنية لينا ونعمة.

إني ليحزنني أن جاء ينشده   داعي المنون وأني غير منشود (1)

أمست تنافس فيك الشهب من شرف   أرض تواريت فيها يافتى الجود (2)

لو لم تكن سبقتك الأنبياء لها   قلنا بأنك فيها خير ملحود

وددت الريح لو كانت مسخرة   لحمل نعشك عن هام الأماجيد (3)

والشمس لو أنها من أفقها هبطت   وآثرت معك سكنى القفر والبيد

وقد تمنى الضحى لو أنهم درجوا   هذا الفقيد بثوب منه مقدود (4)

يا راحلا أكبرتك الحادثات وما   أكبرتها عند تليين وتشديد (5)

أبكيت حتى العلا والمكرمات وما   جفت عليك مآقي الخرد الخود (6)

وبات آلك والأصحاب كلهم   عليك ما بين محزون ومعمود (7)

يبكون فقد امرئ للخير منتسب   بالبشر منتقب في الناس محمود (8)

(بني أباظة) لا زالت دياركم   أفق البدور وغابًا للصناديد (9)

(1) ينشده: يطلبه. والمنون: الموت.

(2) «تنافس فيك الشهب» إلخ، أي تفاخرها بدفنك فيها. والشهب: النجوم.

(3) الهام: الرءوس، الواحدة هامة.

(4) درجوا: لفوا. والمقدود: المقطوع.

(5) يقول: إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته.

(6) يريد بالمآقي: العيون. والخرّد: جمع خريدة، وهي البكر التي لم تمس. والخرد بضم الخاء جمع خود بفتحها، وهي الشابة الحسنة.

(7) المعمود: من أصيب في عمود قلبه، أي صميمه.

(8) المنتقب: لابس النقاب، وهو البرقع؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار.

(9) بنو أباظة: أسرة معروفة ينتهي نسبها إلى بني العائذ، بطن من طيئ (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق إلى مصر مع الشيخ محمد أبي مسلم، وذلك بعد سقوط بغداد في يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم، ولقبت هذه الأسرة بأباظة لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها: أباظة، فنسبوا إليها.

لاقدر الله بعد اليوم تعزية	إلا هناء على عز وتخليد
وعظم الله في (عثمان) أجركم	في رحمة الله أمسى خير مغمود

رثاء سليمان أباظة (1) باشا

[قيلت في سنة 1897م]

أيهذا الثرى إلام التمادي	بعد هذا أأنت غرثان صادي (2)
أنت تروى من مدمع كل يوم	وتغذى من هذه الأجساد
قد جعلت الأنام زادك في الده	ـر وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة وردًا	وتزود من النجوم بزاد (3)
لست أدعوك بالتراب ولكن	بقدود الملاح والأجياد (4)
بخدود الحسان، بالأعين النجـ	ـل، بتلك القلوب والأكباد (5)
لم تلدنا (حواء) إلا لنشفى	ليتها عاطل من الأولاد
أسلمتنا إلى صروف زمان	ثم لم توصها بحفظ الوداد (6)

(1) انظر التعريف بسليمان أباظة باشا في الحاشية رقم 1 من صفحة 37 من الجزء الأول.

(2) الغرثان: الجائع. والصادي: الظمآن. يريد مداومة الثرى على مواراة الأجساد وإبلاء الجسوم.

(3) المجرة: نجوم كثيرة ينتشر ضوءها في السماء فترى كأنها بقعة بيضاء.

(4) القدود: جمع قد، وهو القامة. والأجياد: جمع جيد، وهو العنق. يريد بهذا البيت والذي بعده: أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها.... إلخ، لأنها فنيت فيه فصارت منه.

(5) النجل: الواسعة.

(6) صروف الزمان: نوائبه وتقلباته.

أيها اليم كم بقاعك نفس فيك أودت من عهد ذي الأوتاد (1)
قد تحالفت والتراب علينا وتقاسمتما فناء العباد
خبرينا جهين لا تكذبينا ما الذي يفعل البلى بالجواد؟ (2)
كيف أمسى وكيف أصبح فيه ذلك المنعم الكثير الرماد (3)
رحم الله منه لفظا شهيا كان أحلى من رد كيد الأعادي
رحم الله منه طرفا تقيا ويمينا تسيل سيل الغوادي (4)
رحم الله منه شهما وفيا كان ملء العيون في كل نادي (5)
ألهم الله فيك صبرا جميلًا كل من بات ناطقا بالضاد
بت في حلة النعيم وبتنا في ثياب من الأسى والسهاد (6)
وسكنت القصور في بيت خلد وسكنا عليك بيت الحداد

(1) اليم: البحر. و«نفس» (بالجر) على قول بعض النحويين، والنصب أرجح، للفصل بين «كم» وتمييزها بالجار والمجرور. وأودت: هلكت. وذو الأوتاد: لقب لفرعون ورد ذكره في القرآن.

(2) جهين، يريد جهينة وهي قبيلة من قضاعة. ويشير الشاعر إلى المثل المعروف: «وعند جهينة الخبر اليقين». يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها، وأصله من قول الشاعر:

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد: الكريم.

(3) فيه، أي في «الليل» السابق في البيت الذي قبله. وكني «بكثرة الرماد» عن سعة جوده، وكثرة إطعامه للناس.

(4) الغوادي: السحب تنشأ غدوة؛ الواحدة غادية.

(5) ملء العيون، كناية عن هيبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه.

(6) الأسى: الحزن.

وقال يرثيه أيضًا:

لا والأسى وتلهب الأحشاء ما بات بعدك معجب بوفاء (1)
أني حللت أرى عليك مآتما فلمن أوجه فيك حسن عزائي؟
لبنيك، أم لذويك، أم للكون، أم للدهر، أم لجماعة الجوزاء؟ (2)
أودى (سليمان) فأودى بعده حسن الوفاء وبهجة العلياء (3)
لا تحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت من منة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نعشه يسري به للروضة الفيحاء (4)
تالله لو علمت به أعواده مذ لامسته لأورقت للرائي (5)
خلق كضوء البدر، أو كالروض، أو كالزهر، أو كالخمر، أو كالماء
وشمائل لو مازجت طبع الدجى ما بات يشكوه المحب النائي (6)
ومحامد نسجت له أكفانه من عفة، وسماحة، وإباء
ومناقب لولا المهابة والتقى قلنا مناقب صاحب الإسراء (7)
وعزائم كانت تفل عزائم الـ أحداث، والأيام، والأعداء (8)

(1) الأسى: الحزن. وقوله: «ما بات» إلخ، أي لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس.
(2) الجوزاء: برج في السماء معروف. ويريد «بجماعة الجوزاء»: الكواكب التي يتألف منها هذا البرج.
(3) أودى: هلك.
(4) الفيحاء: الواسعة؛ ويريد بها منزله في الجنة.
(5) أعواده: يريد أعواد نعشه.
(6) النائي: البعيد. يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وسجاياه ما شكا العاشق طوله عليه وسهده فيه.
(7) صاحب الإسراء: رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(8) تفل: تثلم. والأحداث: حوادث الزمن وشدائده.

عطلت فن الشعر بعدك وانطوى	أجل القريض وموسم الشعراء
واللؤلؤ استعصى علينا نظمه	بسموط مدح أو سموط هناء (1)
إلا على طرف بكاك وشاعر	أحيا عليك مراثي الخنساء (2)
شوقتنا للترب بعدك واشتهى	فيه الإقامة واحد العذراء (3)
ثبت فؤادك يا قليل تصبري	واشرح (لآل أباظة) برحائي (4)
في جنة الفردوس بات عزيزهم	ضيفا بساحة أكرم الكرماء

رثاء الملكة فكتوريا (5)

[نشرت في 24 يناير سنة 1901م]

أعزي القوم لو سمعوا عزائي	وأعلن في مليكتهم رثائي
وأدعو الإنجليز إلى الرضاء	بحكم الله جبار السماء

فكل العالمين إلى فناء

(1) السموط: جمع سمط (بالكسر)، وهو خيط النظم ما دام فيه الحب، فإذا لم يكن فيه فهو سلك.

(2) الخنساء، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث، وتكنى أم عمرو. والخنساء: لقب غلب عليها؛ وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر، فضرب بها المثل في الحزن. وقد شبت في الجاهلية، وأدركت الإسلام وأسلمت. وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 24 هـ.

(3) واحد العذراء: عيسى المسيح عليه السلام، إشارة إلى أنه فى السماء، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها.

(4) البرحاء: شدة الحزن والعناء.

(5) الملك فكتوريا، هي الكسندرينا بنت إدوارد، وهو الدوق كنيت، رابع أبناء الملك جورج الثالث. ولدت سنة 1819م، وتولت عرش إنجلترا في سنة 1837م، وتوفيت سنة 1901م.

أشمس الملك أم شمس النهار هوت أم تلك مالكة البحار
فطوف الغرب بالعبرات جاري وعين اليم تنظر للبخار (1)
بنظرة واجد قلق الرجاء

أمالكة البحار ولا أبالي إذا قالوا تغالى في المقال
فمثل علاك لم أر في المعالي ولاتاجا كتاجك في الجلال
ولا قوما كقومك في الدهاء

ملأت الأرض أعلاما وجندا وشدت لأمة (السكسون) مجدا (2)
وكنت لفألها يمنا وسعدا ترى في نور وجهك إن تبدى (3)
سعود البدر في برج الهناء

وكنت إذا عمدت لأخذ ثار أسلت البر بالأسد الضواري (4)
وسيرت المدائن في البحار وأمطرت العدو شواظ نار (5)
وذريت المعاقل في الهواء (6)

(1) اليم: البحر. والواجد: الحزين. والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا.

(2) السكسون: صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق، من الدنمارك وشمالي ألمانيا الغربي، بعد جلاء الرومان عنها سنة 410م. وقد انتشروا في الجزيرة بالتدريج، وباد أمامهم السكان الأصليون، ومن بقي منهم فرّ إلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر في ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم، واعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات؛ وهي ولاية سكس، وتلقب ولا تها في أوائل القرن التاسع بالملوك.

(3) تبدى، أي بدا وظهر.

(4) «أسلت إلخ» أي جعلت البر يسيل باشجعان كما يسيل الماء. والضواري: الجريئة التي تعوّدت الصيد ولازمته.

(5) يريد «بالمدائن»: السفن الكبيرة. وشواظ النار (بالضم وبالكسر): حرلاها ولهيبها.

(6) ذريت المعاقل، أي نسفت الحصون وفرقت أجزاءها في الهواء.

أعزى فيك تاجك والسريرا أعزى فيك ذا الملك الكبيرا (1)
أعزى فيك ذا الأسد الهصورا على الذى ملك الدهورا (2)

وظلل تحته أهل الولاء

أعزى فيك أبطال النزل ومن قاسوا الشدائد فى القتال (3)
وألقوا بالعدو إلى الوبال ولم يمنعهم فوق الجبال (4)

لهيب الصيف أو قر الشتاء (5)

بيتان كتبا على قبر السيد عبد الرحمن الكواكبي (6)

في سنة 1902م

هنا رجل الدنيا، هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم، هنا خير كاتب

قفوا واقرءوا أم الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر (الكواكبي) (7)

(1) يريد «بالملك الكبير» إدوارد السابع ابن الملكة فكتوريا.

(2) الأسد: رمز متخذ للدولة الإنجليزية. والهصور: الكاسر.

(3) الصحيح «قاسوا»، بفتح السين وسكون الواو، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن.

(4) الوبال: الهلاك.

(5) القر (بضم القاف): البرد. يريد: أن الحر والبرد لم يمنعاهم عن تسلق الجبال.

(6) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبي بحلب سنة 1265هـ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية، فنال من ذلك حظا وافرا، وساح في بلاد العرب وشرق إفريقية وبعض بلاد الهند، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، وتوفي في سنة 1902م.

(7) أم الكتاب: الفاتحة.

رثاء محمود سامي البارودي (1) باشا

[نشرت في سنة 1905]

ردوا على بياني بعد (محمود) إني عييت وأعيا الشعر مجهودي (2)
ما للبلاغة غضبي لا تطاوعني وما لحبل القوافي غير ممدود؟
ظنت سكوتي صفحا عن مودته فأسلمتني إلى هم وتمهيد (3)
ولو درت أن هذا الخطب أفحمني لأطلقت من لساني كل معقود (4)
لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا يا فارس الشعر والهيجاء والجود (5)
ملك القلوب – وأنت المستقل به – أبقى على الدهر من ملك (ابن داود) (6)
لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت عنها لياليك من بيض ومن سود (7)
أغمضت عينيك عنها وازدريت بها قبل الممات ولم تحفل بموجود (8)
لبيك يا شاعرا ضن الزمان به على النهى والقوافي والأناشيد (9)

(1) انظر التعريف بالبارودي في الحاشية رقم 1 من صفحة 7 ج 1.

(2) ردوا على بياني، أي أعيدوه إليّ بعد أن عزب عني من هول المصاب. وعيي يعيا (من باب رضى): كل وتعب.

(3) أي ظنت البلاغة سكوتي عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركتني أعذب بالهم والسهر.

(4) أفحمه: أسكته وعقد لسانه.

(5) الهيجاء: الحرب.

(6) يريد «بابن داود»: نبي الله سليمان عيه السلام، وبه يضرب المثل في سعة الملك.

(7) نزحت: بعدت. والبيض والسود: إشارة إلى أيام نعم فيها البارودي بالعز والجاه، وأخرى شقي فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنفي.

(8) يشير بقوله: «أغمضت عينيك» إلى أن الفقيد كان قد كف بصره في آخر حياته فعاش ضريرا. وازدريت بها: احتقرتها واستخففت بها. ولم تحفل: لم تبال.

(9) النهى: العقول؛ الواحدة نهية (بالضم).

تجري السلاسة في أثناء منطقه ... تحت الفصاحة جرى الماء في العود (1)

في كل بيت له ماء يرف به ... يغار من ذكره ماء العناقيد (2)

لو حنطوك بشعر أنت قائله ... غنيت عن نفحات المسك والعود

حليته بعد أن هذبته بسنا ... عقد بمدح رسول الله منضود (3)

كفاك زادا وزينا أن تسير إلى ... يوم الحساب وذاك العقد في الجيد (4)

لبيك يا خير من هز اليراع، ومن ... هز الحسام، ومن لبى، ومن نودي

إن هد ركنك منكوبا فقد رفعت ... لك الفضيلة ركنا غير مهدود (5)

إن المناصب في عزل وتولية ... غير المواهب في ذكر وتخليد

أكرم بها زلة في العمر واحدة ... إن صح أنك فيها غير محمود (6)

سلوا الحجا هل قضت أربابه وطرا ... دون المقادير أو فازت بمقصود (7)

(1) السلاسة: الرقة والانسجام.

(2) يقال: رف النبات يرف رفيفا، إذا كثر ماؤه من النضرة والغضاضة واهتز وتمايل. وقد شبه به أبيات البارودي في حسن رونقها وطلاوتها. وماء العناقيد: الخمر.

(3) السنا: النور. والمنضود: المنظوم. ويشير بهذا إلى قصيدة البارودي التي عارض بها قصيدة البوصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وسماها: (كشف الغمة في مدح خير الأمة) وأولها:

يا ساري البرق يمم دارة العلم ... واحد الغمام إلى حي بذي سلم

(4) الجيد: العنق.

(5) يشير إلى ما نكب به البارودي في حياته من عزله من مناصب الحكومة، ونفيه، وغير ذلك.

(6) يريد «بالزلة» اشتراك الفقيد في الثورة العرابية.

(7) الحجا: العقل. والوطر: الحاجة. أي إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئًا.

كنت الوزير وكنت المستعان به   وكان همك هم القادة الصيد (1)

كم وقفة لك والأبطال طائرة   والحرب تضرب صنديدا بصنديد (2)

تقول للنفس إن جاشت إليك بها   هذا مجالك سودي فيه أو بيدي (3)

نسخت (يوم كريد) كل ما نقلوا   في يوم (ذي قار) عن (هاني بن مسعود) (4)

نظمت أعداك في سلك الفناء به   على روي ولكن غير معهود (5)

كأنهم كلم والموت قافية   يرمي به عربي غير رعديد (6)

أودى (المعرى) تقي الشعر مؤمنه   فكاد صرح المعالي بعده يودي (7)

(1) الصيد: جمع أصيد، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا.

(2) طائرة: أي مولية في سرعة من الخوف والفزع. والصنديد: البطل الشجاع.

(3) جاشت النفس: اضطربت من الخوف. وبها، أي بالحرب. وباد يبيد: هلك.

(4) في سنة 1866م انتفض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية: فأرسلت مصر جيشا لمساعدتهم على تأديبهم. وكان البارودي «رئيس ياور حرب» وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به، وقد أبلى الجيش المصري في إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا، وعدّها خمسة آلاف مقاتل. ويوم ذي قار: يوم كان بين بكر بن وائل والفرس، وهو من أعظم أيام العرب، أبلغها أثرا في انتصاف العرب من العجم. وذو قار، هو الموضع الذي وقعت فيه هذه الواقعة ، وهو بين الكوفة وواسط. وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود، والمعروف في هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيباني، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا في هذه الموقعة، وهو الذي أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعه؛ وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب.

(5) به، أي بيوم كريد، والروى: الحرف الذي تبنى عليه القصيدة. جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت إلى مثله على روى واحد، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه في سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل.

(6) الرعديد: الجبان. وشبه الموت الذي عم الأعداء بالقافية، لاتحادها في جميع أبيات القصيدة.

(7) أودى: هلك. والمعري، هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف المعروف، شبه به البارودي في شعره المشتمل على الموعظة والحكمة. والصرح: كل بناء عال. ويودي: أي يتهدم وينقض.

وأوحش الشرق من فضل ومن أدب   وأقفر الروض من شدو وتغريد

وأصبح الشعر والأسماع تنبذه   كأنه دسم في جوف ممعود (1)

ألوى به الضعف واسترخت أعنته   فراح يعثر في حشو وتعقيد (2)

وأنكرت نسمات الشوق مربعه   تثيرها خطرات الخرد الخود (3)

لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة   من كنز حكمته لا جوف أخدود (4)

وكفنوه بدرج من صحائفه   أو واضح من قميص الصبح مقدود (5)

وأنزلوه بأفق من مطالعه   فوق الكواكب لا تحت الجلاميد (6)

وناشدوا الشمس أن تنعي محاسنه   للشرق والغرب والأمصار والبيد (7)

أقول للملإ الغادي بموكبه   والناس ما بين مكبود ومفؤود (8)

غضوا العيون فإن الروح يصحبكم   مع الملائك تكريما (لمحمود) (9)

(1) الممعود: الذي اعتلت معدته فلا يستمرئ ما يأكله.

(2) ألوى به: ذهب به. والأعنة: جمع عنان (بالكسر)، وهو سير اللجام. وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه، وركاكة ألفاظه، واضطراب نظمه. والحشو: فضول الكلام الزائدة عن الغرض.

(3) مربعه: منزله. والأصل في المربع: المنزل الذي يقام فيه وقت الربيع. والخرد: جمع خريدة، وهي العذراء. والخود (بالضم): جمع خود (بالفتح)، وهي الشابة الحسنة الخلقة. والمراد أن الغزل والنسيب في الشعر قد ذهبا بذهاب البارودي.

(4) الأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض، يريد بها القبر.

(5) الدرج (بالفتح): ما يكتب به. والمقدود: المشقوق.

(6) الجلاميد: الصخور؛ الواحد جلمود.

(7) البيد: الفلوات؛ الواحدة بيداء.

(8) الملأ: الجماعة. والكبود: المصاب في كبده. والمفؤود: المصاب في فؤاده.

(9) يريد «بالروح»: الروح الأمين، وهو جبريل عليه السلام.

يا ويح للقبر قد أخفى سنا قمر   مقسم الوجه محسود التجاليد (1)

يا ويحه حل فيه ذو قريحته	لها بخدر المعالي ألف مولود (2)
فرائد خرد لو شاء أودعها	محصي الجديد سجلات المواليد (3)
كأنها وهي بالألفاظ كاسية	وحسنها بين مشهود ومحسود (4)
للآلىء خلف بلور قد اتسقت	في بيت دهقان تستهوي نهى الغيد (5)
(محمود) إني لأستحييك في كلمي	حيا وميتا وإن أبدعت تقصيدي (6)
فاعذر قريضي واعذر فيك قائله	كلاهما بين مضعوف ومحدود (7)

(1) سنا القمر: ضوءه. ومقسم الوجه: جميل كله، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال. وتجاليد الإنسان: جسمه وبدنه.

(2) ذو (هنا): بمعنى الذي، في لغة طيء. والخدر (بالكسر): البيت. ويريد بقوله: «ألف مولود»: قصائده.

(3) الفرائد: الجواهر النفيسة، لأنها مفردة في نوعها. والخرد: اللآلئ التي لم تثقب، الواحدة خريدة؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد في نفاستها وصيانتها عن الابتذال. ومحصي الجديد: من يقيد المعاني الجديدة التي يبتكرها الشعراء. ويريد بقوله: «لو شاء» إلخ: أن له معاني مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد.

(4) كاسية، أي حالية متجملة كما يتجمل الإنسان بكسائه.

(5) الدهقان (بالكسر ويضم): التاجر؛ فارسي معرّب. والغيد: جمع غيداء، هي المرأة المنثنية لينا. وقد شبه في هذا البيت المعاني في شعره الفيد باللآلئ، والألفاظ بالبلور في أنها تشف عما تضمنت من المعاني كما يشف البلور عما وراءه.

(6) قصد الشاعر (بالتضعيف): واصل عمل القصائد وأطال.

(7) المضعوف: الضعيف. والمحدود: المحروم والممنوع من الخير. والمراد أنه حرم الإجادة في رثاء الفقيد.

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1)

[نشرت في 22 أغسطس سنة 1905م]

سلام على الإسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات (1)

على الدين والدنيا، على العليم والحجا ... على البر والتقوى، على الحسنات

لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتي

فواهفي – والقبر بيني وبينه – ... على نظرة من تلكم النظرات (3)

وفقت عليه حاسر الرأس خاشعا ... كأني حيال القبر في عرفات (4)

لقد جهلوا قدر الإمام فأودعوا ... تجاليده في موحش بفلاة (5)

ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا ... بخير بقاع الأرض خير رفات (6)

تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك في الدنيا بغير حماة؟

تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ... ولانت قناة الدين للغمزات (7)

(1) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده في الحاشية رقم 3 من صفحة4 من الجزء الأول.

(2) النضرات: ذوات الحسن والرونق.

(3) واهفي: كلمة يتحسر بها على ما فات.

(4) حاسر الرأس: عاريه. وحيال القبر: تلقاءه وأمامه.

(5) تجاليد الإنسان: جسمه وبدنه. والفلاة: الصحراء الواسعة.

(6) ضرح للميت: حفر له ضريحا. ويريد «بالمسجدين»: المسجد الحرام بمكة، وبيت المقدس. ورفات الميت: ما بلي وتكسر من عظامه. يقول: لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك، لأنه خير جسم يدفن في خير بقعة من الأرض.

(7) قضى: مات. والقناة: الرمح. ولين القناة: كناية عن الضعف والوهن. ويريد «بالغمزات»: المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه.

زرعت لنا رزعا فأخرج شطأه وبنت ولما تحتن الثمرات (1)
فواها له ألا يصيب موفقا يشارفه والأرض غير موات (2)
مددنا إلى الأعلام بعدك راحنا فردت إلى أعطافنا صفرات (3)
وحالت بنا تبغي سوالك عيوننا فعدن وآثرن العمى شرقات (4)
وآذوك في ذات الإله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات (5)
رأيت الأذى في جانب الله لذة ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب ومعرفة في أنفس نكرات (6)
أبنت لنا التنزيل حكما وحكمة وفرقت بين النور والظلمات (7)
ووقفت بين الدين والعلم والحجا فأطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت (لهانوتو) و(رينان) وقفة أمدك فيها الروح بالنفحات (8)

(1) شطء الزرع: فراخه أو سنبله. وكني بالزرع: عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح. وبنت: بعدت.

(2) الضمير في «له» يرجع إلى الزرع. ويشارفه: يشرف عليه. والأرض الموات: الجدبة التي لا تنبت. يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها.

(3) يريد «بالأعلام»: المشهورين من العلماء. والراح: جمع راحة، وهي الكف. والأعطاف: الخواصر. وصفرات، أي خاليات.

(4) شرقات، أي محمرات من البكاء.

(5) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التي كان يوجهها أعداء الفقيد إليه، وينشرونها في بعض الصحف تشهيرا به، وتحقيرًا من شأنه.

(6) الغياهب: الظلمات.

(7) يشير بهذا البيت إلى الدروس التي كان يلقيها الأستاذ الإمام في تفسير القرآن.

(8) هانوتو: هو جبرائيل هانوتو السياسي المؤرّخ الفرنسي. ولد في 19 نوفمبر سنة 1853م، وقد كتب مقالات في الطعن على الإسلام. ورينان، هو أرنست رينان الفرنسي، ولد في 27 فبراير سنة 1823م، وقد كان قسا كاثوليكيا؛ وهو مشهور بمطاعنه في الدين الإسلامي كصاحبه السابق، وقد رد الفقيد على مطاعنهما. وتوفي رينان في سنة 1892م. والروح: جبريل.

وخفت مقام الله في كل موقف ... فخافك أهل الشك والنزغات (1)
وكم لك في إغفاءة الفجر يقظة ... نفضت عليها لذة الهجعات (2)
ووليت شطر البيت وجهك خاليا ... تناجى إله البيت في الخلوات (3)
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ... ونبهت فيها صادق العزمات (4)
وأرصدت للباغي على دين أحمد ... شباة يراع ساحر النفثات (5)
إذا مس خد الطرس فاض جبينه ... بأسطار نور باهر اللمعات (6)
كأن قرار الكهرباء بشقه ... يريك سناه أيسر اللمسات (7)
فيا سنة مرت بأعواد نعشه ... لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفا، وعطلت منبرا ... وأوذيت روضا ناضر الزهرات (8)
وأطفأت نبراسًا وأشعلت أنفسًا ... على جمرات الحزن منطويات (9)

(1) النزغات: الوساوس.

(2) الإغفاءة: النومة. «ونفضت عليها» إلخ، أي أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة، أي النوم.

(3) البيت: الكعبة.

(4) الكرى: النوم. وصادق العزمات، من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي العزمة الصادقة.

(5) أرصدت : أعددت وهيأت. واليراع: القلم. وشباته: سنه. ونفثات القلم. ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه السار في العقد.

(6) الطرس (بالكسر): الصحيفة التي يكتب فيها.

(7) سناه: ضوءه ونوره. يقول: كأن الكهرباء مستقرة في شق هذا القلم، فمجرّد اللمس يظهر نوره.

(8) حطمت: كسرت. وأذويت: أذبلت.

(9) النبراس: المصباح.

رأى في لياليك المنجم ما رأى فأنذرنا بالويل والعثرات (1)
ونبأه علم النجوم بحادث تبيت له الأبراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات (2)
فأودى به ختلا فمال إلى الثرى ومالت له الأجرام منحرفات (3)
وشاعت تعازى الشهب باللمح بينها عن النير الهاوي إلى الفلوات
مشى نعشه يختال عجبا بربه ويخطر بين اللمس والقبلات (4)
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعه الأنفاس مستعرات (5)
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع وفي (مصر) باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع، وفي الفرس نادب وفي تونس ما شئت من زفرات
بكى عالم الإسلام عالم عصره سراج الدياجي هادم الشبهات (6)

(1) يريد «بالنجم»: أحد المنجمين، وكان قد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام في السنة التي توفي فيها، وكتب ذلك في تقويمه السنوي.

(2) رمى السرطان... إلخ، إشارة إلى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان، وهو هذا الداء المعروف. والليث خادر، أي والأسد في أجمته. ويطلق السرطان أيضًا على برج في السماء يقابله برج الأسد الذي أطلق الشاعر عليه لفظ الليث. واستعمل الشطر الأول في المعنيين، كما يدل عليه سياق الكلام في الأبيات التالية.

(3) أودى به: ذهب به. والختل: الخداع. والأجرام: الأفلاك.

(4) ربه: صاحبه.

(5) تقله: تحمله. ومستعرات: مشتعلات من الحزن.

(6) الدياجي: الظلمات.

ملاذ عيايل ثمال أرامل ... غياث ذوي عدم إمام هداة (1)
فلا تنصبوا للناس تمثال (عبده) ... وإن كان ذكرى حكمة وثبات
فإني لأخشى أن يضلوا فيومئوا ... إلى نور هذا الوجه بالسجدات (2)
فيا ويح للشورى إذا جد جدها ... وطاشت بها الآراء مشتجرات (3)
ويا ويح للفتيا إذا قيل من لها؟ ... ويا ويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وإن بكاءنا ... على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الإمام وحاطها ... بإحسانه والدهر غير مواتي (4)
فيا منزلا في (عين شمس) أظلني ... وأرغم حسادي وغم عداتي (5)
دعائمه التقوى وأساسه الهدى ... وفيه الأيادي موضع اللبنات (6)
عليك سلام الله، مالك موحشا ... عبوس المغاني مقفر العرصات (7)

(1) الملاذ (بالفتح): الملجأ. وعيايل: جمع عيل (بتشديد الياء). وعيل الرجل: من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم. وثمال الأرامل: من يقوم بأمرهن ويعينهن. والغياث: المغيث والمعين. والعدم: الفقر.

(2) يومئوا: يشيروا. وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من لإقامة تمثال للأستاذ الإمام.

(3) يريد «بالشورى» مجلس شورى القوانين ومكان الفقيد عضوا به. وطاشت: انحرفت عن القصد. ومشتجرات: مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل.

(4) حاطها: صانها وحفظها. والمواتي: الموافق المساعد.

(5) عين شمس: ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة، وكان فيها بيت الفقيد.

(6) دعائم البيت: عمده والأيادي: النعم. واللبنات: ما يضرب من الطين للبناء، الواحدة لبنة.

(7) الموحش: الخالي الذي ليس به ساكن. ومغانيه: منازله التي كان ينزل بها ساكنوه، الواحد مغنى. وعرصاته: ساحاته.

لقد كنت مصقود الجوانب آهلا   تطوف بك الآمال مبتهلات (1)
مثابة أرزاق، ومهبط حكمة   ومطلع أنوار، وكنز عظات (2)

رثاء مصطفى كامل باشا (3)

[نشرت في 12 فبراير سنة 1908م]

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة   فكبر وهللوالق ضيفك جاثيا (4)
عزيز علينا أن نرى فيك (مصطفى)   شهيد العلا في زهرة العمر ذاويا (5)
أيا قبر لو أنا فقدناه وحده   لكان التأسي من جوى الحزن شافيا (6)
ولكن فقدنا كل شيء بفقده   وهيهات أن يأتي به الدهر ثانيا
فيا سائلي أين المروءة والوفا   وأين الحجا والرأي؟ ويحك هاهيا
هنيئا لهم فليأمنوا كل صائح   فقد أسكنت الصوت الذي كان عاليا (7)

(1) منزل آهل: عامر بأهله. ومبتهلات: داعية متضرعة.
(2) المثابة: المرجع. أي إن الناس كانوا يرجعون إلى هذا البيت في طلب أرزاقهم.
(3) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة في 14 أغسطس سنة 1874م. وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية في وقت واحد، ثم ذهب إلى فرنسا، ومنها أخذ شهادة الحقوق، وبدأ حياته السياسية في سنة 1985م. وكانت باكورة أعماله كتابه الذي رفعه إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي في 4 يونيو سنة 1895م، ثم كان زعيم النهضة الوطنية في مصر، إلى أن توفي في سنة 1908م بعد أن ألف الحزب الوطني.
(4) جثا الرجل يجثو: جلس على ركبتيه؛ والمراد هنا: الخضوع.
(5) الذاوي: الذابل.
(6) التأسي: اقتداؤك بمن سواك في الصبر على المصائب. وجوى الحزن: حرقته.
(7) الضمير في «لهم»: للإنجليز.

ومات الذي أحيا الشعور وساقه إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا (1)
مدحتك لما كنت حيا فلم أجد وإني أجيد اليوم فيك المراثيا
عليك، وإلا ما لذا الحزن شاملا وفيك، وإلا ما لذا الشعب باكيا (2)
يموت المداوي للنفوس ولا يرى لما فيه من داء النفوس مداويا
وكنا نيامًا حينما كنت ساهدا فأسهدتنا حزنا وأمسيت غافيا (3)
شهيد العلا، ما زال صوتك بيننا يرن كما قد كان بالأمس داويا (4)
يهب بنا: هذا بناء أقمته فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا (5)
يصيح بنا: لا تشعروا الناس أنني قضيت وأن الحي قد بات خاليا (6)
يناشدنا بالله ألا تفرقوا وكونوا رجالا لا تسروا الأعاديا
فروحي من هذا المقام مطلة تشارفكم عني وإن كنا باليا (7)
فلا تحزنوها بالخلاف فإنني أخاف عليكم في الخلاف الدواهيا
أجل، أيها الداعي إلى الخير إننا على العهد ما دمنا فنم أنت هانيا (8)

(1) استحيا، أي أحيا. والاستحياء (لغة): الاستبقاء يقال: استحيا فلان فلانا، إذا أبقاه حيا.

(2) عليك، أي عليك الحزن. وفيك، أي فيك البكاء.

(3) الساهد: الساهر. والغافي: النائم.

(4) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه: مدوّ. وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع في كلام أهل العصر.

(5) أهاب به: صاح به ودعاه.

(6) قضى: مات.

(7) شارفه: نظر إليه من علو.

(8) أجل، كلمة تقال في الجواب بمعنى «نعم».

عهدناك لا تبكي وتنكر أن يرى أخو البأس في بعض المواطن باكيا
فرخص لنا اليوم البكاء وفي غد ترانا كما تهوى جبالا رواسيا (1)
فيا نيل إن لم تجر بعد وفاته دما أحمرًا لا كنت يا نيل جاريا
ويا (مصر) إن لم تحفظي ذكر عهده إلى الحشر لا زال انحلالك باقيا
ويأهل (مصر) إن جهلتم مصابكم ثقوا أن نجم السعد قد غار هاويا
ثلاثون عاما بل ثلاثون درة بجيد الليالي ساطعات زواهيا (2)
ستشهد في التاريخ أنك لم تكن فتى مفردا بل كنت جيشا مغازيا (3)

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها في حفل الأربعين في 20 مارس سنة 1908م

نثروا عليك نوادى الأزهار وأتيت أنثر بينهم أشعاري (4)
زين الشباب وزين طلاب العلا هل أنت بالمهج الحزينة داري؟
غادرتنا والحادثات بمرصد والعيش عيش مذلة وإسار (5)

(1) الذي وجدناه أنه يقال «رخصت له» ورخصته في كذا «أي أذنت له فيه» بعد النهي عنه. ولم نجد في كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «في» كما استعمله الشاعر في هذا البيت، إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء. والرواسي: الرواسخ.

(2) توفي مصطفى كامل باشا عن اثنتين وثلاثين سنة، فالثلاثون في هذا البيت عدد تقريبي.

(3) تشهد، أي الثلاثون عاما.

(4) نوادي الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى.

(5) بمرصد، أي أن الحوادث ترقبنا وتتحين الفرص لمداهمتنا. والمرصد، هو مكان الرصد، أي المراقبة.

ما كان أحوجنا إليك إذا عدا | عاد وصاح الصائحون: بدار (1)
أين الخطيب وأين خلاب النهى؟ | طال انتظار السمع والأبصار
بالله ما لك لا تجيب مناديا | ماذا أصابك يا أبا المغوار (2)
قم وامح ما خطت يمين (كرومر) | جهلا بدين الواحد القهار (3)
قد كنت تغضب للكنانة كلما | همت وهم رجاؤها بعثار (4)
غضب التقي لربه وكتابه | أو غضبة (الفاروق للمختار) (5)
قد ضاق جسمك عن مداك فلم يطق | صبرا عليك وأنت شعلة نار (6)
آودى به ذاك الجهاد وهده | عزم يهد جلائل الأخطار (7)
لعبت يمينك باليراع فأعجزت | لعب الفوارس بالقنا الخطار (8)
وجريت للعلياء تبغي شأوها | فجرى القضاء وأنت في المضمار (9)

(1) بدار: اسم فعل أمر بمعنى بادر، أي أسرع.

(2) المغوار: الكثير الغارات على الأعداء. ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر:

وداع دعا: يا من يجيب إلى الندى | فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة | لعل أبي المغوار منك قريب

(3) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية في مصر من طعن على الدين الإسلامي.

(4) العثار: الكبر والتعس.

(5) الفاروق: عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. والمختار: النبي صلى الله عليه وسلم.

(6) مداك: أي غاية ما تطمح إليه من المعالي.

(7) أودى به: ذهب. «وهذه عزم» إلخ، أي أن عزمه الذي يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه.

(8) القنا: الرماح. والخطار: من صفحات الرمح، لاضطرابه واهتزازه.

(9) الشأو: الغاية. ويريد «بالقضاء»: الموت.

أو كلما هز الرجاء مهندا بدرت إليه غوائل الأقدار (1)

عز القرار على ليلة نعيه وشهدت موكبه فقر قراري (2)

وتسابقت فيه النعاة فطائر بالكهرباء، وطائر ببخار (3)

شاهدت يوم الحشر يوم وفاته وعلمت منه مراتب الأقدار (4)

ورأيت كيف تفي الشعوب رجالها حق الولاء وواجب الإكبار

تسعون ألفا حول نعشك خشع يمشون تحت (لوائك) السيار (5)

خطوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطارا على أسطار

آنا يوالون الضجيج كأنهم ركب الحجيج بكعبة الزوار

وتخالهم آنا لفرط خشوعهم عند المصلى ينصتون لقاري

غلب الخشوع عليهم فدموعهم تجري بلا كلح ولا استنثار (6)

قد كنت تحت دموعهم وزفيرهم ما بين سيل دافق وشرار

أسعى فيأخذني اللهيب فأنثنى فيصدني متدفق التيار

(1) المهند: السيف. وغوائل الأقدار، أي المهلكات منها.

(2) يريد بقوله: «وشهدت» إلخ: أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد في جنازته هدأت نفسه.

(3) يريد «بالطائر بالكهرباء»: الرسائل البرقية. «وبالطائر بالبخار»: القطار.

(4) وعلمت منه مراتب الأقدار، أي كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التي يستحقونها.

(5) اللواء: العلم. ويشير إلى جريدة اللواء التي كان يصدرها الفقيد.

(6) بلا كلح، أي بلا عبوس ولا تقطب. والمسموع: كلاح وكلوح (بالضم فيهما). والاستنثار من الأنف معروف. ويريد «بتجري بلا كلح ولا استنثار»: أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة.

لو لم ألذ بالنعش أو بظلاله   لقضيت بين مراجل وبحار (1)
كم ذات خدر يوم طاف بك الردى   هتكت عليك حرائر الأستار
سفرت تودع أمة محمولة   في النعش لا خبرا من الأخبار
أمنت عيون الناظرين فمزقت   وجه الخمار فلم تلذ بخمار (2)
قد قام ما بين العيون وبينها   ستر من الأحزان والأكدار
أدرجت في العلم الذي أصفيته   منك الوداد فكان خير شعار (3)
علمان من فوق الرءوس كلاهما   في طيه سر من الأسرار (4)
ناداهما داعي الفراق فأمسيا   يتعانقان على شفير هاري (5)
تالله ما جزع المحب ولا بكى   لنوى مروعة وبعد مزار (6)
جزع (الهلال) عليك يوم تركته   ما بين حر أسى وحر أوار (7)
متلفتا متحيرا متخيرا   رجلا يناضل عنه يوم فخار

(1) قضى: هلك ومات. والمراجل: القدور؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون). ويريد «بالمراجل والبحار»: ما أشار إليه في البيت الأسبق من الزفرات والدموع.

(2) الخمار: ما تغطى به المرأة وجهها.

(3) يقال: أدرجه في الثوب: إذا لفه فيه وطواه. ويريد «بالعلم»: علم مصر.

(4) يريد «بالعلمين»: الفقيد، تشبيها له بالعلم في ارتفاعه وشهرته، وعلم مصر الذي لف فيه النعش.

(5) شفير كل شيء: حرفه. والهاري: المنهار.

(6) النوى: البعد.

(7) الهلال: شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التي كانت منها مصر إذ ذاك. والأسى: الحزن. والأوار: الظمأ، ويريد به ما تركه فراقه في النفوس من تعطش إليه.

إن الثلاثين التي بك فاخرت باتت تقاس بأطول الأعمار (1)
ضمت إلى التاريخ بضع صحائف بيضاء مثل صحائف الأبرار
شبهتهن بنقطة عطرية وسعت محصل روضة معطار (2)
خلفتها كالمشق يحذو حذوها راجي الوصول ومقتفي الآثار
ماذا على الساري – وهن منائر – لو سار بين مجاهل وقفار (3)
ما زلت تختار المواقف وعرة حتى وقفت لذلك الجبار (4)
وهدمت سورا قد أجاد بناءه فرعون ذو الأوتاد والأنهار (5)
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ في (البرلمان) أعزة أخيار (6)
كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا ما في الكنانة من أذى وضرار (7)
نبدوا كلام (اللرد) حين تبينوا حنق المغيظ ولهجة الثرثار (8)
ورمادهم بمجلدين رموهما في رتبة الأصفار لا الأسفار (9)

(1) يريد بالثلاثين سنى التي ذكرها في مرثيته السابقة في قوله «ثلاثون عاما.. إلخ». وقد قدمنا أن الفقيد قد توفي عن اثنتين وثلاثين سنة، فالثلاثون عدد تقريبي.

(2) الروضة المعطار: الكثيرة الزهور والرياحين. ومحصلها: ما يحصل من رياحينها وأزهارها.

(3) وهن، أي الثلاثون عاما. والمنائر: جمع منارة، وهي ما يهتدى به. يريد أن ساري الظلمات لا يضل وهو يهتدي بهذه الأعلام الواضحة.

(4) يريد «بالجبار» اللورد كرومر؛ ويشير إلى موافقه معه في حادثة دنشواي وغيرها.

(5) الأوتاد: الجبال. ويضرب بفرعون المثل في الجبروت والبغي؛ شبه اللورد كرومر به.

(6) الشكاة: الشكوى. ويريد «بالبرلمان»: البرلمان الإنجليزي.

(7) كشفوا، أي مشايخ البرلمان.

(8) الحنق: الغيظ. والثرثار: الذي يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق.

(9) يشير «بالمجلدين»: ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر. والأسفار: الكتب؛ والواحد سفر (بالكسر).

واها على تلك المواقف إنها | كانت مواقف ليث غاب ضاري (1)
لم يلوه عنها الوعيد ولا ثنى | من عزمه قول المريب: حذار (2)
فاهنأ بمنزلك الجديد ونم به | في غبطة وانعم بخير جوار
واستقبل الأجر الكبير جزاء ما | ضحيت للأوطان من أوطار (3)
نعم الجزاء ونعم ما بلغته | في منزليك ونعم عقبى الدار (4)

رثاء قاسم أمين بك (5)

[نشرت في 6 يونيو سنة 1908م]

لله درك كنت من رجل | لو أمهلتك غوائل الأجل (6)
خلق كأنفاس الرياض إذا | أسحرن غب العارض الهطل (7)

(1) الضاري: الجريء المعوّد على الصيد.

(2) لم يلوه: لم يصرفه. والمريب: ذو الريبة. يريد به هنا: المتهم في وطنيته، المشكوك في إخلاصه لبلاده.

(3) الأوطار: جمع وطر، وهو البغية والحاجة.

(4) في منزليك: أي الدنيا والآخرة.

(5) ولد قاسم أمين سنة 1865م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم سافر إلى فرنسا حيث درس الحقوق، وعاد في سنة 1885م، ثم تدرج في المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية، وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية، وله في ذلك كتابان: (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة). واشترك أيضا في الدعوة إلى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا، وتوفي رحمه الله في 22 أبريل سنة 1908م عن ثلاث وأربعين سنة.

(6) الغوائل: الدواهي المهلكة، الواحدة غائلة.

(7) أسحر: صار في السحر. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والهطل: المتتابع المكر، العظيم القطر. والنسيم المنبعث عن الرياض أنقى ما يكون المطر وفي السحر.

وشمائل لو أنها مزجت ... بطبائع الأيام لم تحل (1)
جم المحامد غير متهم ... جم التواضع غير مبتذل (2)
يا دولة الأخلاق رافلة ... من (قاسم) في أبهج الحلل (3)
كيف انطويت به على عجل ... أكذا تكون مصارع الدول؟
يا طالعا للشرق لج به ... نحس النحوس فقر في (زحل) (4)
هلا وصلت سراك منتقلا ... على السعود تكون في النقل
مالي أرى الأجداث حالية ... وأرى ربوع النيل في عطل (5)
فإذا الكنانة أطلعت رجلا ... طاح القضاء بذلك الرجل (6)
أو كلما أرسلت مرثية ... من أدمعي في إثر مرتحل
هاجت بي الأخرى دفين أسى ... فوصلت بين مدامع المقل (7)
إن خانني فيما فجعت به ... شعري فهذا الدمع يشفع لي
ولقد أقول وما يطالني ... عند البديهة قول مرتجل (8)
يا مرسل الأمثال يضربها ... قد عز بعدك مرسل المثل

(1) لم تحل، أي لم تتحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس.

(2) المبتذل: الممتهن.

(3) رافلة: تجر الذيل متبخترة.

(4) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الخنس، وهو عند المنجمين كوكب نحس.

(5) الأجداث: القبور؛ الواحد جدث (بالتحريك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الزينة.

(6) طاح به: ذهب به.

(7) «هاجت بي الأخرى» إلخ، أي أثارت المرثية الأخرى ما خفي من حزني.

(8) طاوله: غالبه.

يا رائش الآراء صائبة   يرمي بهن مقاتل الخطل (1)
لله آراء شأوت بها   في الخالدين نوابغ الأول (2)
قد كنت أشقانا بنا وكذا   يشقى الأبي بصحبة الوكل (3)
لهفي عليك قضيت مرتجلا   لم تشك، لم تستوص، لم تقل (4)
غل القضاء يد القشاء فذا   يبكي عليك وذاك في جذل (5)
شغلتك عن دنياك أربعة   والمرء من دنياه في شغل
حق تناصره ومفخرة   تمشي إليها غير منتحل (6)
وحقائق للعلم تنشدها   ما للحكم بهن من قبل (7)
وفضيلة أعيت سواك فلم   تمدد إليه يدا ولم يصل (8)
إن ريت رأيا في الحجاب ولم   تعصم، فتلك مراتب الرسل (9)

(1) الرائش: الذي يلزق الريش على السهم ليكون أسرع في مضيه إلى الغرض. والخطل (بالتحريك): الخطأ والفساد.

(2) شأوت: سبقت.

(3) الوكل (بالتحريك): الضعيف العاجز الذي يكل أمره إلى غيره. ويشير بهذا البيت إلى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه: (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة).

(4) قضيت مرتجلا، أي مت من غير علة ظاهرة، وتستوصي، أي توصي. ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت.

(5) القضاء (الأول)، بمعنى الموت (والثاني) بمعنى الفصل في الخصومات. والجذل (بالتحريك): القرح.

(6) المنتحل: الذي يدعي لنفسه ما لغيره.

(7) تنشدها: تطلبها.

(8) أعيت: أعجزت، ولم تمدد... إلخ، أي لم تمدد الفضيلة إلى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها.

(9) ريت: رأيت، فحذف الهمزة للوزن. ويشير بهذا البيت إلى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة. وتلك، أي العصمة.

الحكم للأيام مرجعه فيما رأيت فنم ولا تسل
وكذا طهاة الرأي تتركه للدهر ينضجه على مهل (1)
فإذا أصبت فأنت خير فتى وضع الدواء موضع العلل
أولا، فحسبك ما شرفت به وتركت في دنياك من عمل
واها على دار مررت بها قفرا وكانت ملتقى السبل (2)
أرخصت فيها كل غالية وذكرت فيها وقفة الطلل (3)
ساءلتها عن (قاسم) فأبت رد الجواب فرحت في خبل (4)
متعثرا ينتابني وهن مترنحا كالشارب الثمل (5)
متذكرا يوم (الإمام) به يوم انتويت بذلك البطل (6)
يوم احتسبت – وكنت ذا أمل – تحت التراب بقية الأمل (7)
جاور أحبتك الألى ذهبوا بالعزم والإقدام والعمل
واذكر لهم حاج البلاد إلى تلك النهى في الحادث الجلل (8)

(1) شبه في هذا البيت صاحب الرأي يرسله في الناس ويتركه ينفذ إلى عقولهم شيئا فشيئا حتى يثبت، بطاهي الطعام الذي يضعه على النار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه، ويصير صالحا لتناوله.

(2) يريد «بالدار» دار الفقيد. وملتقى السبل، أي مجمع الوافدين من كل طريق. ونصب «قفرا» على الحال.

(3) الغالية، أي الدمعة الغالية التي لا تسيل إلا في أشد المصائب. والطلل (بالتحريك): الشاخص من آثار الدار.

(4) الخبل: الجنون.

(5) الوهن: الضعف. والمترنح. المتمايل سكرا. والثمل: النشوان.

(6) الإمام، هو المرحوم الشيخ محمد عبده. ويوم انتويت به، أي يوم رماني فيه الزمان وقصدني بمكروهه.

(7) احتسبه: قدّمه واعتدّه فيما يدخر عند الله.

(8) الحاج: جمع حاجة.

قل (للإمام) إذا التقيت به ... في الجنتين بأكرم النزل:
إن الحقيقة أصبحت هدفا ... للراكبين مراكب الزلل
لله آثار لكم خلدت ... صاح الزوال بها فلم تزل
لله أيام لكم درجت ... طالت عوارفها ولم تطل (1)
نعم الظلال لو أنها بقيت ... أو أن ظلا غير منتقل

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم عند قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت في 12 فبراير سنة 1909م]

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا ... واقضوا هنالك ما تقضي به الذمم (2)
هنا جنان تعالى الله بارئه ... ضاقت بآماله الأقدار والهمم
هنا فم وبنان لاح بينهما ... في الشرق فجر تحيي ضوءه الأمم
هنا فم وبنان طالما نثرا ... نثرا تسير به الأمثال والحكم
هنا اكمي الذي شادت عزائمه ... لطالب الحق ركنا ليس ينهدم (3)
هنا الشهيد، هنا رب اللواء، هنا ... حامي الذمار، هنا الشهم الذي علموا (4)

(1) درجت: مضت وذهبت. والعوارف: جمع عارفة، وهي العطية والمعروف، فاعلة بمعنى مفعولة.
(2) استلم القبر: قبله أو لمسه بيده.
(3) الكمي: الشجاع.
(4) اللواء: الصحيفة التي كان يصدرها الفقيد. والذمار: كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفاع عنه.

يأيها النائم الهاني بمضجعه ليهنك النوم لا هم ولا سقم
باتت تساءلنا في كل نازلة عنك المنابر والقرطاس والقلم
تركت فينا فراغا ليس يشغله إلا أبي ذكي القلب مضطرم (1)
منفر النوم سبّاق لغايته آثاره عمم آماله أمم (2)
إني أرى وفؤادي ليس يكذبني روحا يحف بها الإبكار والعظم
أرى جلالا، أرى نورا، أرى ملكا أرى محيا يحيينا ويبتسم (3)
الله أكبر، هذا الوجه أعرفه هذا فتى النيل هذا المفرد العلم
غضوا العيون وحيوه تحيته من القلوب إذا لم تسعد الكلم (4)
وأقسموا أن تذودوا عن مبادئه فنحن في موقف يحلو به القسم (5)
لبيك نحن الألى حركت أنفسهم لما سكنت ولما غالك العدم (6)
جئنا نؤدي حسابا عن مواقفنا ونستمد ونتعدي ونحتكم (7)
قيل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا عسف الجفاة وأعلى صوتنا الألم (8)
قد اتهمنا ولما نطلب جللا إن الضعيف على الحالتين متهم (9)

(1) مضطرم، أي مشتعل غيرة وحمية.
(2) منفر النوم: مسهد. وعمم، أي عامة شاملة.
(3) المحيا: الوجه.
(4) أسعده: أعانه.
(5) تذودوا: تدافعوا.
(6) غاله: أهلكه.
(7) نستمد: نطلب المدد، أي المعونة. ونستعدي: نستنصر.
(8) العسف: الظلم. ويريد «بالجفاة»: المحتلين.
(9) اطلب: طلب. والجلل: الأمر العظيم.

قالوا: لقد ظلموا الحق بأنفسهم والله يعلم أن الظلم هم

إذا سكتنا تناجوا، تلك عادتهم وإن نطقوا تنادوا: فتنة عمم (1)

قد مر عام بنا والأمر يحزننا آنا وآونة تنتابنا النقم (2)

فالناس في شدة والدهر في كلب والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم (3)

وللسياسة فينا كل آونة لون جديد وعهد ليس يحترم

بينا نرى جمرها تخشى ملامسه إذا به عند لمس المصطلى فحم (4)

تصغي لأصواتنا طورا لتخدعنا وتارة يزدهيها الكبر والصمم

فمن ملاينة أستارها خدع إلى مصالبة أستارها وهم (5)

ماذا يريدون؟ لا قرت عيونهم إن الكنانة لا يطوى لها علم

كم أمة رغبت فيها فما رسخت لها – على حولها – في أرضها قدم (6)

ما كان ربك رب البيت تاركها وهي التي بحبال منه تعتصم (7)

لبيك إنا على ما كنت تعهده حتى نسود وحتى تشهد الأمم

فيعلم النيل أنا خير من وردوا ويستطيل اختيالا ذلك الهرم

(1) تناجوا: تساروا.

(2) حزبه الأمر: اشتد عليه وضغطه.

(3) كلب الدهر (بالتحريك) شدته وإلحاحه بما يسوء.

(4) يريد بهذا البيت: أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية، وحينا فحمة باردة.

(5) الوهم (بسكون الهاء) معروف. وحركه الشاعر للضرورة.

(6) رسخت: ثبتت. والحول: القوة.

(7) البيت: الكعبة.

هذا الغراس الذي واليت منبته ... بخير ما والت الأضواء والنسم (1)
أمسى وأضحى وعين الله تحرسه ... حتى نما وحلاه المجد والشمم
فانظر إليه وقد طالت بواسقه ... تهنأ به ولأنف الحاسد الرغم (2)
يأيها النشء سيروا في طريقته ... وثابروا، رضى الأعداء أو نقموا
فكلكم (مصطفى) لو سار سيرته ... وكلكم (كامل) لو جازه السأم (3)
قد كان لا وانيا يوما ولا وكلا ... يستقبل الخطب بساما ويقتحم (4)
وأنت يا قبر قد جئنا على ظمأ ... فجد لنا بجواب، جادك الديم (5)
أين الشباب الذي أودعت نضرته ... أين الخلال – رعاك الله – والشيم؟ (6)
وما صنعت بآمال لنا طويت ... يا قبر فيك وعفى رسمها القدم؟ (7)
الا جواب يروي من جوانحنا ... ما للقبور إذا ما نوديت تجم؟ (8)
ثم أنت، يكفيك ما عانيت من تعب ... فنحن في يقظة والشمل ملتئم
هذا (لواؤك) خفاق يظللنا ... وذاك شخصك في الأكباد مرتسم

(1) واليت منبته، أي لم تنقطع عن عهده. والنسم (محركة) والنسيم: (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل النسم أوّل هبوبها. «وبخير ما والت» إلخ، أي بأحسن ما تمد الشمس والنسيم حياة النبات.

(2) البواسق: ما طال وارتفع من الأشجار. والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة): التراب ولأنفه الرغم: كناية عن الذلة والمهانة.

(3) جازه: جاوزه.

(4) الوكل (محركة): العاجز الذي يكل أمره إلى غيره.

(5) الديم: جمع ديمة، وهي السحابة التي يدوم مطرها في سكون بلا رعد ولا برق، ويقال: جادته الديم، إذا أصابته بغزير مائها. وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم.

(6) الخلال: الخصال.

(7) الرسم: ما بقي من آثار الديار. وعفاه القدم: محاه وطمس آثاره.

(8) وجم يجم: سكت عن الكلام وعجز من كثرة الغم.

رثاء تولستوي (1)

[نشرت في نوفمبر سنة 1910م]

رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبير (2)
ولست أبالي حين أرثيك بعده غذا قيل عني قد رثاه صغير
فقد كنت عونا للضعيف وإنني ضعيف ومالي في الحياة نصير
ولست أبالي حين أبكيك للورى حوتك جنان أم حواك سعير (3)
فإني أحب النابغين لعلمهم وأعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت إلى عيسى فضجت كنائس وهز لها عرش وماد سرير (4)
وقال أناس إنه قول ملحد وقال أناس إنه لبشير

(1) ولد تولستوي الفيلسوف الروسي المشهور في 28 أغسطس سنة 1828م. وقد عاش في أملاكه يزرعها ويقسم ما تغله بينه وبين فلاحيه، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له. ومن كتبه: (الحرب والسلام) و(أين المخرج). وله من الروايات المشهورة: (البعث) والقيامة). واتهم في آخر حياته بالخروج على الكنيسة، فحكمت بكفره، وكانت وفاته في 21 نوفمبر سنة 1910م.

(2) يريد «بأمير الشعر»: المرحوم أحمد شوقي بك، وله في رثاء تولستوي قصيدة مطلعها:

«تلستو» تجري آية العلم دمعها عليك ويبكي بائس وفقير

ويريد «بالكاتب الفقير»: الأستاذ أحمد لطفي السيد وقد رثى تولستوي بكلمة صدر بها الجريدة، وعنوانه: (مات الرجل) نشرت في 24 نوفمبر سنة 1910م.

(3) «حوتك الجنان» الخ، أي أنه لا يبالي حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا.

(4) ماد: أضطرب.

ولولا حطام رد عنك كيادهم لضقت به ذرعا وساء مصير (1)
ولكن حماك العلم والرأي والحجا ومال – إذا جد النزال – وفير
إذا زرت رهن المحبسين بحفرة بها الزهد ثاو والذكاء ستير (2)
وأبصرت أنس الزهد في وحش البلى وشاهدت وجه الشيخ وهو منير (3)
وأيقنت أن الدين لله وحده وان قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم واحتشم إن شيخنا مهيب على رغم الفناء وقور (4)
وسائله عما غاب عنك فإنه عليم بأسرار الحياة بصير
يخبرك الأعمى وإن كنت مبصرا بما لم تبخر أحرف وسطور
كأني بسمع الغيب أسمع كل ما يجيب به أستاذنا ويحير (5)
يناديك: أهلا بالذي عاش عيشنا ومات ولم يدرج إليه غرور (6)
قضيت حياة ملؤها البر والتقى فأنت بأجر المتقين جدير
وسموك فيلسوفا وأمسكوا وما أنت إلا محسن ومجير
وما أنت إلا زاهد صاح صيحة يرن صداها ساعة ويطير

(1) الحطام: المال. والكياد: المكايدة. يشير إلى ثروة تولستوي التي كان يملكها ثم نزل عنها وفرقها بين الفقراء. وقد ذكر ذلك في ترجمته.

(2) رهن المحبسين، هو أبو العلاء المعري، سمى نفسه به، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا، فأراد بأحد المحبسين: البيت. وبالآخر: العمى. وثاو: مقيم. وستير، يريد أنه مستور، بمعنى مدفون.

(3) يريد «بالشيخ»: أبا العلاء.

(4) الاحتشام: الحياء.

(5) أحار الجواب يحيره: ردّه.

(6) عيشنا، أي عيش الزاهدين. ويدرج: يمشي.

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا ... إليها بما تعطيهم وتمير (1)
حياة الورى حرب وأنت تريدها ... سلاما وأسباب الكفاح كثير
أبت سنة العمران إلا نتاحرا ... وكدحا ولو ان البقاء يسير
تحاول رفع الشر والشر واقع ... وتطلب محض الخير وهو عسير
ولولا امتزاج الشر بالخير لم يقم ... دليل على أن الإله قدير
ولم يبعث الله النبيين للهدى ... ولم يتطلع للسرير أمير
ولم يعشق العلياء حر ولم يسد ... كريم ولم يرج الثراء فقير
ولو كان الخير محضا لما دعا ... إلى الله داع أو تبلج نور (2)
ولا قيل هذا فيلسوف موفق ... ولا قيل هذا عالم وخبير
فكم في طريق الشر خير ونعمة ... وكم في طريق الطيبات شرور
ألم تر أني قمت قبلك داعيا ... إلى الزهد لا يأوى إلى ظهير (4)
أطاعوا (أبيقورا) و(سقراط) قبله ... وخولفت فيما أرتئى وأشير (5)

(1) صبا: مال وحن. وتميرهم: تأتيهم بالميرة، وهي الطعام.

(2) تبلج، أشرق.

(3) يلاحظ أن الرفع في قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروي، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح، للفصل بينه وبين «كم» الخبرية بجار وجرور: أو جره، على مذهب بعض النحويين.

(4) الظهير: المعين.

(5) ولد أبيقور الفلسوف الإغريقي سنة 342 ق م في جزيرة ساموس، وأسس في أثينا مدرسة في حديقة منزله. وتوفي سنة 270 ق م. واشتهر بدعوته إلى طلب اللذات في الحياة، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة. وسقراط: فيلسوف يوناني معروف، عاش من سنة 468 ق م إلى سنة 400 ق م. ولم يعرف مذهبه في اللذة بالظبط؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب إليه، منها مذهب اللذة.

ومت وما ماتت مطامع طامع عليها ولا ألقى القياد ضمير (1)
إذا هدمت للظلم دور تشيدت له فوق أكتاف الكواكب دور
أفاض كلانا في النصيحة جاهدا ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل وكم قيل عن شيخ (المعرة) زور (2)
وما صد عن فعل الأذي قول مرسل وما راع مفتون الحياة نذير (3)

رثاء رياض باشا (4)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

[نشرت في 29 يوليو سنة 1911م]

(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع (5)
أفق واستمع مني رثاء جمعته تشاركني فيه البرية أجمع
لتعلم ما تطوي الصدور من الأسى وتنظر مقروح الحشا كيف يجزع

(1) عليها، أي على الأرض. وإلقاء القياد: كناية عن الإذعان والطاعة. والقياد بالكسر: الحبل يقاد به.
(2) كهف المساكين: ملجؤهم. ويريد هنا: تولستوي. وشيخ المعرة، هو أبو العلاء المعري السابق ذكره. ويريد بهذا البيت. أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه، ورماه الناس في عقيدته ومذهبه بما هو برئ منه.
(3) راعه: أفزعه. والمفتون: المخدوع.
(4) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأوّل، وتولى عدة مناصب عالية في عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثاني، وأسندت إليه رآسة مجلس النظار ثلاث مرات، وترك الحكم في 14 أبريل سنة 1894م، وتوفى بالإسكندرية في 17 يونيو سن 1911 وكان معروفا بالعدل والشدّة في تنفيذ الأحكام، وكانت له أياد بيضاء في تنظيم شؤون الداخلية.
(5) الغمرة: الشدّة.

لئن تك قد عمرت دهرا لقد بكى ... عليك مع الباكي خلائق أربع:
مضاء وإقدام وحزم وعزمة ... من الصارم المصقول أمضى وأقطع (1)
رحمت، فما جاه ينوّه فى العلا ... بصاحبه إلا وجاهك أوسع (2)
ولا قام في أيامك البيض ما جد ... ينازعك الباب الذي كنت تقرع
إذا قيل: من للرأي في الشرق أومأت ... إلى رأيك الأعلى من الغرب إصبع (3)
وإن طلعت في (مصر) شمس نباهة ... فمن بيتك المعمور تبدو وتطلع
حكمت فما حكمت في قصدك الهوى ... طريقك في الإنصاف والعدل مهيع (4)
وقد كنت ذا بطش ولكن تحته ... نزاهة نفس في سبيلك تشفع (5)
وقفت (لإسماعيل) والأمر أمره ... وفي كفه سيف من البطش يلمع (6)
إذا صاح لباه القضاء وأسرعت ... إلى بابه الأيام، والناس خشع
ففي كرة من لحظه وهو عابس ... تدك جبال لم تكن تنزعزع (7)

(1) الصارم المصقول: السيف المجلوّ.

(2) نوّه به: رفع ذكره.

(3) أومأت: أشارت.

(4) المهيع من الطريق: البين الواضح.

(5) يقول: إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس إذا أخذهم بالقسوة والعنف في تنفيذ الأحكام.

(6) يشير إلى معارضته (إسماعيل باشا) الخديوي عندما أراد نفي (اسماعيل باشا صديق)، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذي عارض في هذا النفي، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه.

(7) تدك: تهدم.

وفي كرة من لحظه وهو باسم تسيل بحار بالعطاء فتمرع (1)
فما أغلب شاكي العزيمة أروع يصارعه في الغاب أغلب أروع (2)
بأجرأ من ذاك الوزير مصادما إرادة (إسماعيل) والموت يسمع (3)
وفي الثورة الكبرى وقد أحدقت بنا صروف الليالي والمنية مشرع (4)
نظرت إلى (مصر) فساءك أن ترى حلاها بأيدي المستطيلين تنزع (5)
ولم تستطع صبرا على هتك خدرها ففارقتها أسوان والقلب موجع (6)
وعدت إليها حين ناداك نيلها: أقل عثرتي فالقوم في الظلم أبدعوا (7)
فكنت (أبا محمود) غوثا وعصمة إليك دعاة الحق تأوى وتفزع (8)
وكم نابغ في أرض (مصر) حميته ومثلك من يحمي الكريم ويمنع (9)

(1) تمرع، أي تفيض بالخصب والخير.

(2) الأغلب: الأسد، لغلظ رقبته. وشاكي العزيمة، أي ذو شوكة وحدّة في عزيمته. والأروع: من يعجبك بشجاعته.

(3) والموت يسمع: كناية عن قربه.

(4) أحدقت بنا: أحاطت. وصروف الليالي: نوائبها. والمشرع: المورد.

(5) المستطيلون: المتجبرون.

(6) الأسوان: الحزين.

(7) العثرة: الكبوة والزلة. وإقالتها: إنهاض صاحبها والأخذ بيده. يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله: إلى هجرة الفقيد منم مصر إلى أوربا، عندما ثار الضباط في عهد إسماعيل في 18 فبراير سنة 1879م، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يرفت 2500 ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم، فتظاهروا أمام نظارة المالية، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و (ولس) لكما وضربا، وكادوا ينالون من الفقيد، وكان وزيرا للداخلية في هذه الوزارة؛ وقد بقي الفقيد في أوروبا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولي رآسة النظار، فعاد إلى مصر في3 سبتمبر سنة 1879م.

(8) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر.

(9) يشير بقوله «وكم نابغ» والأبيات الأربعة الآتية بعد: إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغاني حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة 1871م وإلى ما كانت تمده به حكومة رياض من مساعدة مالية، ذلك إلى أنها رخصت له في إلقاء محاضرات في الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه.

رعيت (جمال الدين) ثم اصطفيته ... فأصبح في أفياء جاهك يرتع (1)
وقد كان في دار الخلافة ثاويا ... وفي صدره كنز من العلم مودع (2)
فجئت به والناس قد طال شوقهم ... إلى ألمعي بالبراهين يصدع (3)
فحرك من أفهامهم وعقولهم ... وعاودهم ذاك الذكاء المضيع
ووليت تحرير الوقائع (عبده) ... فجاء بما يشفي الغليل وينقع (4)
وكانت لرب الناس فيه مشيئة ... فأمست إليه الناس في الحق ترجع (5)
وجاءوا (بإبراهيم) في القيد راسفا ... عليه من الإملاق ثوب مرقع (6)
فألفيت ملء الثوب نفسا طموحة ... إلى المجد من أطمارها تتطلع (7)
فأطلقته من قيده وأقلته ... وما كان في تلك السعادة يطمع
وكم لك في (مصر) وفي (الشام) من يد ... لها أين حلت نفحة تتضوّع (8)

(1) الأفياء: الظلال؛ الواحد فيء.

(2) ثاويا: مقيما.

(3) الألمعي، الذكي المتوقد. ويصدع بالبراهين: يجهر بها.

(4) عبده، أي الشيخ محمد عبده، وكان رياض باشا قد عهد إليه في سنة 1880م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية. والغليل: شدّة العطش. ونقعه: إرواؤه.

(5) أي وكانت لله مشيئة في أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر، موئلا للحق.

(6) يريد بإبراهيم: إبراهيم الهلباوي بك المحامي المعروف. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوي على الحكومة والمجيء بها متهما أمام رياض باشا، فأنس منه رياض ما مر به فعفا عنه، وتولاه برعايته.

(7) نفسا طموحة، أي مستشرقة إلى معالي الأمور، متطلعة إليها. والمسموع، طموح، بلا تاء في آخره، للمذكر والمؤنث. والأطمار: الخلق من الثياب؛ الواحد طمر (بالكسر).

(8) تتضوع: تنتشر رائحتها.

رفعت عن الفلاح عبء ضريبة ... ينوء بها أيام لا غوث ينفع (1)

وأرهبت حكام الأقاليم فارعووا ... وكانوا أناسا في الجهالة أوضعوا (2)

فخافوك حتى لو تناجوا بنجوة ... لخالوا (رياضا) فوقهم يتسمع (3)

أقمت عليهم زاجرا من نفوسهم ... اذا سولت أمرا لهم قام يردع (4)

أكان (رياض) عنهم غير غافل ... يرد الأذى عن أهل (مصر) ويدفع

(أمؤتمر الإصلاح) والعرف، قد مضى ... (رياض) وأودى الوازع المتورع (6)

وكان على كرسيه خير جالس ... لهيبته تعنو الوجوه وتخشع (7)

فيا ويلنا إن لم تسدوا مكانه ... بذي مرة في الخطب لا تضعضع (8)

(1) العبء: الحمل. وينوء بها: لم يستطع حملها والنهوض بها. والغوث: المعين والناصر، ويشير إلى إلغاء رياض باشا بعض الضرائب، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة منها عوائد الجمارك الداخلية التي كان يتضجر منها الفلاحون، والضريبة الشخصية، وضريبة الوزن.

(2) ارعوى: كف وانتهى. وأوضعوا في الجهالة، أي انغمسوا فيها واسترسلوا.

(3) تناجوا: تساروا. والنجوة: ما ارتفع من الأرض. يريد المكان البعيد عن الرقباء.

(4) يردع: يزجر.

(5) الرشا: (جمع رشوة) (بتثليث الراء) وهي معروفة «وأيام لا تجنى» الخ، أي أيام كان يجنى العامل ثمرة عمله.

(6) يشير إلى أثر الفقيد في مؤتمر الإصلاح الذي انعقد في سنة **1911**م. وتوالت جلساته خمسة أيام. وكان لهذا المؤتمر غرضا،: أولهما النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية. والثاني الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك في **6** مارس من السنة المذكورة. وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامي، أو المؤتمر المصري. وأودى: هلك. والوازع: الزاجر. والمتورع: المنحرج.

(7) تعنو: تذل وتخضع.

(8) المرة: القوة والعزيمة.

بعيد مرام الفكر أما جنانه فرحب، وأما عزه فممنع (1)
فيا ناصر المستضعفين إذا عدا عليهم زمان بالعدواة مولع (2)
عليك سلام الله ما قام بيننا وزير على دست العلا يتربع (3)

رثاء الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد (4)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت في 5 ديسمبر سنة 1913م]

صونوا يراع (علي) في متاحفكم وشاوروه لدى الأرزاء والنوب
واستلهموه إذا ما الرأي أخطأكم يوم النضال عن الأوطان والنشب (5)
قد كان سلوة (مصر) في مكارهها وكان جمرة (مصر) ساعة الغضب
في شقه ومراميه وريقته ما في الأساطيل من بطش ومن عطب (6)
كم رد عنا وعين الغرب طامحة من الرزايا وكم جلى من الكرب (7)

(1) الجنان: القلب. (2) مولع: مغرم. (3) الدست: المجلس.

(4) ولد الشيخ علي يوسف الكتب المعروف صاحب المؤيد في بلصفورة من أعمال مديرية جرجا، وحفظ القرآن، وتلقى مبادئ العلوم في بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط، ثم أرسل إلى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين، وأنشأ جريدة المؤيد، ظهر أوّل عدد منها في ديسمبر سنة **1889**م، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة؛ وتوفى في سنة **1913**م، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوّة الحجة، وتولى مشيخة سجادة الوفائية.

(5) النشب: المال.

(6) ريقة القلم: مداده. والعطب: الهلاك.

(7) جلى: كشف.

له صرير إذا جد النزال به ... ينسي الكماة صليل البيض والقضب (1)
ما ضر من كان هذا في أنامله ... أن يشهد الحرب لم يسكن إلى يلب (2)
فلو رآه (ابن أوس) ما قرأت له: ... (السيف أصدق أنباء من الكتب) (3)
إلا فتى عربي يستقل به ... بعد الفقيد ويحمي حوزة الأدب
ويمنع الحق أن يغشى تبلجه ... ما في السياسة من زور ومن كذب (4)
أودى فتى الشرق، بل شيخ الصحافة بل ... شيخ الوفائية الوضاحة والحسب
أقام فينا عصاميا فعلمنا ... معنى الثبات ومعنى الجد والدأب (5)
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا ... مدى مناها ولم تقرب من الأرب
قالوا عجبنا لمصر يوم مصرعه ... وقد عجبت لهم من ذلك العجب (6)

(1) صرير القلم: صوته في الكتابة. وصليل البيض والقضب: أصوات السيوف. والكماة: الشجعان؛ الواحد كمى.

(2) اليلب: الدورع من الجلود. يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع بقية أسلحة الأبطال، وحسبه القلم وقاية له.

(3) يريد حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام. والشطر الثاني من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسي حين فتح عمورية، وعجز البيت:

في حده الحد بين الجد واللعب

فحافظ يقول: إن أبا تمام لو رأى هذ القلم لعرف فضله على السيف.

(4) يغشى تبلجه، أي يحجب إشراقه.

(5) العصامي: الذي ساد بنفسه لا بآبائه، نسبه إلى عصام الذي يقول فيه الشاعر:

نفس عصام سوّدت عصاما

والدأب في العمل: الاستمرار عليه والاجتهاد فيه.

(6) قالوا عجبنا... إلخ، أي عجبنا لأهل مصر في تلقيهم الفقيد في فتور وقلة اكتراث.

إن الألى حسبوها غير جازعة ... لا ينظرون إلى الأشياء من كثب (1)
تالله ما جهلت فيه مصيبتها ... ولا الذي فقدت من كاتب العرب
لكنها ألفت والأمر يحزبها ... فقد الرجال وموت السادة النجب (2)
وعلمتها الليالي أن تصابرها ... في الحادثات وإن أمعن في الحرب (3)
كم أرجفوا بعد موت الشيخ وارتقبوا ... موت (المؤيد) فينا شر مرتقب (4)
وإن يمت تمت الآمال في بلد ... لولا (المؤيد) لم ينشط إلى طلب
صبابة من رجاء بين أضلعنا ... قد بات يرشف منها كل مغتصب (5)
ألم يكن لبني (مصر) وقد دهموا ... من ساسة الغرب مثل المعقل الأشب (6)
كم انبرت فيه أقلام وكم رفعت ... فيه منائر من نظم ومن خطب
وكان ميدان سبق للألى غضبوا ... للدين والحق من داع ومحتسب
فكم يراع حكيم في مشارعه ... قد التقى بيراع الكاتب الأرب (7)

(1) الكثب (بالتحريك): القرب. أي لا ينظرون الأمور على حقائقها.

(2) حزبه الأمر: اشتد عليه وضغطه.

(3) الحرب (بالتحريك): اشتداد الغضب.

(4) أرجف القوم: خاضوا في الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء.

(5) الصبابة: البقية. يقول: إن المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق.

(6) الضمير في «يكن» للمؤيد. والمعقل: الحصن. والأشب: الممتنع بما حوله من السياج والسلاح، وهو من قولهم: شجر أشب، أي ذو شوك مشتبك بعضه ببعض.

(7) المشارع: المناهل، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء). الأرب: البصير الفطن.

أي الصحائف في القطرين قد وسعت ... رد (الإمام) مزيل الشك والريب (1)

أيام يحصب (هانوتو) بفريته ... وجه الحقيقة والإسلام في نحب (2)

مالي أعدد آثار الفقيد لكم ... والشرق يعرف رب السبق والغلب

لولا (المؤيد) ظل المسلمون على ... تناكر بينهم في ظلمة الحجب

تعارفوا فيه أرواحا وضمهم ... رغم التنائي زمام غير منقضب

في مصر في تونس في الهند في عدن ... في الروس في الفرس في البحرين في حلب

هذا يحن إلى هذا وقد عقدت ... مودة بينهم موصولة السبب

(أبا بثينة) نم يكفيك ما تركت ... فينا يداك وما عانيت من تعب

جاهدت في الله والأوطان محتسبا ... فارجع إلى الله مأجورا وفز وطب

واحمل بيمناك يوم النشر ما نشرت ... تلك الصحيفة في دنياك وانتسب (4)

(1) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده. ويشير إلى ردّه على هانوتو الذي نشره في صحيفة المؤيد.

(2) يحصب: يرمي. والفرية: الكذبة. والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن) أشد البكاء.

(3) التنائي: التباعد، ومنقضب: منقطع.

(4) وانتسب، أي انتسب إلى تلك الصحيفة فهي حسبك من نسب.

رثاء علي أبي الفتوح (1) باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجامعة

[نشرت في 9 فبراير سنة 1914م]

جل الأسى فتجملي ... وإذا أبيت فأجملي (2)
يا مصر قد أودى فتا ... ك ولا فتى إلا (على)
قد مات نابغة القضا ... ء وغاب بدر المحفل
وعدا القضاء على القضا ... ء فصابه في المقتل (3)
حلال عقد المعضلا ... ت قضى بداء معضل
ويح الكنانة مالها ... في غمرة لا تنجلي (4)
باتت وكارثة تمر ... بها وكارثة تلي
يا زهرة الماضي ويا ... ريحانة المستقبل
كنا نعدك للشدا ... ئد في الزمان المقبل

(1) علي أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد ببلقاس من أعمال الغربية في سنة 1873م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر سافر إلى أوربا لتلقي علوم القانون بكلية مونبلييه بفرنسا، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته في تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث في المجلات الفرنسية، وعاد إلى مصر في سنة 1895م، وآخر منصب تولاه في الحكومة المصرية وكالة المعارف في 5 أبريل سنة 1910م، وتوفي في 28 ديسمبر سنة 1913م.

(2) تجملي، أي لا تظهري الجزع. وأجملي، أي ارفقي، يخاطب مصر.

(3) يريد «بالقضاء» الأول: الموت، وبالثاني: الفصل في الخصومات.

(4) الغمرة: ما يغمر الناس، أي يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يا لابس الخلق الكريـ ـم المطمئن الأمثل
فارقتنا في حين حا جتنا ولم تتمهل
يا راميا صدر الصعا ب رماك رامي الأجدل (1)
يا حافظا غيب الصديـ ـق ويا كريم المقول (2)
أي المحامد غضة بحلالك لم تتجمل (3)
تلهو لداتك بالصبا لهوا وأنت بمعزل (4)
تسعي وراء الباقيا ت الصالحات وتعتلي
بين المحابر والدفا تر دائبا لا تأتلي (5)
أدركت على الآخريـ ـن وحزت فضل الأول
أدنى مرامك همة فوق السماك الأعزل (6)
وأجل قصدك أن ترى (مصرا) تسود وتعتلي
درج الأحبة بعد ما تركوا الأسى والحزن لي (7)
لم يحل لي من بعدهم عيش ولم أتعلل (8)

(1) الأجدل: الصقر، وهو معروف بالحذر والحرص. يقول: أصابك الموت الذي يصيب أشد المخلوقات حذرا وحرصا.

(2) المقول: اللسان.

(3) الغضة: الناضرة.

(4) لداتك: من ولدوا معك.

(5) لا تأتلي: لا تقصر.

(6) السماك: اسم يطلق على نجمين نيرين، وهما الأعزل والرامح، وسمي أعزل، لأنه لا شيء بين يديه من الكواكب، وهو من منازل القمر، والرامح ليس من منازله.

(7) درج الأحبة: ذهبوا ومضوا.

(8) أتعلل: أتشاغل وأتلهى.

لي كل عام وقفة حري على مترحل
أبكي بكاء الثالا ت وأصطلي ما أصطلي (**1**)
لم يبق لي يوم الفقيـ ـد عزيمة لم تفلل
يوم عبوس قد مضى بفتى أغر محجل (**2**)
من لم يشاهد هوله عند القضاء المنزل
لم يدر ما قصم الظهو ر ولا انخزال المفصل (**3**)
يا قبر ويحك ما صنعـ ـت بوجهه المتهلل
عبست منه نضرة كانت رياض المجتلي (**4**)
وعبثت منه بطرة سوداء لما تنصل (**5**)
يا قبر هل لعب البلى بلطاف تلك الأنمل؟
لهفي عليها في الطرو س تسيل سيل الجدول (**6**)
لهفي عليها في الجدا ل تحل عقد المشكل
لهفي عليها للرجا ء وللعفاة السؤل (**7**)

(**1**) اصطلى النار: قاسى حرها.
(**2**) أغر محجل، أي مشهور المكانة معروف المنزلة. والأغر والمحجل: أصلهما من صفات الخيل/
(**3**) انخزال المفصل: انفصاله.
(**4**) المجتلي: الناظر المستوضح للأشياء.
(**5**) لما تنصل، أي لم تخرج من لونها بعد، وهو السواد. يريد أنها لم يدركها الشيب.
(**6**) الجدول: النهر الصغير.
(**7**) العفاة: طلاب المعروف، الواحد عاف (كقاض).

يا قبر ضيفك بيننا قد كان خير مؤمل
لم ينقبض كبرا بنا ديه ولم يتبذل
إني حللت رحابه فنزلت أكرم منزل
ونهلت من أخلاقه فوردت أعذب منهل (1)

رثاء فتحي وصادق

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالما.

[نشرت في أول إبريل سنة 1914م]

أخت الكواكب ما رما ك وأنت رامية النسور؟ (2)
ماذا دهاك وفوق ظهـ ـرك مربض الأسد الهصور؟ (3)
خضعت لإمرته الريا ح من الصبا ومن الدبور (4)
فغدا يصرف من أعنتها تصاريف القدير
(فتحي) وهل لي إن سألـ ـت عن المصيبة من محير؟ (5)
ويلاه هل جزت الحدو د وأنت مخترق الستور؟ (6)

(1) نهلت: شربت.
(2) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة.
(3) مربض الأسد: موضع ربوضه، أي بروكه. والهصور: الذي يهصر فريسته، أي يكسرها.
(4) الصبا: ريح الشمال. والدبور: الريح التي تقابها.
(5) المحير: المجيب.
(6) جزت الحدود... إلخ. يقول: هل جاوزت الحدود التي تفصل بين العالمين: عالم السماء وعالم الأرض، واخترقت الحجب التي بينها؟

فرماك حراس السما ء وتلك قاصمة الظهور (**1**)
أم غار منك السابحا ت وأنت تسبح في الأثير (**2**)
حسدتك حين رأتك وحـ ـدك ثم كالفلك المنير
والعين مثل السهم تنـ ـفذ في الترائب والنحور (**3**)

حاولت أن ترد المجرة والورود من العسير

فوردت يا (فتحي) الحما م وأنت منقطع النظير
وهويت من كبد السما ء وهكذا مهوى البدور
إن كان أعياك الصعو د بذلك الجسد الطهور
فاسبح بروحك وحدها واصعد إلى الملك الكبير

إن راعنا صوت النعى وفاتنا نبأ البشير (**4**)

فلعل من ضنت يدا ه على الكنانة بالسرور
أن يستجيب دعاءها في حفظ صاحبك الأخير
باتت تراقب في المشا رق والمغارب وجه (نوري)

(**1**) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشهبها المرسلة عليهم.
(**2**) السابحات: الكواكب. قال تعالى: (والسابحات سبحا).
(**3**) يجاري في هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم في تأثير العين، وأنها تصيب كما يصيب السهم.
(**4**) راعنا: أفزعنا.

رثاء الدكتور شبلي شميل (1)

أنشدها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعية الاتحاد السوري في مساء الأحد 9 فبراير سنة 1917م.

سكن الفيلسوف بعد اضطراب إن ذاك السكون فصل الخطاب
لقي الله ربه فاتركوا المر ء لديانه فسيح الرحاب
حزن العلم يوم مت ولكن أمن الدين صيحة المرتاب (2)
كنت تبغي برد اليقين على الأر ض وتسعى وراء لب اللباب
فاسترح أيها المجاهد واهدأ قد بلغت المراد تحت التراب

وعرفت اليقين وانبلج الحق لعينيك ساطعا كالشهاب (3)

ليت شعري وقد قضيت حياة بين شك وحيرة وارتياب

هل أتاك اليقين من طرق الشك فشك الحكيم بدء الصواب

كم سمعنا مسائلا قبل (شبلي) عاش في البحث طارقا كل باب
أطلق الفكر في العوالم حرا مستطيرا يريغ هتك الحجاب (4)

(1) الدكتور شبلي شميل، هو الطبيب اللبناني نزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء. ولد في نحو سنة 1850م، في قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان، وهي القرية التي ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجي. وتعلم العلوم الطبيعية والطب في كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه في أوروبا. وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه، وإلى هذا يشير حافظ في قصيدته تلك. ومن أشهر كتبه: كتاب (النشوء والارتقاء)، وتوفي سنة 1917م.

(2) المرتاب: الشاك في العقيدة.

(3) انبلج: أضاء وأشرق.

(4) يريغ: يطلب.

يقرع النجم سائلا ثم يرتد إلى الأرض باحثا عن جواب

أعجزته من قدرة الله أسبا ... ب طواها مسبب الأسباب

وقفت دونها العقول حيارى ... وانثنى هبر زيها وهو كابي (1)

لم يكن ملحدا ولكن تصدى ... لتؤون المهيمن الوهاب

رام إدراك كنه ما أعجز النا ... س قديما فلم يفز بالطلاب

إيه شبلي قد أكثر الناس فيك الـ ... ـقول حتى تفننوا في عتابي

قيل: ترثى ذاك الذي ينكر النو ... ر ولا يهتدي بهدي الكتاب؟

قلت: كفوا فإنما قمت أرثي ... منه حلا أمسي طويل الغياب

أنا والله لا أحابيه في القو ... ل فقد كان صاحبي لا يحابي

أنا أرثي شمائلا منه عندي ... كن أحلى من الشهاد المذاب (2)

كان حر الآراء لا يعرف الختـ ... ـل ولا يستبيح غيب الصحاب (3)

مفضلا محسنا على العسر والـيسـ ... ـر جميع الفؤاد رحب الجناب (4)

عاش ما عاش لا يليق على الأيام مالا ولم يلن للصعاب (5)

كان في الود موضع الثقة الكبـ ... ـرى وفي العلم موضع الإعجاب

(1) الهبرزي: المقدام. والكابي: العاثر المنكب على وجهه.

(2) الشهاد والشهد، كلاهما بمعنى واحد.

(3) الختل: الخداع.

(4) المفضل: المنعم. وجميع الفؤاد، أي مجتمعه لا تفرّق قلبه النوائب.

(5) يقال: فلان لا يليق درهما لسخائه، أي لا يمسكه.

نكب الطب فيه يوم تولى وأصيبت روائع الآداب
وخلا ذلك الندى من الأنـ ـس وقد كان مرتع الكتاب (1)
وبكت فقده الشآم وناءت فوق ما نابها بهذا المصاب (2)
كل يوم يهد ركن من الشأ م، لقد آذنت إذا بالخراب (3)
فهي(باليازجي) و(جرجي) و(شبلي) فجعت بالثلاثة الأقطاب (4)
فعلى الراحل الكريم سلام كلما غيب الثرى ليث غاب

رثاء جورجي زيدان (5)

سنة 1914

دعاني رفاقي والقوافي مريضة وقد عقدت هوج الخطوب لساني (6)
فجئت وبي ما يعلم الله من أسى ومن كمد قد شفني وبراني

(1) الندى: مجتمع القوم.

(2) ناء بالحمل: نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل.

(3) آذنت: أعلمت.

(4) يريد الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف. (انظر التعريف به في الحاشية رقم 6 من صفحة 184 من هذا الجزء). وجرجي، هو جرجي زيدان (وسيأتي التعريف به في الحاشية الآتية بعدها).

(5) ولد جورجي زيدان في بيروت عاصمة لبنان في سنة 1861م، وتلقى بعض العلوم في مدارسها الابتدائية، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره، غير أن ميله إلى العلم والأدب جعله لا يدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها، إما بمطالعة ما تصل إليه يده من الكتب، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة. وكانت وفاته في أغسطس سنة 1914م، وتآليفه كثيرة، منها: كتاب (تاريخ مصر الحديث)، و(تاريخ التمدن الإسلامي)، و(تاريخ الماسونية)، وغيرها من الكتب.

(6) مرض القوافي: كناية عن قلة موافاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها. ويشبه الخطوب في ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج، وهي التي لا تستوي في هبوبها وتقلع الخيام؛ الواحدة هوجاء.

مللت وقوفي بينكم متلهفا   على راحل فارقته فشجاني
أفي كل يوم يبضع الحزن بضعة؟   من القلب إني قد فقدت جناني (1)
كفاني ما لقيت من لوعة الأسى   وما نابني يوم (الإمام) كفاني (2)
تفرق أحبائي وأهلي وأخرت   يد الله يومي فانتظرت أواني
ومالي صديق إن عثرت أقالني   ومالي قريب إن قضيت بكاني (3)
أراني قد قصرت في حق صحبتي   وتقصير أمثالي جناية جاني
فلا تعذروني يوم (فتحي) فإنني   لأعلم ما لا يجهل الثقلان (4)
فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن   له بين هالات النوابغ ثاني (5)
وفي ذمتي (لليازجي) وديعة   وأخرى (لزيدان) وقد سبقاني (6)

(1) يبضع: يقطع. والبضعة (بالفتح): القطعة. والجنان: القلب.

(2) يريد «بالإمام»: الشيخ محمد عبده.

(3) أقلت فلانا عثرته: صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها. وقضيت: مت.

(4) الثقلان: الإنس والجن. ويريد «بفتحي»: أحمد فتحي زغلول باشا العالم المعروف، ولد في سنة 1862م بإبيانة من أعمال مركز قوة؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية. وتوفي في سنة 1913م، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية، وشرح للقانون المدني. وقد مات فتحي ولم يرثه الشاعر، وهو لهذا يعترف بتقصيره، ويطلب إلى الناس ألا يعذروه في ذلك.

(5) الهالة: دارة القمر التي تحيط به.

(6) يريد «باليازجي»: الشيخ إبراهيم اليازجي الشاعر اللبناني المعروف، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف، ولد ببيروت سنة 1847م، وكان شاعرا ناثرا متصرفا في أنواع أخرى من العلوم. وتوفي سنة 1908م. وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء الأولى في سنة 1897م والثانية في سنة 1898م. وآل اليازجي معروفون بكثرة من تخرج منهم من العماء والأدباء والشعراء.

فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى ... إذا التقيا يوما وقد ذكراني
وقد رميا بالطرف بين جموعكم ... ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أيجمل بي هذا العقوق وإنما ... على غير هذا العهد قد عرفاني
دعاني وفائي يوم ذاك فلم أكن ... ضنينا ولكن القريض عصاني
وقد تخرس الأحزان كل مفوه ... يصرف في الإنشاد كل عنان
أأنساهما والعلم فوق ثراهما ... تنكس من أعلامه علمان
وكم فزت من رب (الهلال) بحكمة ... وكم زنت من رب (الضياء) بياني (2)
(أزيدان) لا تبعد وتلك علالة ... ينادى بها الناعون كل حسان (3)
لك الأثر الباقي وإن كنت نائيا ... فأنت على رغم المنية داني
ويا قبر (زيدان) طويت مؤرخا ... تجلى له ما أضمر الفتيان (4)
وعقلا ولوعا بالكنوز فإنه ... على الدر غواص ببحر (عمان) (5)
وعزما شآميا له أينما مضى ... شبا هندواني وحد يماني (6)

(1) المفوّه: المنطيق. والعنان: سير اللجام. ويريد بقوله «يصرف في الإنشاد... إلخ»: أنه يذهب فيه كل مذهب.

(2) رب الهلال: جورجي زيدان، ورب الضياء: الشيخ إبراهيم اليازجي. والهلال والضياء: صحيفتان معروفتان.

(3) العلالة: ما يتعلل به الإنسان، أي يتلهى به عن مراده إذا لم يظفر به. والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين): الحسن منهم.

(4) تجلى: تكشف. والفتيان: الليل والنهار.

(5) عمان: كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ.

(6) شبا هندواني، أي سن رمح منسوب إلى الهند. وحدّ يماني، أي حدّ سيف مصنوع باليمن.

وكفا إذا جالت على الطرس جولة تمايل إعجابا بها البلدان (1)
أشادت بذكر الراشدين كأنما فتى (القدس) مما ينبت الحرمان (2)
سألت حماة النثر عد خلاله فمالي بما أعيا القريض يدان (3)

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكري باشا (4)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينهما في مدرسة القصر العيني في 23 فبراير سنة 1917م

لا مرحبا بك أيهذا العام لم يرع عندك للأساة ذمام (5)
في مستهلك رعتنا بمآتم للنافعين من الرجال تقام
علمان من أعلام (مصر) طواهما فيك الردى فبكتهما (الأهرام)
غيبت (شكري) وهو نابه عصره وأصبت (إبراهيم) وهو إمام

(1) البلدان: مصر والشام.

(2) أشاد بذكره: رفعه بالثناء عليه. ويريد «بالراشدين»: خلفاء الإسلام، و«فتى القدس»: الفقيد. والحرمان: مكة والمدينة. يقول إن الفقيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم في كتبه، فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطيني.

(3) تقول: مالي يد بهذا الأمر، إذا عجزت عنه. وأعيا القريض، أي أعجز الشعر.

(4) الدكتور إبراهيم حسن باشا، هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر. ولد بالقاهرة في **25** فبراير سنة **1844**م، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب في مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة **1898**م، وبعد إحالته إلى المعاش كان يقضي الصيف في أوربا والشتاء في مصر، وقد حالت الحرب العظمى وهو في أوربا دون عودته إلى الوطن، فقضى السنين الأخيرة بعيدا عنه إلى أن توفي في **4** يناير سنة **1917**م. أما الدكتور محمد شكري باشا فقد كان طبيبا خاصا بأمراض النساء، وله في هذا الفرع من الطب شهرة واسعة، وتولى تدريسه في مدرسة الطب. وكانت ولادته في نحو سنة **1852**م، ووفاته في مستهل سنة **1917**م.

(5) الأساة: الأطباء؛ الواحد آس (كقاض).

خدما ربوع النيل في عهديهما … والطب نبت لم يجد غمام (1)
والناس بالغربي في تطبيبه … ولعوا على بعد المزار وهاموا
حتى انبرى (شكري) فأثبت سبقه … أن ابن (مصر) مجرب مقدام
وأقام (إبراهيم) أبلغ حجة … أن العرين يحله ضرغام (2)
وترسم المتعلمون خطاهما … فانشق من علميهما أعلام (3)
قد أقسموا للطب أن يسموا به … فوق السماك فبرت الأقسام (4)
وغدت ربوع الطب تحكي جنة … فيها (لبقراط) الحكيم مقام
ورأى عليل النيل أن أساته … بذوا الأساة فلم يرعه سقام (5)
يا (مصر) حسبك ما بلغت من المنى … صدق الرجاء وصحت الأحلام
ومشى بنوك كما اشتهيت إلى العلا … وعلى الولاء – كما علمت – أقاموا
ومددت صوتك بعد طول خفوته … فدعا بعافية لك الإسلام
ورفعت رأسك عند مفتخر النهى … بين الممالك حيث تحنى الهام (6)
كم فيك جراح كأن يمينه … عند الجراحة بلسم وسلام (7)

(1) جاده: الغمام: أمطره.
(2) العرين: مأوى الأسد. والضرغام: الأسد.
(3) فانشق من علميهما أعلام، أي تخرج عليهما في الطب أمثالهما في النبوغ.
(4) السماك: اسم لكوكبين تقدم الكلام عليهما في حواشي هذا الديوان.
(5) بذروا الأساة: غلبوهم وفاقوهم في الطب.
(6) الهام: الرءوس. وإحناء الهام: كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم.
(7) يلاحظ أن الأرجح في قوله «جراح» النصب، للفصل بينه وبين «كم» بالجار والمجرور، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين في جر تمييز «كم» مع الفصل، ومنه قول الشاعر:
كم بجود مقرف نال الغنى
والبلسم: دواء تضمد به الجراح.

لولا يداه سطا على أبدانها كرب المخاض وشفها الإيلام (1)
فبهؤلاء الغر يا (مصر) اهنئي فبمثلهم تتفاخر الأيام
وعلى طبيبيك اللذين رماهما رامي المنون تحية وسلام

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري (2)

أنشدها عند دفنه

[نشرت في 17 أكتوبر سنة 1917م]

أيدري المسلمون بمن أصيبوا وقد واروا (سليما) في التراب
هوى ركن الحديث فأي قطب لطلاب الحقيقة والصواب (3)
(موطأ مالك) عز (البخاري) ودع لله تعزية (الكتاب) (4)
فما في الناطقين فم يوفى عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملي على طلابه فصل الخطاب (5)

(1) شفها: هزلها.

(2) ولد الشيخ سليم البشري في سنة 1248هـ في محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر، وكان قد أتم حفظ القرآن؛ وبعد أن أتم تعلمه في الأزهر تولى التدريس فيه، ثم عين شيخا لمسجد السيدة زينب، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية، ثم اختير عضوا في مجلس إدارة الأزهر؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين، ومات رحمه الله في سنة 1335هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة.

(3) كان الفقيد مشهورا بتبحره في علوم الحديث، وإلى هذا أشار الشاعر.

(4) موطأ مالك، كتاب لمالك بن أنس في الحديث مرتب على أبواب الفقه. ويريد «بالبخاري»: كتاب الجامع الصحيح الذي وضعه الأمام البخاري محمد بن إسماعيل. ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة: فقه مالك، والحديث، والتفسير التي كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها.

(5) قضى: مات.

ولم تنقص له التسعون عزما ولا صدته عن درك الطلاب (1)
وما غالت قريحته الليالي ولا خانته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين نأيت عنا عظيم الأجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى لموقف شيخنا يوم الحساب
إذا ألقى السؤال عليك ملق تصدى عنك برك للجواب (2)
ونادى العدل والإحسان إنا نزكي ما يقول ولا نحابي (3)
قفوا يأيها العلماء وابكوا ورووا لحده قبل الحساب
فهذا يومنا ولنحن أولى ببذل الدمع من ذات الخضاب (4)
عليك تحية الإسلام وقفا وأهليه إلى يوم المآب

رثاء المغفور له السطان حسين كامل (5)

[نشرت في أول نوفمبر سنة 1917م]

دك ما بين ضحوة وعشى شامخ من صروح (آل علي) (6)
وهوى عن سماوة العرش ملك لم نمتع بعهده الذهبي (7)

(1) درك الطلاب: إدراك الطلب والحاجة.
(2) يريد «بالملقى» الملك الذي يتولى على حساب الميت على ما عمل.
(3) كان الفقيد معروفا بالإحسان إلى الفقراء، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر.
(4) ذات الخضاب: المرأة.
(5) انظر الحاشية رقم 7 من صفحة 67 من الجزء الأول.
(6) دك: هدم. وآل علي، أي آل محمد علي جدّ الأسرة المالكة.
(7) يريد «بسماوة العرش»: أعلاه. والملك (بسكون اللام)، لغة في الملك (بكسرها).

قد تساءلت يوم مات (حسين) أفقدنا بفقده كل شيء؟
أم ترى يسعد الكنانة باريـ ـها ويقضي لها بلطف خفي؟
لم تكد تدرك النفوس مرادا في زمان المتوج العلوي
لم تكد تبلغ البلاد مناها تحت أفياء عدله الكسروي (**1**)
لم يكد ينعم الفقير بعيش من نداه وفيضه الحاتمي (**2**)
حجب الموت مطلع الجود يا (مصـ ـر) فجودي له بدمع سخي
ومضى واهب الألوف فولت يوم ولى بشاشة الأريحي (**3**)
وقضى كافل اليتامى فويل لليتامى من الزمان العتي (**4**)
كم تمنى لو عاش حتى يرانا أمة ذات نعمة ورقي
غالة الضعف حين شمر للإصـ ـلاح في ملكه بعزم فتي
حبس الخطب فيك ألسنة القو ل وأعيا قريحتة العبقري
وإذا جلت الخطوب وطمت أعجزت في القريض طوق الروي (**5**)
إن شر المصاب ما أطلق الدمـ ـع وراع المفوهين بعي (**6**)

(**1**) الأفياء: الظلال. وكسروي: نسبة إلى كسرى من ملوك الفرس، وكان يقال له: الملك العادل.
(**2**) الحاتمي: نسبة إلى حاتم الطائي المعروف بالجود. والفيض: العطاء.
(**3**) الأريحي: الواسع الخلق الذي يرتاح للمعروف.
(**4**) العتي: الظالم المتجبر.
(**5**) الطوق: الطاقة والجهد. وكنى بالروي عن الشعر، كما يكنى عنه بالقافية أيضا.
(**6**) المفوه: المنطيق. والعي: عدم القدرة على الكلام.

لهف نفسي على انبساطك للضيـ ـف وذيالك الحديث الشهي
يحسب الدار داره وهو يمشي فوق زاهي بساطك الأحمدي (1)
خلق مثلما نشقت أريج الز هر جادته زورة الوسمي (2)
واهتزاز للعرف مثل اهتزاز الـ سيف في قبضة الشجاع الكمي (3)
وحياء عند العطية ينفي خجل السائل الكريم الأبي
واختبار يثني عنان العوادي ووقار يزين صدر الندى (4)
رحم الله (يا حسين) خلالا فيك لم يجتمعن في نفس حي
يا كريما حللت ساح كريم وضعيفا حللت ساح القوي
قد كفاك السهاد في العيش فاهنأ يا أليف الضنى بنوم هني (5)
ويح (مصر) فأي خيط رجاء قطعته رنات صوت النعي

(1) البساط الأحمدي، يكنى بها عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة.
(2) نشفت: شممت. وأريج الزهر: ريحه. والوسمي: مطر أول الربيع.
(3) الاهتزاز للعرف: كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء. والكمي: الشجاع.
(4) يثني عنان العوادين أي يصرف حوادث الأيام ويردها عن قصدها. والندى: مجتمع القوم.
(5) يشير بقوله«يا أليف الضنى»: إلى ما كان يعانيه الفقيد في آخر أيامه من مرض وأرق.

رثاء باحثة البادية (1)

[نشرت في سنة 1918م]

(ملك) النهى لا تبعدي فالخلق في الدنيا سير
إني أرى لك سيرة كالروض أرجه الزهر (2)
ربى أبوك الناشئيـ ـن فعاش محمود الأثر
وسلكت أنت سبيله في الناشئات من الصغر
ربيتهن على الفضيـ ـلة والطهارة والخفر (3)
وعلى اتباع شريعة نزلت بها آي السور
فلبيتكم فضل على الـ ـأحياء أنثي أو ذكر
لله درك إن نثر ت ودر (حفني) إن نثر
قد كنت زوجا طبة في البدو عاشت والحضر (4)

(1) باحثة البادية، هي السيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفني ناصف بك، ولدت بالقاهرة سنة 1886م وتلقت مبادئ العلوم في مدارس أولية مختلفة، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية في سنة 1900م، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات، ومارست التعليم في مدارس البنات الأميرية، وتوفيت في سنة 1918م. وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات، بذلت جهدا كبيرا في الدعاية إلى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك، وكانت تفضل السفور على الحجاب، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها في كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها في إدارة الجريدة التي كان يصدرها حزب الأمة، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ في هذه القصيدة.

(2) أرجه: طيبه.

(3) الخفر: شدّة الحياء.

(4) يشير بقوله: «في البدو إلخ»: إلى أنها كانت زوجا لعبد الستار بك أحد مشايخ عرب الفيوم. والطبة: الماهرة الحاذقة بعملها.

سادت على أهل القصو ر وسودت أهل الوبر (1)
غربية في علمها مرموقة بين الأسر
شرقية في طبعها مخدورة بين الحجر
بينا تراها في الطرو س تخط آيات العبر (2)
وتريك حكمة نابه عرك الحوادث واختبر
إذا بها في مطبخ تطهو الطعام على قدر (3)
وإذا بها قعدت تخيـ ـط وترتضى وخز الإبر
فخرت بوالدها ووا لدها بحليتها افتخر
لا علم حلت صدرها لا باللآلئ والدرر
فانظر شمائل فكرها بالله يوم (المؤتمر) (4)
واقرأ (محاضرة الجريـ ـدة) والمقالات الغرر
وارجع إلى ما أودعت عند المجلات الكبر

(1) أهل الوبر: هم أهل البادية، لأن بيوتهم من الوبر.

(2) الطروس: الصحائف التي يكتب فيها.

(3) على قدر، أي بحساب.

(4) يريد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في سنة 1911م وتوالت جلساته خمسة أيام؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان: أولهما، النظر في حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية؛ والثاني، الرد على مطالب الأقباط التي طلبوها في مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك في 6 مارس من السنة المذكورة. وكان رئيس المؤتمر الإسلامي المرحوم رياض باشا، وقد ألقت الفقيدة محاضرة في هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة.

تعلم بأنا قد فقد نا خير ربات الفكر
ذنب المنية في اغتيا ل شبابها لا يغتفر
يا ليتها عاشت (لمصـ ـر) ولم تغيبها الحفر
كانت مثالا صالحا يرجى وكنز يدخر
إني رأيت الجاهلا ت السافرات على خطر
ورأيت فيهن الصيا نة والعفاف على سفر
لاوازع – وقد انطوت (ملك) يقيهن الضرر (1)
لا كان يومك يوم لا ح الحزن مختلف الصور
علمت هاتفة القصو ر نواح هاتفة الشجر (2)
وتركت أتراب الصبا حزنا يقطعن الشعر (3)
يبكين عهدك في الصبا ح وفي المساء وفي السحر
وتركت شيخك لا يعي هل غاب زيد أو حضر (4)
ثملا ترنحه الهمو م إذا تحامل أو خطر (5)
كالفرع هزته العوا صف فالتوى ثم انكسر

(1) الوازع: الزاجر.

(2) يريد «بهاتفة القصور»: الباكية من النساء، و«بهاتفة الشجر»: النائحة من الطير.

(3) أتراب الإنسان: لداته؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء).

(4) يريد «بالشيخ»: أباها. ويشير بقوله «هل غاب زيد»... إلخ إلى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما إليهما من علوم اللغة العربية، وذلك لأن مدار الأمثلة في النحو على «زيد».

(5) ترنحه: تميله هنا وهنا.

أو كالبناء يريد أن ينقض من وقع الخور (1)
قد زعزعته يد القضا ء وزلزلته يد القدر
أنا لم أذق فقد البنيـ ـن ولا البنات على الكبر
لكني لما رأيـ ـت فؤاده وقد انفطر (2)
ورأيته قد كاد يحـ ـرق زائريه إذا زفر
وشهدت أني خطا خطوا تخبل أو عثر
أدركت معنى الحزن حز ن الوالدين، فما أمر
وشهدت زوجك مطرقا مستوحشا بين السمر (3)
كالمدلج الحيران في الـ ـبيداء أخطأه القمر (4)
فعلمت أنك كنت عقـ ـد هنائه وقد انتثر
صبرا أبا (ملك) فإن الباقيات لمن صبر
وبقدر صبر المبتلى طول المصيبة والقصر
كن أنت أنت إذا تسا ء كأنت إذا تسر
يا برة بالوالديـ ـن أبوك بعدك لا يقر
فسلي إلهك سلوة لأبيك فهو به أبر
وليهنك الخدر الجديـ ـد فذاك دار المستقر

(1) من وقع الخور، أي من وقع الضعف به.
(2) انفطر: انشق.
(3) السمر: مجلس السمار بالليل.
(4) المدلج: الساري بالليل.

رثاء محمد فريد بك (1)

[في سنة 1919م]

من ليوم نحن فيه من لغد   مات ذو العزمة والرأي الأسد (2)
حل (بالجمعة) حزن وأسى   ومشى الوجد إلى يوم (الأحد) (3)
وبعد شعري على قرطاسه   لوعة سالت على دمع جمد
أيها النيل لقد جل الأسى   كن مدادا لي إذا الدمع نفد
واذبلي يا زهرة الروض ولا   تبسمي للطل فالعيش نكد (4)
والزم النوح أيا طير ولا   تبتهج بالشدو فالشدو حدد (5)

(1) المرحوم محمد فريد بك، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية. ولد في مدينة القاهرة في رمضان سنة 1284هـ، يناير سنة 1867م. وبيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها، ونال شهادة الحقوق في مايو سنة 1887م ثم اشتغل بالدائرة السنية، ثم انتقل إلى النيابة العمومية، ثم إلى نيابة الاستئناف. وقد أنعم عليه بالرتبة الثانية في أغسطس سنة 1891م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية، والآخذين بيد الوطنيين من الكتاب وأصحاب الصحف، واستقال من منصبه وقيد اسمه في جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية في أوّل يونيه سنة 1897م، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل علم ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية، فكان خير عون للمرحوم مصطفى كامل باشا وقد صحبه في كثير من رحلاته إلى أوربا، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطني في فبراير سنة 1908م وتوفي في برلين عاصمة ألمانيا في 11 نوفمبر سنة 1919م وأحضرت جثته إلى مصر، ودفن قرب مسجد السيدة نفيسة.

(2) يريد «باليوم والغد»: الحاضر والمستقبل. والأسد: الأصوب.

(3) الأسى: الحزن. وكنى «بيومي الجمعة والأحد» عند مسلمي مصر وقبطها.

(4) الطل: الندى، أو أخف المطر وأضعفه.

(5) شدو الطير: ترنمه وتغريده. والحدد: الحرام الذي لا يحل أن يرتكب.

فلقد ولى (فريد) وانطوى ركن (مصر) وفتاها والسند
خالد الآثار لا تخش البلى ليس يبلى من له ذكر خلد
زرت (برلين) فنادى سمتها: نزلت شمس الضحى برج الأسد (1)
واختفت شمسك فيها وكذا تختفي في الغرب أقمار الأبد
يا غريب الدار والقبر ويا سلوة (النيل) إذا ما الخطب جد
وحساما فل حديه الردى وشهابا ضاء وهنا وخمد (2)
قل لصب (النيل) إن لاقيته في جوار الدائم الفرد الصمد (3)
إن (مصرا) لاتني عن قصدها رغم ما تلقى وإن طال الأمد
جئت عنها أحمل البشرى إلى أول البانين في هذا البلد
فاسترح واهنأ ونم في غبطة قد بذرت الحب والشعب حصد
آثر (النيل) على أمواله وقواه وهواه والولد (4)
يطلب الخير (لمصر) وهو في شقوة أحلى من العيش الرغد (5)

(1) يحتمل هذا البيت معنيين: أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوة وجلال الشأن، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوة بالشمس حين تنزل برج الأسد؛ والثاني ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس في بج الأسد دليل على وقوع الموت؛ ويكون هذا البيت بالمعنى الثاني ترشيحا للبيت الذي بعده.

(2) فل حديه: ثلمهما. والوهن: نحو من نصف الليل.

(3) صب الليل: عاشقه. ويريد به (المرحوم مطفى كامل باشا).

(4) آثر النيل: فضله. يشير بهذا البيت إلى هجرة الفقيد إلى أوروبا في سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده.

(5) العيش الرغد: الطيب الواسع. ويشير بهذا البيت إلى ما تجرعه الفقيد في غربته من بؤس وشقاء، وإيثاره هذا البؤس على العودة إلى وطنه المحتل.

ضارب في الأرض يبغي مأربا كلما قاربه، عنه ابتعد (1)
لم يعبه أن تجني دهره رب جد حاد عن مجراه جد (2)
يستجم العزم حتى إن بدت فرصة شد إليها وصمد (3)
فهو لا يثني عنانا عن منى وهو هجيراه (من جد وجد) (4)
فأياديه إذا ما انكرت إنما تنكرها عين الحسد (5)
فقدت (مصر فريدا) وهي في موطن يعوزها فيه المدد
فقدت (مصر فريدا) وهي في لهوة الميدان والموت رصد (6)
فقدت منه خبيرا حولا وهي والأيام في أخذ ورد (7)
لم يكد يمتعها الدهر به في ربوع (النيل) حيا لم يكد
ليته عاش قليلا فترى شعب (مصر) عينه كيف اتحد (8)
ويح (مصر) بل فويحا للثرى إنه أبلغ حزنا وأشد
كم تمنى وتمنى أهله لو يوارى فيه ذيك الجسد (9)

(1) ضرب في الأرض: ذهب فيها ساعيا.

(2) الجسد (بالكسر): الاجتهاد. (وبالفتح): الحظ. ومجراه، أي طريقه. يقول: رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر.

(3) يستجم العزم، أي يريحه، يقال: إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو حتى أقوى على الحق، أي إني لأجعل قلبي يتفكه بشيء من اللهو ليستجمع قوته. وصمد: قصد.

(4) هجيراه، أي دأبه وشأنه وعادته.

(5) الأيادي: النعم.

(6) شبه مصر في ميدان الجهاد بلهوة الحى، وهي بفتح اللام وضمها، ما يلقى في فمها للطحن.

(7) الحوّل: الحاذق البصير بتحويل الأمور.

(8) يشير بهذا البيت إلى اتحاد مسلمي مصر وقبطها في سنة 1919م، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا.

(9) يواري: يدفن.

لهف نفسي هل (ببرلين) امرؤ فوق ذاك القبر صلى وسجد؟
هل بكت عين فروت تربه هل على أحجاره خط أحد؟ (1)
هاهنا قبر شهيد في هوى أمة أيقظها، ثم رقد

رثاء عبد اللّه أباظه بك (2)

[أنشد هذين البيتين في سنة 1919م]

يا عابد الله نم في القبر مغتبطا ما كنت عن ذكر رب العرش باللاهي
يا رحمة الله هذا قبره فقفي وآنسي روحه يا رحمة الله

رثاء عبد الحميد رمزي

قالها على لسان إبراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة:

[نشرت في 6 مارس سنة 1920م]

ولدي، قد طال سهدي ونحيبي جئت أدعوك فهل أنت مجيبي؟
جئت أروي بدموعي مضجعا فيه أودعت من الدنيا نصيبي

(1) خط أحد، أي كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتي بعده.

(2) عبد الله أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتقلد عدّة مناصب، وتوفي في سنة 1919م.

لا تخف من وحشة القبر ولا ... تبتئس إني موافٍ عن قريب
أنا لا أترك شبلي وحده ... في جديب موحش غير رحيب (1)
أو حين ابتز دهري قوتي ... وذوى عودي ووافاني مشيبي (2)
واكتسى غصنك من أوراقه ... تحت شمس العز والجاه الخصيب
ورجونا فيك ما لم يرجه ... منجب الأشبال في الشبل النجيب
ينتويك الموت في شرخ الصبا ... والشباب الغض في البرد القشيب (3)
لم يدع آسيك جهدا إنما ... غاب والله عن علم الطبيب (4)
ايه يا (عبد الحميد) انظر إلى ... والد جم الأسى بادي الشحوب (5)
ذاهل من فرط ما حل به ... بين أترابك يمشي كالغريب
كلما أبصر منهم واحدا ... هزه الشوق إلى وجه الحبيب
يسأل الغصان في ازدهارها ... عن أخيها ذلك الغصن الرطيب
يسأل الأقمار في إشراقها ... عن محيا غاب من قبل المغيب (6)
غمر الحزن نواحي نفسه ... وأذابت لبه سود الخطوب (7)
فهو لا ينفعه العيش وهل ... تصلح الأبدان من غير قلوب؟

(1) الشبل: ولد الأسد. ويعني «بالجديب الموحش»: القبر.
(2) ابتز: سلب. وذوى عوده: ذبل وجف.
(3) ينتويك: يقصدك. وشرخ الصبا: ريعانه. والقشيب: الجديد.
(4) الآسي: الطبيب.
(5) الأسى: الحزن. والشحوب: تغير اللون من حزن أو نحوه.
(6) محيا الإنسان: وجهه.
(7) غمر الحزن نواحي نفسه، أي شملها.

طالعي يا شمس قبرا ضمه بالتحايا في شروق وغروب
وآسكني يا رحمة الله به واجعلي فيضك منهل السكوب

رثاء عبد الحليم المصري الشاعر المعروف

[نشرت في 8 يوليو سنة 1922م]

لك الله قد أسرعت في السير قبلنا وآثرت يا «مصري» سكنى المقابر
وقد كنت فينا يا فتى الشعر زهرة تفتح للأذهان قبل النواظر
فلهفي على تلك الأنامل فل البلى فكم نسجت قبل البلى من مفاخر
ويا ويح للأشعار بعد نجيها وويح القوافي ساقها غير شاعر (1)
تزودت من دنياك ذكرا مخلدا وذاك لعمري نعم زاد المسافر
وأورثتنا حزنا عليك وحسرة على فقد سباق كريم المحاضر (2)
فلم تثو يا (عبد الحليم) بحفرة ولكن بروض من قريضك ناضر (3)
فديوانك الريان يغنيك طيبه عن الزهر مطلولا بجود المواطر (4)
فسامر (أبا بكر) هناك فإنه سيظفر في عدن بخير مسامر (5)

(1) نجيها: أي من يناجيها.
(2) المحاضر: المجالس.
(3) ثوى بالمنزل: أقام به.
(4) الزهر المطول: المبلل بالطل. والجود: المطر الكثير. والمواطر: السحب.
(5) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصري في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأوّلها:
أفضني أبا بكر عليهم قوافيا وأمطر لساني حكمة ومعانيا

هنيئا لك الدار التي قد حللتها وأعظم بمن جاورته من مجاور
عليك سلام ما ترنم منشد وقام خطيب فوق هام المنابر (1)

ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (2)

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء 11 يوليو سنة 1922م، وقد ضمنها رثاء المرحوم حفني ناصف بك

آذنت شمس حياتي بمغيب ودنا المنهل يا نفس فطيبي (3)
إن من سار إليه سيرنا ورد الراحة من بعد اللغوب (4)
قد مضى (حفني) وهذا يومنا يتدانى فاستثيبي وأنيبي (5)
وارقبيه كل يوم إنما نحن في قبضة علام الغيوب
اذكري الموت لدى النوم ولا تغفلي ذكرته عند الهبوب
واذكري الوحشة في القبر فلا مؤنس فيه سوى تقوى القلوب
قدمي الخير احتسابا فكفى بعض ما قدمت من تلك الذنوب
راعني فقد شبابي وأنا لا أراع اليوم من فقد مشيبي
حن جنباي إلى برد الثرى حيث أنسي من عدو وحبيب

(1) هام المنابر: رءوسها، الواحدة هامة.
(2) انظر الحاشية رقم 3 ص 4 من الجزء الأول.
(3) آذنه بالأمر: أعلمه بقربه. والمنهل: المورد، يريد به الموت.
(4) اللغوب: التعب.
(5) استثيبي: اطلبي الثواب من الله. وأنيبي: ارجعي إليه بالطاعة.

مضجع لا يشتكي صاحبه	شدة الدهر ولا شد الخطوب (1)
لا ولا يسئمه ذاك الذي	يسئم الأحياء من عيش رتيب (2)
قد وقفنا ستة نبكي عليك	عالم المشرق في يوم عصيب (3)
وقف الخمسة قبلي فمضوا	هكذا قبلي وإني عن قريب
وردوا الحوض تباعا فقضوا	باتفاق في مناياهم عجيب
أنا مذ بانوا وولى عهدهم	حاضر اللوعة موصول النحيب (4)
هدأت نيران حزني هدأة	وانطوى (حفني) فعادت للشبوب
فتذكرت به يوم انطوى	صادق العزمة كشاف الكروب (5)

(1) شد الخطوب: أي حملتها عليه.

(2) يريد «بالرتيب»: العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير، والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى: الراتب لا الرتيب.

(3) يشير بهذا البيت وما بعده إلى قصة عجيبة، وهي أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة، ثم حسن عاصم باشا، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير، ثم قاسم أمين بك، ثم حفني ناصف بك، ثم حافظ ابراهيم بك، واتفق أن مات الأربعة الأوّلون على ترتيب وقوفهم في الرثاء، فلاحظ ذلك المرحوم حفني ناصف بك، فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات:

أتذكر إذا كنا على القبر ستة	نعدد أثار الإمام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا	ممات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم	وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم	وعما قليل نجم محيا يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وإن أمت	فما أنت إلا خائف تترقب
فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف	ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا	فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فما توفي حفني بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك.

(4) بانوا: بعدوا.

(5) يريد «بصادق العزيمة»: المرحوم الشيخ محمد عبده.

يوم كفناه في آمالنا وذكرنا عنده قول (حبيب): (1)
عرفوا من غيبوه وكذا تعرف الأقمار من بعد المغيب (2)
وفجعنا بإمام مصلح عامر القلب وأواب منيب (3)
كم له من باقيات في الهدى والندى بين شروق وغروب
يبذل المعروف في السر كما يرقب العاشق إغفاء الرقيب (4)
يحسن الظن به أعداؤه حين لا يحسن ظن بقريب
تنزل الأطياف منه والمنى والخلال الغر في مرعى خصيب
قد مضت عشر وسبع والنهى في ذبول والأماني في نضوب (5)
نرقب الأفق فلا يبدو به لامع من نور هاد مستثيب (6)
وننادي كل مأمول وما غير أصداء المنادى من مجيب
دوى الجرح ولم يقدر له بعد ثاوي (عين شمس) من طبيب (7)
أجدب العلم وأمسى بعده رائد العرفان في واد جديب (8)

(1) حبيب، هو ابن أوس الطائي، المكنى أبا تمام، الشاعر المعروف.
(2) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد في شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثي إسحاق بن أبي ربعي:
قد علمت ما وزنت إنما يعرف فقد الشمس عند المغيب
ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ في البيت الذي قبله.
(3) الأواب: كثير الرجوع إلى الله. والمنيب: من أناب، بمعنى رجع.
(4) الإغفاء: النوم.
(5) النضوب: الجفاف.
(6) مستثيب: أي يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يتوب إليه، أي يرجع.
(7) دوى: صار ذا داء، والثاوي: المقيم. وعين شمس: البلد الذي كان يسكنه الفقيد، وهي ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة.
(8) الرائد: الطالب.

رحمة الدين عليه كلما خرج التفسير عن طوق الأريب (1)
رحمة الرأي عليه كلما طاش سهم الرأي في كف المصيب
رحمة الفهم عليه كلما دقت الأشياء عن ذهن اللبيب
رحمة الحليم عليه كلما ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
ليس في ميدان (مصر) فارس يركب الأخطار في يوم الركوب
كلما شارفه منا فتى غاله المقدار من قبل الوثوب (2)
ما ترى تولى (قاسم) وهو في الميعة والبرد القشيب (3)
أنسى الأحياء ذكرى (عبده) وهي للمستاف من مسك وطيب (4)
إنهم لو أنصفوها لبنوا معهدا تعتاده كف الوهوب (5)
معهدا للدين يسقي غرسه من نمير فاض من ذاك القليب (6)
ونسينا ذكر (حفني) بعده ودفنا فضله دفن الغريب
لم تسل منا عليه دمعة وهو أولى الناس بالدمع الصبيب (7)

(1) الطوق: الجهد والطاقة. والأريب: العاقل البصير. ويريد «بالتفسير»: تفسير القرآن الكريم، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر.

(2) شارفه: أشرف عليه ودنا منه.

(3) ميعة الشباب: أوّله. والقشيب: الجديد، وقاسم، هو المرحوم قاسم بك أمين.

(4) استاف الطيب: شمه.

(5) تعتاده: أي تتعوّد الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل.

(6) الماء النمير: الناجع في الري. والقليب: البئر. ويريد الفقيد.

(7) الصبيب: المنصب.

سكنت أنفاس (حفني) بعد ما طيبت في الشرق أنفاس الأديب (1)
عاش خصب العمر موفور الحجا صادق العشرة مأمون المغيب

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك (2)

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين 26 ديسمبر سنة 1922م]

علمان من أعلام مصـ ـر عدا الردى فطواهما

(حسن) و(زهدي) لم يمتع بالشباب كلاهما

سلكا سبيل الحق ما عاشا وما أولاهما!
داس الأثيم حماهما تحت الدجى ودهاهما
فرمى النهى والفضل مجـ ـتمعين حين رماهما
إن تذكروا همم الرجا ل فقدموا ذكراهما
أو تسألوني عن شهيـ ـدي مبدأ فهما هما

(1) سكون الأنفاس: كناية عن الموت. ويريد بقوله «طيبت في الشرق أنفاس الأديب»: أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشآتهم وارتفع به أدبهم.

(2) في مساء الخميس 16 نوفمبر سنة 1922م، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدي باشا، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما، فتوفي إسماعيل بك أولا، وتوفي حسن باشا بعده، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسي بين الأحزاب.

رثاء إسماعيل صبري باشا (1)

أنشدها في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة في مايو سنة 1923م، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به، فقال مرتجلا:

أكثرتم التصفيق في موطن كان البكاء فيه بنا أليقا
فاكرموا (صبري) بإنصاتكم وليعذر الدمع إذا صفقا

ثم ابتدأ في إنشاد قصيدته:

نعاك النعاة وحم القدر ولم يغن عنا وعنك الحذر (2)
طوت ذبحة الصدر صدر الندى فلم تطو إلا سجل العبر (3)
فأمسيت تذكر في الغابرين وإن قل مثلك فيمن غبر (4)
إذا ذكرت سير الناهين فسيرة (صبري) تجب السير (5)
لقد كنت برا بظل الشباب فلما تقلص كنا الأبر (6)

(1) ولد المرحوم إسماعيل صبري باشا في سنة **1854**م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق، سافر إلى أوربا فأتم علومه القانونية هناك، ونال الشهادة من كلية إكس، وبعد عودته إلى مصر تولى عدّة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية، واعتزله في سنة **1907**م، وكانت وفاته في ربيع سنة **1923**م. وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات، وإلى هذا يشير حافظ في مرثيته.

(2) حم القدر: قضى (بالبناء للمجهول فيهما). ويريد «بالقدر»: الموت.

(3) يشير إلى أن الفقيد توفي بالذبحة الصدرية، وقد عاش مصابا بها رحمه الله أعواما طويلة. والندى: مجلس القوم ومنتداهم.

(4) الغابرون: الماضون.

(5) تجب السير: تقطعها وتذهب بها. يقول: إنه ذكر الفقيد لم يذكر سواه في التأبين من الرجال.

(6) تقلص الظل: تقبض. يريد أنه قد بعد عن الإثم في شبابه، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشدّ.

فلم تستبق نزوة في الصبا ولم تستبح هفوة في الكبر
اهنى الثرى أم أعزي الورى لقد فاز هذا وهذا خسر
أأوّل يوم لعهد الربيع تجف الرياض ويذوى الزهر؟ (1)
ويذبل زهر القريض الثري ويقفر روض القوافي الغرر (2)
ليهدأ (عمان) فغواصه أصيب وأمسى رهين الحفر (3)
فقد كان يعتاده دائبا بكورا رؤوحا لنهب الدرر (4)
يقول فيرخص در النحور ويغلي جمان بنات الفكر (5)
يسوق القصار فيأبى العثار وكم من مطيل ممل عثر (6)
قصار وحسب النهى أنها لها معجزات قصار السور
رحمت، فقد كنت حلو اللسان جلي البيان صدوق الخبر
قليل التعجب جم الأناة حكيم الورود حكيم الصدر (7)
شمائلك الغر هن الرياض روى شذاها نسيم السحر (8)

(1) ذوى الزهر: ذبل. ويشير بهذا إلى أن وفاة الفقيد كانت في فصل الربيع.

(2) القريض الثري: الغني بمعانيه وألفاظه.

(3) عمان: كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها. ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذي يؤتى به من بحر عمان.

(4) يعتاده دائبا، أي يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع به شعره.

(5) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. ويريد «ببنات الفكر»: معاني الشعر.

(6) يشير إلى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره في المقطوعات القصيرة.

(7) الأناة: التأني. ويريد «بحكيم الورود... إلخ»: إنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول إليها والخروج منها.

(8) الشذا: الرائحة الطيبة.

لها مثل روح الدعاء استجيب   فعافى وآوى وأغنى وستر (1)
إذا ما وردت لها منهلا   وردت نميرا لذيذ الخصر (2)
وفكرك في خصبه ثروة   لفكر الأديب إذا ما افتقر (3)
وشعرك كالماء في صفوه   على صفحته تراءى الصور (4)
عيون القصائد مثل العيون   وشعرك فيهن مثل الحور (5)
وكم لك شكوى هوى أو أسى   لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة في الهجير   فكاد يدب إليك الشجر (6)
وكم كنت تشعل فحم الدجى   بأنفاس صب طويل السهر (7)
فيا ويح قلبك ماذا   عليه من الداء حتى أنفطر
أيخفق تحت الدجى وحده   ألح   لذكرى أليف سلا أو هجر (8)

(1) الروح: الراحة.

(2) النمير: الماء الناجع في الري. وخصر الماء (بالتحريك): برودته.

(3) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدون من معانيه إذا أعوزتهم المعاني.

(4) تراءى، تتراءى، أي تبين وتظهر.

(5) عيون القصائد: نفائسها وكرائمها. والحور في العين: اشتداد البياض والسواد في بياضها وسوادها، واستدارة حدقتها، ورقة جفونها.

(6) الهجير: شدة الحر. ويشير بهذا البيت إلى مقطوعة للمرحوم إسماعيل صبري باشا، أوّلها.

يا سرحة بجوار الماء نضرة   سقاك دمعي إذا لم يوف ساقيك
عار عليك وهذا الظل منتشر   فتك الهجير بمثلي في نواحيك

(7) يشير بهذا البيت إلى مقطوعات الفقيد في النسيب والشوق، وهي من أنفس شعره.

(8) يشير بهذا البيت إلى قول الفقيد يخاطب فؤاده:

سلا الفؤاد الذي شاطرته زمنا حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

إذا قيل (صبري) ذكرت (الوليد) ومرت بنفسي ذكرى (عمر) (1)

يزين تواضعه نفسه كما زان حسن الملاح الخفر (2)

زكي الشاعر عف الهوى شهي الأحاديث حلو السمر (3)

لقد كنت أغشاه في داره وناديه فيها زها وازدهر

وأعرض شعري على مسمع لطيف يحس نبو الوتر (4)

على مسمع باقعة حاضر يميز القديم من المبتكر (5)

فيصقل لفظي صقل الجمان ويكسوه رقة أهل الحضر (6)

يرقرق فيه عبير الجنان فتستاف منه النهى والفكر (7)

كذلك كان – عليه السلام – إماما لكل ديب شعر

فكنا الجداول نروي الظماء ظماء العقول وكان النهر (8)

زهدت على شهرة طبقت وجاه أظل وفضل بهر (9)

(1) يريد «بالوليد وعمر»: أبا عبادة البحتري وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، الشاعرين المعروفين. شبه بهما الفقيد في رقة الأسلوب، وعذوبة الألفاظ، وطرافة المعاني، وحسن النسيب. وكان اسماعيل صبري رحمه الله، يعجب كثيرا بشعر البحتري ويفضله على غيره من الشعراء.

(2) الخفر: شدة الحياء.

(3) زكي المشاعر: طاهرها. وعف الهوى: عفيفه فلا يدعوه حبه إلى ارتكاب مأثم.

(4) يريد بقوله «يحس نبو الوتر»: أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه مانبا من الألفاظ والعبارات، وندّ عما جاوره ولم ينسجم معه في البيت أو القصيدة.

(5) الباقعة: الذكي العارف الذي لا يفوته شيء.

(6) يصقل لفظي، أي يجلوه ويحسنه.

(7) العبير: الرائحة الطيبة. وتستاف: تشم. والنهى: العقول.

(8) الجداول: الأنهار الصغيرة من النهر الكبير.

(9) أظل: أي امتد ظله واتسع.

خلعت الشباب فلم تبكه	وساءك أنك لم تختضر (**1**)
وقد ذقت طعم الردى عندما	أصيب قطارك يوم السفر (**2**)
فأقسمت أنك ألفيته	لذيذ المذاقة إذ تحتضر (**3**)
تمنيت أن لم تعد للحياة	ولكن أباها عليك القدر
وكم ساعة بين ساع الحياة	سقتك المرار بكأس الضجر (**4**)
فرحت إلى أختها شاكيا	أذاتك منها فكانت أمر (**5**)
ففتشت أثناءها جاهدا	بعيني بصير بعيد النظر
فلم تر فيها على طولها	هنيهة صفو خلت من كدر (**6**)

(**1**) أختضر فلان بالبناء للمجهول: مات غضا وهو شاب.

(**2**) يشير بهذا البيت واللذين بعده إلى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الإسكندرية، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا إلى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوي عباس الثاني إذ اصطدم القطار الذي كان يقله مع قطار آخر، وقد أصيب في هذه الحادثة كثيرون من الركاب بإصابات مختلفة، وتوفى بعضهم، قد أغمي على الفقيد إغماء طويلا، وأصيب بارتجاج في مخه، حتى أنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك، كما أصيب برضوض في كتفه الأيسر، وكان يتحدث إلى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت في هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق، وكان يتمنى ألا تعود إليه الحياة ثانية.

(**3**) احتضر فلان (بالبناء للمجهول): حضره الموت.

(**4**) الساع: جمع ساعة. والمرار بالضم: شجر شديد المرارة. شبه الأحزان والهموم بعصارة هذا النبات. ويشير بهذا البيت إلى مقطوعة للفقيد في الساعة، أولها:

وكم ساعة آلمني مسها	وأزعجتني يدها القاسية

(**5**) يشير بهذا: إلى قول الفقيد في مقطوعة الساعة التي سبقت الإشارة إليها:

وكم سقتني المر أخت لها	فرحت أشكو إلى التاليه
فأسلمتني هذه عنوة	لساعة أخرى وبي ما بيه

(**6**) يشير بهذا البيت الذي قبله إلى قول الفقيد في مقطوعة الساعة أيضا:

فتشت فيها جاهدا لم أجد هنيهة واحدة صافيه
ومازلت تشكو إلى أن أتت كما تشتهي ساعة لم تذر (**1**)
فلا صد تخشاه بعد الوصال ولا ضعف تشكوه بعد الأشر (**2**)
أريح فؤادك مما ضناه وصدرك مما عليه انكدر (**3**)
تمنيتها خطوة للممات تفرج عنك كروب الغير (**4**)
وها قد خطاها ونلت المنى فهل في اللمات بلوغ الوطر (**5**)
صدقت ففي الموت نصر الأبي على الدهر إن هو يوما غدر
مللت الثواء بدار الزوال فماذا رأيت بدار المقر (**6**)
أتحت التراب يضام الكريم ويشقى الحليم ويخفى القمر؟
ويهضم حق الأديب الأريب ويطمس فضل النبيه الأغر؟ (**7**)
أتحت التراب تساق الشعوب بسوط العبودة سوق البقر؟
ويعقد مؤتمر للسلام فنخرج منه إلى مؤتمر؟

(**1**) ساعة لم تذر: يريد ساعة الموت؛ ويشير بهذا البيت إلى قول الفقيد في آخر مقطوعة الساعة:

يا شاكي الساعات أسمع عسى تنبيك منها الساعة القاضيه

(**2**) الأشر: البطر؛ وقابله بالضعف لأن الأشر إنما يكون مع القوة والقدرة.

(**3**) مما عليه انكدر، أي مما انصب عليه من الهموم.

(**4**) الغير: تغيرات الزمان ونوائبه. ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى قول الفقيد:

يا موت هأنذا فخذ ما أبقت الأيام مني
بيني وبينك خطوة إن تخطها فرجت عني

(**5**) الوطر: الحاجة.

(**6**) الثواء: الإقامة.

(**7**) الأريب: العاقل الفطن.

فإن كان ما عندنا عندكم فليس لنا من شقاء مفر
خضم الحياة بعد النجاة فطوبى لراكبه إن عبر (1)
فعد سالما غانما للتراب كرأيك في الموت واهنأ وقر

رثاء سعيد زغلول (2)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت في 21 يوليه سنة 1932م]

ما أنت أوّل كوكب في الغرب أدركه المغيب
فهناك أقمار المشا رق قد أتيح لها الغروب
داس الحمام عرين خا لك، وهو مرهوب مهيب (3)
لم يثنه عنك الرئيـ ـس ولا رمى عنك الخطوب (4)
يا (سعد) كيف قضى (سعيـ ـد) وهو من (سعد) قريب؟

(1) الخضم: البحر.

(2) نشأ سعيد زغلول في ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا، وبعد أن تخرج في مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة، ثم انتقل إلى الديوان السلطاني في أيام المغفور له السلطان حسين كامل، ثم عاد إلى النيابة ثانية، ثم عين قاضيا في محكمة الزقازيق. ولما سئم خاله الوحدة، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق، استدعاه إليه فكان معه في جبل طارق، وصحبه في سفره بعد ذلك إلى أوربا، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما؛ وكانت وفاته في 10 يوليه سنة 1923م، ثم نقل جثمانه من أوربا إلى مصر.

(3) العرين: مأوى الأسد.

(4) لم يثنه: لم يصرفه. ويريد «بالرئيس» رئيس الوفد المصري المرحوم سعد زغلول باشا.

عجبا! أتحمي أمة وتخاف جانب الخطوب (1)
ويغال ضيفك وابن أخـ ـتك وهو عن (مصر) غريب؟
نبئت أنك قد بكيـ ـت وهالك اليوم العصيب
وإذا بكى (سعد) بكت لبكائه منا القلوب
يا (آل زغلول) ذوى من روضكم غصن رطيب (2)
فقدت به (مصر) فتى أخلاقه مسك وطيب
يا (آل زغلول) وعو دكم على الجلي صليب (3)
إني لأخجل أن أعزيكم وكلكم أريب (4)
شاكي سلاح الصبر ممـ ـتحن لدنياه لبيب (5)
خطب الكنانة في فقيـ ـدكم لخطبكم يشيب (6)
لم يبق منا واحدا إلا له منه نصيب

(1) يلاحظ أن في هذا الشعر إيطاؤ، لتكرار لفظ «الخطوب» في بيتين ليس بينهما غير بيت واحد.
(2) ذوى: ذبل.
(3) الجلي: المصيبة العظمى. وصليب، أي صلب.
(4) الأريب: ذو العقل والرأي.
(5) شاكي سلاح الصبر، أي متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب.
(6) «لخطبكم»... إلخ، أي خطب مصر لأجل الخطب الذي أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله.

رثاء محمد سليمان أباظة بك (1)

[في سنة 1923م]

من لم يذق فقد اليف الصبا ... لم يدر ما أبدي وما أضمر
أفقدني الموت به وافيا ... لا يعرف الختل ولا يغدر (2)
تقرأ في عينيه كل الذي ... في نفسه عن نفس يست
ثلاثة لم تعر عن عفة: ... لسانه والذيل والمئزر (3)
قد كان متلافا لأمواله ... وكان نهاضا بمن يعثر
أوشك أن يفقره جوده ... ومن صنوف الجود ما يفقر
أصيب فيه المجد يوم انطوى ... والعرف والسائل والمعسر (4)
كنا على عهد الصبا سبعة ... بمستطاب اللهو نستأثر
(البابلي) صفوة فتياننا ... و(ابن المولحي) الكاتب الأشهر (5)
و(صادق) خير بني (سيد) ... و(بيرم) إذ عوده أخضر
وكان (عبد الله) أنسا لنا ... وانس (عبد الله) لا ينكر
لهو كريم لم يشب صفوه ... رجس ولم يشهده مستهتر (6)

(1) محمد سليمان أباظه بك، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة 1872/ وتعلم في مدرسة البوليس ثم كان ضابطا إلى سنة 1897م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفى سنة 1932م.

(2) الختل: الخداع.

(3) المئزر: الإزار. وعفة المئزر: كناية عن عفة ما تحته.

(4) العرف: المعروف.

(5) انظر التعريف بالبابلي والمويلحي (في الحاشية رقم 5 صفحة 166 والحاشية رقم 3 منم صفحة 150 من الجزء الأول على الترتيب).

(6) لم يشب: لم يخالط. والرجس: النجس.

فكم لنا من مجلس طيب يشتاقه (هارون) أو (جعفر) (**1**)
نلعب باللفظ كما نشتهي ونضمر المعنى فما يظهر
ونرسل النكتة محبوكة عن غيرنا في الحسن لا تصدر
ثم انطوى هذا وهذا وما يطوى من الأيام لا ينشر
كم دوحة أودى بها عاصف والنجم من مأمنه ينظر (**2**)

ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك (3)

عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا كأننا قد نسينا يوم منعاكا
إذا سألت (يا أبا شادي) مطوقة ذكر الهديل فثق أنا سلوناكا (**4**)
في مهجة (النيل) والوادي وساكنه رجع لصوتك موصول بذكراكا (**5**)
قد عشت فينا نميرا طاب مورده أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياكا (**6**)

(**1**) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكي وزيره، وقد توفي جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة **87**هـ.
(**2**) الدوحة: الشجرة العظيمة.
(**3**) كان المرحوم محمد أبو شادي بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها «الظاهر»، وانتخب عضوا في مجلس النواب، وتوفي في **30** يونيو سنة **1925**م.
(**4**) المطوقة: الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها. والهديل: زعم الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا.
(**5**) رجع الصوت: صداه.
(**6**) النمير: الماء الناجع في الري. ويريد بقوله «أسمى سجايا»: أن أعلى ما يتحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تتحلى به من شيم ومكارم.

فما كأولاك في بر وفي كرم اولى كريم، ولا عقبى كعقباكا
قضية الوطن المغبون، قد ملأت أنحاء نفسك شغلا عن قضاياكا
أبليت فيها بلاء المخلصين لها وكان سهمك أني رشت فتاكا (1)
أجملت ما فصلوه في قصائدهم حتى لقد نضروا بالحمد مثواكا (2)
لم يبق لي قيد شبر صاحباي ولم يفسح لي القول لا هذا ولا ذاكا
يا مدمن الذكر والتسبيح محتسبا هأنت في الخلد قد جاوزت مولاكا
ولم يكن لك في دنياك مفخرة سوى (زكي) لقد جملت دنياكا (3)

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في 7 أكتوبر سنة 1927م

إيه يا ليل هل شهدت المصابا كيف ينصب في النفوس انصبابا؟
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح أن الرئيس قد ولى وغابا (4)
وانع للنيرات (سعدا) فـ (سعد) كان أمضى في الأرض منها شهابا
قد يا ليل من سوادك ثوبا للدراري وللضحى جلبابا (5)

(1) راش السهم يريشه، إذا ألصق به الريش ليكون أسرع في مضيه.

(2) نضروا، من النضرة، وهي الحسن والبهجة. ومثواك: قبرك.

(3) المراد «بزكي»: الدكتور أحمد زكي أبو شادي، ابن الفقيد.

(4) انبلاج الصبح: إشراقه.

(5) قد: اقطع. والدراري (بتشديد الياء وخففت للشعر): الكواكب المضيئة الصافية الشعاع.

انسج الحالكات منك نقابا   واحب شمس النهار ذاك النقابا (1)
قل لها: غاب كوكب الأرض في الأ   رض فغيبي عن السماء احتجابا
والبسيني عليه سوب حداد   واجلسي للعزاء فالحزن طابا
أين (سعد)؟ فذاك أوّل حفل   غاب عن صدره وعاف الخطابا (2)
لو يعود جنوده يوم خطب   أن ينادى فلا يرد الجوابا
عل أمرا قد عاقه، عل سقما   قد عراه، لقد أطال الغيابا (3)
أي جنود الرئيس نادوا جهارا   فإذا لم يجب فشقوا الثيابا
إنها النكتة التي كنت أخشى   إنها الساعة التي كنت آبى (4)
إنها اللفظة التي تنسف الأنـ   ـفس نسفا وتفقر الأصلابا (5)
مات (سعد)، لا كنت يا (مات سعد)   أسهاما مسمومة أم حرابا
كيف أقصدت كل حي على الأر   ض وأحدثت في الوجود انقلابا؟ (6)
حسرة عند أنه عند آه   تحتها زفرة تذيب الصلابا (7)
قل لمن بات في (فلسطين) يبكي   إن زلزالنا أجل مصابا (8)

(1) يقال: حباه كذا وبكذا يحبوه، إذا أعطاه إياه.

(2) عاف الشيء: كرهه وزهد فيه.

(3) عراه: أصابه.

(4) آبى، أي كره.

(5) يريد باللفظة: (مات سعد) الواردة في البيت التالي. والأصلاب: عظام في الظهر ذات فقار من لدن الكاهل إلى العجب. وتفقرها، أي تصيب هذه الفقار فتكسرها.

(6) أقصده: أصاب مقتله.

(7) الصلابن: أي الحجارة الصلبة.

(8) يشير إلى زلزال فلسطين الذي حدث في 11 يوليو سنة 1927م، الذي عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية، فدمر كثيرا من الدور وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس، وقد تبرع الفقيد لمنكوبي هذا الزلزال بمائة جنيه.

قد دهيتم في دوركم ودهينا | في نفوس أبين إلا احتسابا (1)
ففقدتم على الحوادث جفنا | وفقدنا المهند القرضابا (2)
سله ربه زمانا فأبلى | ثم ناداه ربه فأجابا (3)
قدر شاء أن يزلزل (مصرا) | فتغالى فزلزل الألبابا
طاح بالرأس من رجالات (مصر) | وتخطى التحوت والأوشابا (4)
والمقادير إن رمت لا تبالي | أرءوسنا تصيب أم أذنابا
خرجت أمة تشيع نعشا | قد حوى أمة وبحرا عبابا
حملوه على المدافع لما | أعجز الهام حمله والرقابا
حال لون الأصيل والدمع يجري | شفقا سائلا وصحبا مذابا (5)
وسها النيل عن سراه ذهولا | حين ألفى الجموع تبكي انتحابا
ظن يا (سعد) أن يرى مهرجانا | فرأى مأتما وحشدا عجابا
لم تسق مثله فراعين (مصر) | يوم كانوا لأهلها أربابا (6)

(1) احتسابا، أي إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب واحتمالها له فيما يدخر عند الله.

(2) الجفن: الغمد. والمهند: السيف. والقرضاب: القطاع. يقول: أن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس إلى ما ضاع منا كالغمد إذا قيس بالسيف.

(3) سله: شهره.

(4) طاح به: ذهب به. والتحوت: السفلة. والأوشاب: الأخلاط من الناس؛ الواحد وشب (بالكسر).

(5) يقول: إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التي كانت تجري دما، فكانت كأنها شفق سائل، أو صبح مذاب؛ وفي لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته.

(6) مثله، أي مثل هذا الحشد.

خضب الشيب شيبهم بسواد   ومحا البيض يوم مت الخضابا (1)

واستهلت سحب البكاء على الوا   دي فغطت خضراءه واليبابا (2)

ساقت (التيمس) العزاء إلينا   وتوخت في مدحك الإسهابا (3)

لم ينح جازع عليك كما نا   حت ولا أطنب المحب وحابى

واعتراف (التاميز) يا (سعد) مقيا   س لما نال نيلنا وأصابا (4)

يا كبير الفؤاد والنفس والآ   مال أين اعتزمت عنا الذهابا

كيف ننسى مواقفا لك فينا   كنت فيها المهيب لا الهيابا

كنت في ميعة الشباب حساما   زاد صقلا فرنده حين شابا (5)

لم ينازلك قارح القوم إلا   كنت أقوى يدا وأعلى جنابا (6)

عظم لو حواه (كسرى أنوشر   وان) يوما لضاق عنه إهابا (7)

ومضاء يريك حد قضاء الله   يفري متنا ويحطم نابا (8)

(1) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد.

(2) يقال: استهل المطر، إذا انحل منه واشتد انصبابه. واليباب: الفقر.

(3) التيمس: جريدة انجليزية معروفة.

(4) التاميز: نهر في جنوب إنجلترا، ويريد بالتاميز والنيل أهليهما.

(5) ميعة الشباب: أوّله. وفرند السيف: وشيه وجوهره.

(6) يريد «بالقارح» (هنا): المكتمل القوة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال. والقارح في الأصل من الأفراس: ما تمت أسنانه، وإنما تتم في خمس سنين.

(7) كسرى أنوشروان: ملك من ملوك الفرس معروف. والإهاب: الجلد. أي إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم.

(8) يفري المتن، أي يقصم الظهر. ويحطم الناب: يكسره.

قد تحديت قوة تملأ المعـ ـمور من هول بطشها إرهابا (1)
تملك البر والبحر وتمشي فوق هام الورى وتجبي السحابا (2)
لم ينهنه من عزمك السجن والنفـ ـي وساجلتها (بمصر) الضرابا (3)
سائلوا (سيشلا) أأوجس خيفا وسلوا (طارقا) أرام انسحابا؟ (4)
عزمة لا يصدها عن مداها ما يصد السيول تغشى الهضابا
ليت (سعدا) أقام حتى يرانا كيف نعلي على الأساس القبابا
قد كشفنا بهديه كل خاف وحسبنا لكل شيء حسابا
حجج المبطلين تمضي سراعا مثلما تطلع الكؤوس الحبابا
حين قال: (انتهيت) قلنا بدأنا نحمل العبء وحدنا والصعابا (5)
فاحجبوا الشمس واحبسوا الروح عنا وامنعونا طعامنا والشرابا (6)
واستشفوا يقينا رغم ما نلـ ـقى فهل تلمحون فيه ارتيابا؟ (7)

(1) يريد «بالقوة»: قوة الإنجليز.

(2) هام الورى: رءوسهم، الواحدة هامة. ويريد بقوله «وتجبى السحايا» أن هذه الدولة لها ملك واسع، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو إشارة إلى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة في الأفق فقال: امطري حيث تمطرين فإن ما تخرجينه من الزرع تجبي ثمراته لنا.

(3) لم ينهنه، أي لم يثنه عن مطلبه ولم يصرف. وساجلتها الضرابا، اي حاربت هذه القوة كما حاربتك.

(4) سيشل: جزيرة انجليزية في المحيط الهندي تقع إلى الشمال من جزيرة مدغشقر، وقد نفي إليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة 1921م ثم نقل من سيشل إلى جبل طارق، لأن جو سيشل أضر به.

(5) حين حضرت سعد الوفاة، سئل، كيف أنت؟ فقال: «أنا انتهيت»، وإلى هذا يشير الشاعر.

(6) الروح: نسيم الرياح.

(7) استشف الشيء: تبينه من وراء حجاب. يقول في هذا البيت والذي قبله مخاطبا الإنجليز: إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا نرتاب فيه ولا يزحزحنا عنه مزحزح.

قد ملكتم فم السبيل علينا — وفتحتم لكل شعواء بابا (1)
وأتيتم بالحائمات ترامي — تحمل الموت جاثما والخرابا (2)
وملأتم جوانب النيل وعدا — ووعيدا ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبي — أو رأيتم منا إليكم مثابا (3)
لا تقولوا خلا العرين ففيه — ألف ليث إذا العرين أهابا (4)
فاجمعوا كيدكم وروعوا حماها — إن عند العرين أسدا غضابا (5)
جزع الشرق كله لعظيم — ملأ الشرق كله إعجابا
علم (الشام) و(العراق) و(نجدا) — كيف يحمي الحمى إذا الخطب نابا
جمع الحق كله في كتاب — واستشار الأسود غابا فغابا (6)
ومشى يحمل اللواء إلى الحق — ويتلوا في الناس ذاك الكتابا
كلما أسدلوا عليه حجابا — من ظلام أزال ذاك الحجابا
واقف في سبيلهم أين ساروا — عالم باحتيالهم أين جابا (7)

(1) الشعواء: الغارة المنتشرة.

(2) يريد «بالجاثمات»: الطائرات.

(3) المثاب: الرجوع. يقول: إنكم بالغتم في تعذيبنا، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم.

(4) العرين: بيت الأسد ومأواه. وأهاب: دعا.

(5) راعه يروعه: أزعجه وخوفه. والضمير في «حماها» لمصر.

(6) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى اقتفاء اللمالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها في نهضتها عن الأوطان.

(7) أين جاب، أي أين تنقل.

أي مكر يدق عن ذهن (سعد)   أي ختل يريغ منه اضطرابا؟ (1)
شاع في نفسه اليقين فوقا   هـ به الله عثرة أو تبابا (2)
عجزت حيلة الشباك وكان   الشرق للصيد مغنما مستطابا
كلما أحكموا بأرضك فخا   من فخاخ الدهاء خابوا وخابا
أو أطاروا الحمام يوما لزجل   قابلوا منك في السماء عقابا (3)
تقتل الدس بالصراحة قتلا   وتسقي منافق اليوم صابا (4)
وترى الصدق والصراحة دينا   لا يراه المخالفون صوابا
تعشق الجو صافي اللون صحوا   والمضلون يعشقون الضبابا (5)
أنت أوردتنا من الماء عذبا   وأراهم قد أوردونا السرابا
قد جمعت الأحزاب حولك صفا   ونظمت الشيوخ والنوابا
وملكت الزمام واحتطت للغيـ   ـب وأدركت بالأناة الطلابا (6)
ثم خلفت بالكنانة أبطا   لا كهولا أعزة وشبابا

(1) يدق: يغمض ويخفي. والختل: الخداع. ويريغ منه: يريده على الاضطراب والخوف.

(2) وقاه: حفظه. التباب: الخسران.

(3) الحمام الزاجل: حمام كان يستعمل لنقل الرسائل. ويريد «بإرساله للزجل» هنا: السعي لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة. والعقاب: طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر.

(4) تسقي (بالتشديد): تسقى (بالتخفيف)، وشدد للمبالغة. والصاب: عصارة شجر مر.

(5) شبه في هذا البيت الصراحة في القول بصحو الجو وصفائه، والنفاق بظلمة الغيم والضباب.

(6) الأناة: التأني.

قد مشى جمعهم إلى المقصد الأسـ ـمى يغدون للوصول الركابا (1)
يبتنون العلا يشيدون مجدا يسعدون البنين والأعقابا
قد بلوناك قاضيا ووزيرا ورئيسا ومدرها خلابا (2)
فوجدناك من جميع نواحيـ ـك عظيما موفقا غلابا
لم ينل حاسدوك منك مناهم لا ولم يلصقوا بعلياك عابا (4)
كم شكوت السهاد لي يوم كنا بالبساتين نستعيد الشبابا (5)
ننهب اللهو غافلين وكنا نحسب الدهر قد أناب وتابا
فإذا الرزء كان منا بمرمى وإذا حائم الردى كان قابا (6)
حمتنا المنون ذيالك الوجـ ـه وذاك الحمى وتلك الرحابا
وسجايا لهن في النفس روح يعدل الفوز والدعاء المجابا
كم وردنا موارد الأنس منها ورشفنا سلافها والرضابا (7)
ومرحنا في ساحها فنسينا الـ ـأهل والأصدقاء والأحبابا

(1) يقال: أغذ فلان السير وفي السير، إذا أسرع.
(2) بلوناك، أي اختبرناك. والمدرة: خطيب القوم ولسانهم؛ ويطلق في هذا العصر على المحامي.
(3) العاب: العيب.
(4) الأوصاب: الأمراض والأوجاع الدائمة.
(5) يريد «بالبساتين»: بساتين فتح الله بركات باشا التي تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد.
(6) قابا، أي قريبا.
(7) السلاف: ما تحلب وسال قبل العصر، وهو أجود الخمر. والرضاب: لعاب العسل.

ثم ولت بشاشة العيش عنا حين ساروا فوسدوك الترابا
خفت فينا مقام ربك حيا فتنظر بجنتيه الثوابا (1)

رثاء أمين الرافعي بك (2)

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في 16 فبراير سنة 1928م.

أما (أمين) فقد ذقنا لمصرعه وخطبه من صنوف الحزن ألوانا
لم تنسنا ذكراه الدنيا وإن نسجت للراحلين من النسيان أكفانا
مضى نقيا عفيف النفس محتسبا فهد من دولة الأخلاق أركانا (3)
جرت على سنن التوحيد نشأته في الله والرأي إخلاصا وإيمانا (4)
لم يلوه عن رأي يدين به (ولو حملت إليه الدهر ملانا) (5)
ولم يلن عوده للخطب يرهقه قسا عليه شديد العيش أم لانا (6)
ظلم من القبر أن تبلى أنامله فكم رمت في سبيل الله من خانا

(1) تنظر: انتظر. ويشير بهذا البيت إلى قوله تعالى: ولمن خاف مقام ربه جنتان».

(2) ولد المرحوم أمين الرافعي بك في ديسمبر سنة 1886م، وتوفي في 29 ديسمبر سنة 1927م، وهو الكاتب السياسي المعروف، صاحب جريدة الأخبار، وكانت له في النهضة القومية مواقف مشهودة.

(3) محتسبا، أي مدخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح.

(4) السنن: الطريقة.

(5) لم يلوه، أي لم يصرفه. والشطر الثاني عجز بيت للمتنبي من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله، وصدره: «ولا أسر بما غيري الحميد به» ومطلعها:

قد علم البين منا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا

(6) لان عوده: ضعف. ويرهقه: يحمله ما لا يطيق.

كانت مطية سباق جوانبه ... يرويك فياضها صدقا وعرفانا (1)

عشرون عاما على الطرس الطهور جرى ... ما خط فاحشة أو خط بهتانا

يجول بين رياض الفكر مقتطفا ... من طيب مغرسها وردا وريحانا

فيشنق الذهن من أسطاره أرجا ... وتبصر العين فوق الطرس بستانا (2)

(أمين) فارقتنا في حين حاجتنا ... إلى فتى لا يرى للمال سلطانا

إلى أمين على أوطانه يقظ ... ذي مرة يتلقى الخطب جذلانا (3)

أيلبس الخز من لانت مهزته ... وأنت تخرج من دنياك عريانا؟ (4)

إن القناعة كنز كنت حارسه ... ترى به القوت ياقوتا ومرجانا (5)

فما سعيت لغير الحمد تكسبه ... ولا رضيت لغير الحق إذعانا

أودى بك (السكر) المضني ولا عجب ... أن يورث الحلو مر العيش أحيانا (6)

ما هان خطبك والأخلاق والهة ... تبكي عليك إذا خطب امرئ هانا (7)

(أمين) حسبك ما قدمت من عمل ... فأنت أرجحنا في الحشر ميزانا

(1) يريد «بالسباق»: القلم. ويريد «بجوانبه» شقيه. وفياضها، أي التي تفيض بالمعاني والأفكار.

(2) أرج الزهر: نفحته وطيب ريحه. والطرس: الصحيفة يكتب فيها.

(3) المرة: القوة والشدة. والجذلان: الفرح (بكسر الراء).

(4) الخز: الحرير. ومن لانت مهزته، أي من كان ضعيفا في طلب الحق والدفاع عنه، وكان لينا لغاصب وطنه.

(5) يريد بقوله: ترى به القوت..... إلخ»: أنه يكتفي من حطام الدنيا بالقوت، ويرى أنه يعدل الياقوت والمرجان في نفاستهما، فلا يمتد طمعه إلى عرض الدنيا قناعة منه.

(6) أودى به: ذهب به وأهلكه. والسكر، هو ذلك المرض المعروف، وبه مات الفقيد.

(7) والهة: حزينة.

أبشر فإنك في أخراك أسعدنا حظا وإن كنت في دنياك أشقانا
بلف ثلاثتكم عنا تحيتنا واذكر لهم ما يعاني قومنا الآنا (1)
واضرع إلى الله في الفردوس مبتهلا أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (2)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في 30 مارس سنة 1928م

أبكى وعين الشرق تبكي معي على الأريب الكاتب الألمعي (3)
جرى عصي الدمع من أجله فزاد في الجود على الطيع (4)
نقص من الشرق ومن زهوه فقد اليراع المعجز المبدع (5)
ليس لمصر في رجالاتها حظ ولا للشام في أروع (6)
مصاب (صروف) مصاب النهى فليبكه كل فؤاد يعي (7)
كرم بالأمس وأكفانه تنسجها الأقدار للمصرع (8)
يا صائغ الدر لتكريمه صغه لمنعاه من الأدمع

(1) يريد «بالثلاثة»: المرحومين: مصطفى كامل، ومحمد فريد، وعلي فهمي كامل.
(2) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (في الحاشية رقم 2 من صفحة 154 من الجزء الأول).
(3) الأريب: العاقل. والألمعي: الذكي المتوقد.
(4) يريد «بعصي الدمع»: الدمع الذي يمتنع عند نزوله المصائب عزة وأنفة من البكاء.
(5) الزهو: الكبر والفخر.
(6) الأروع: الشهم الذكي الفؤاد.
(7) يعي: يحفظ.
(8) يشير بقوله كرم بالأمس إلى الاحتفال باليوبيل الذهبي لمجلة المقتطف الذي أقيم في سنة 1927م، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت في هذا الديوان.

قد زين العلم بأخلاقه فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم له روعة ينهار منها صلف المدعي (1)
وحلة الفضل لها شارة أزهى من السيفين والمدفع
يشبع من حصل من علمه وهو من التحصيل لم يشبع
مبكر تحسبه طالبا يسابق الفجر إلى المطلع
قد غالت الأسقام أضلاعه والرأس في شغل عن الأضلع
مات وفي أنمله صارم لم ينب في الضرب عن المقطع (2)
صاحبه خمسين عاما فلم يخن له عهدا ولم يخدع
موفقا أني جرى ملهما ما ضل في الورد عن المشرع (3)
لم يبره بار سوى ربه ولم يجزه جاهل أو دعي (4)
في النقل والتصنيف أربى على مدى (ابن بحر) ومدى (الأصمعي) (5)

(1) الصلف: الكبر.

(2) شبه القلم بالصارم، وهو السيف. ونبا السيف عن الضريبة ينبو: كل وارتد عنها.

(3) المشرع: المورد الذي يستقي منه.

(4) خفف الياء في «دعي» لضرورة القافية.

(5) يريد «بالنقل»: ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء في هذا الباب. وابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي بالفالج النصفي سنة 255 هـ. ولد بالبصرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة، وتخرج في علم الكلام على أبي إسحاق النظام، ونصر مذهب الاعتزال. ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام. والأصمعي، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، ولد سنة 123 هـ ونشأ بالبصرة، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها، وأكثر الخروج إلى البادية، وشافه الأعراب وساكنهم، وكان من ندماء الخليفة الرشيد؛ وتوفي في سنة 216هـ، وأكثر مؤلفاته في اللغة.

أي سبيل للهدى لم يرد وأي باب منه لم يقرع
يقتطف الزهر ويختاره كالنحل لا يعفو عن الأينع (**1**)
فتحسب القراء في جنة عقولهم في روضها ترتعي
(صروف) لا تبعد فلست الذي يطويه طاوي ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه لم يسكت الآثار في المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة في معهد العلم وفي المصنع

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (2)

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت 10 نوفمبر سنة 1928م.

لعب البلى بملاعب الألباب ومحا بشاشة فمك الخلاب (**3**)
وطوى الردى (عمرو) الكنانة غافلا ورمى شهاب دهائه بشهاب (**4**)

(**1**) لا يعفو عن الأينع، أي لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه.

(**2**) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن إسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر في عصره. ولد ثروت باشا في سنة **1873**م، وبعد أن تعلم في مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أوّل مصري تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رئاسة الوزارة في سنة **1922**م، وتم في عهد وزارته حصول البلاد على تصريح **28** فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها. ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيرا، وسافر إلى باريس للاستشفاء بها، فتوفي في **22** سبتمبر سنة **1928**م. وكان من سوّاس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم.

(**4**) يريد بقوله «عمرو الكنانة»: تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومي أحد الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور، والقوّة على مكايدة الخصوم، وهو فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وتوفي في خلافة معاوية سنة **43** هـ.

من كان يدري يوم سافر أنه ... سفر من الدنيا بغير إياب
حزنت عليه عقولنا وقلوبنا ... وبكت، وحزن العقل شر مصاب
القلب ينسيه الغياب أليفه ... والعقل لا ينسيه طول غياب
بالأمس مات أجلنا وأعزنا ... جاها وأبقانا على الأحقاب (1)
واليوم قد غال الحمام أسدنا ... رأيا فطاح بحكمة وصواب (2)
رأس يدبر في الخفاء كأنه ... قدر يدبر من وراء حجاب
حتى إذا أرضى النهي وتناسقت ... آياته راع الورى بعجاب (3)
يمشي على سنن الحجا متمهلا ... بين العداة الكثر والأحباب (4)
تتناثر الأقوال عن جنباته ... من شانئ ومناصر ومحابي (5)
لا المدح يغريه ولا يلوي به ... عن نجده المرسوم وقع سباب
حلو التواضع لم يخالط نفسه ... زهو المدل يحاط بالإعجاب (7)
حلو الأناة إذا يسوس وعنده ... أن التعجل آفة الأقطاب (8)
حلو السكوت ككوكب متألق ... والليل ساج أسود الجلباب (9)

(1) يريد بقوله: «أجلنا» إلخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة. والأحقاب: الدهور.
(2) غال: أهلك. والحمام (بكسر الحاء): الموت.
(3) تناسقت، أي توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد.
(4) السنن (بالتحريك): الطريق. والحجا: العقل. والكثر: الكثيرة.
(5) الثنائي: المبغض.
(6) ألوي به عن الطريق. حاد به عنه. والنجد: الطريق البين الواضح؛ قال تعالى: (وهديناه النجدين).
(7) الزهو: الكبر.
(8) الأناة: التأني في الأمر.
(9) المتألق: المشرق. وسجا الليل يسجو: ركد ظلامه ودام.

يهدي السبيل لسالكيه ولم يرد   شكرا ولم يعمل لنيل ثواب
متمكن من نفسه لم يعره   قلق الضعيف وحيرة المرتاب (1)
يزن الأمور كأنما هو صيرف   يزن النضار بدقة وحساب
ويحل غامضها بثاقب ذهنه   حل الطبيب عناصر الأعشاب
ويقيس شقتها بمقياس النهى   فترى صحيح قياس (الاصطرلاب) (2)
متبسم وعلى معارف وجهه   آيات ما يلقى من الأوصاب (3)
شيم ترد الناقمين لوده   وشمائل تستل حقد النابي (4)
يرضي المرتل في الكنيسة صنعه   كيسا ويرضي ساكن المحراب (5)
يرتاح للمعروف لا متربحا   فيه ولا هو في الجميل مرابي (6)
يروي الصديق من الوفاء ولم يكن   بالحاسد النعمى ولا المغتاب
لم يبد فينا جازعا أو غاضبا   لا هم إلا غضبة النواب (7)
وبكاؤه في يوم (سعد) زادني   علما بأن اليوم يوم تباب (8)

(1) لم يعره، أي لم يصبه.

(2) الشقة: المسافة. والاصطرلاب: آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهي كلمة يونانية الأصل.

(3) معارف الوجه: ملامحه وما يعرف به. والأوصاب: الأمراض؛ الواحد وصب (بالتحريك).

(4) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدوّ المحرض عنه وتردّه إلى مودّته. والنابي: المنصرف عنه.

(5) الكيس: العقل. يقول في هذا البيت: إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى.

(6) لا متربحا، أي لا طالبا ربحا.

(7) لاهم، أي اللهم. ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب ولا يحزن لمنفعة فاتته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة في سبيل المصلحة العامة.

(8) التباب، الخسران.

قامت صعاب في مسالك سعيه ... من بعد (سعد) دعمت بصعاب (1)
فظهيره عند النضال وركنه ... أمسى حديث جنادل وتراب (2)
لله سر في بناية (ثروت) ... سبحان باني هذه الأعصاب (3)
إني سألت العارفين فلم أفز ... منهم على عرفانهم بجواب
هو مستقيم ملتو، هو لين ... صلب، هو الواعي، هو المتغابي (4)
هو حول، هو قلب، هو واضح ... هو غامض، هو قاطع، هو نابي (5)
هو ذلك الطلسم من أعيا الحجا ... حلا ومات ولم يفز بطلاب (6)
هو ما تراه مفاوضا كيف انبرى ... لكبيرهم بذكائه الوثاب (7)
لم يأت من باب لصيد دهائه ... إلا نجا بدهائه من باب (8)
ويظل يرقبه ويغزو كبره ... بليونة ولباقة وخلاب (9)

(1) دعمت بصعاب، أي صعاب فوق صعاب. والتدعيم: التقوية. يشير بهذا البيت الذي بعده إلى أن الفقيد كان يفاوض الإنجليز في القضية المصرية سنة 1927م قبل موت سعد في وزارة الائتلاف، فما مات في أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للمعاهدة لم يقبل.

(2) الظهير: المعين. ويريد به سعدا. والجنادل: الحجارة.

(3) بناية ثروت، أي تكوينه وخلقه (بفتح فسكون).

(4) الواعي: الحافظ. والمتغابي: مدّعي الغباوة.

(5) الحوّل القلب: الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في غيرها.

(6) الضمير في «مات» للفقيد، وفي «يفز»: للحجا.

(7) كبيرهم، أي كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا، وهو الذي كان يفاوض الفقيد إذ ذاك.

(8) الضمير في «يأتي»: لكبير الإنجليز. وفي «نجا»: لثروت.

(9) الخلاب: المخاتلة والدهاء.

ويروضه حتى يرى أسطوله | خشبا تناثر فوق ظهر عباب (1)
ويرى صنوفا من ذكاء صففت | دون الحمى تعيي أسود الغاب (2)
وأتى بأقصى ما ينال مفاوض | يسعى بغير كتائب وحراب (3)
واستل من أشداق آساد الشرى | علما عضضن عليه بالأنياب (4)
خلقا خبا ضوء الهلال لطيه | جم التوجع دامي الأهداب (5)
فاخضر فوق ربوع مصر عوده | في منبت خصب ورحب جناب
إن فاته بعض الأماني فاذكروا | أنا أمام محنكين صلاب (6)
قد جاز تيهاء الأمور ولم يكن | في وعرها وكؤودها بالكابي (7)
رجل يفاوض وحده عن أمة | إن لم يفز فوزا فليس بعاب (8)
رفع الحماية بعد ما بسطت على | أبناء (مصر) وأيدت بكتاب (9)

(1) يروضه، أي يسوسه؛ وأصله من رياضة الدواب، أي تذليلها وتيسير ما صعب منها. والعباب: لجة البحر.

(2) الحمى، أي مصر؛ يريد بهذا البيت: أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها.

(3) الكتائب: فرق الجيش.

(4) يشير بهذا البيت إلى تصريح 28 فبراير سنة 1922م الذي رفع الحماية عن مصر، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها. والفضل في ذلك لثروت باشا الذي كان رئيسا للوزارة إذ ذاك. ويريد «بآساد الشرى» الإنجليز.

(5) يصف هذا العلم المصري بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعمرين، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدي الغاصبين. وخص الهلال بالذكر، لأنه شعار هذا العلم.

(6) يريد «بالمحنكين الصلاب»: الإنجليز. والمحنك: الذي أحكمته التجارب.

(7) التيهاء: الصحراء التي يضل فيها السائر. والكؤود من العقبات: الصعبة الشاقة على من صعدها. والكابي: العاثر.

(8) فوزا، أي فوزا كاملا. والعاب: العيب.

(9) يريد الكتاب الذي أرسلته حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وذلك في ديسمبر 1914م.

وأتى (لمصر) وأهلها بسيادة مرفوعة الأعلام والأطناب

غفرا فلست ببالغ فيك المدى إني غذذت إلى مداك ركابي (1)

كم موقف لك في الجهاد مسجل بشهادة الأعداء والأصحاب

في خطب مصر (لبطرس) أخمدتها مشبوبة كانت على الأبواب (2)

ألفت بين العنصرين فأصبحا رتقا، وكنت موفق الأسباب (3)

خالفت فيك الجازعين فلم أنح حزنا عليك وأنت من أترابي

النوح في الجلى اجتهاد مقصر ألفى دعاء الصبر غير مجاب (4)

فأنا الذي يبكي بشعر خالد يبقى على الأجيال للأعقاب

قد كنت تحسن بي وترقب جولتي في حلبة الشعراء والكتاب

وتهش إن لاقيتني وتخصني بالبشر في ناديك والترحاب

فاذهب كما ذهب الربيع بنوره تاسى الرياض عليه غب ذهاب (5)

(1) غذذت: أسرعت. يقول إنه قد حث مطايا للشعر، واجتهد في أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع. والذي في كتب اللغة: «أغذذت» بالهمز في أوله.

(2) يشير بهذا البيت والذي بعده إلى الفتنة التي كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالي باشا، وكان الفضل في إخماد هذه الفتنة، ورجوع الطائفتين إلى ما تقضي به الحكمة ومصلحة الوطن، لمرافعة الفقيد في هذه القضية ضد الورداني، قاتل بطرس باشا، وكان إذ ذاك نائبا عموميا.

(3) رتقا: ملتئمين.

(4) الجلي: ما جل وعظم من النوائب.

(5) النور (بفتح النون): زهر النبات. و«تأسى الرياض»... إلخ، أي تحزن لذهابه، ويذوى نباتها لغيابه.

رثاء محمود سليمان باشا (1)

[نشرت في 19 فبراير سنة 1929م]

مسدي الجميل بلا من يكدره ... ومكرم الضيف أمسى ضيف (رضوان) (2)
تجتازنا عبقة من روضة أنف ... اذا ألمت بنا ذكرى (سليمان) (3)
فقل (لآل سليمان) إذا جزعوا ... ردوا النفوس إلى صبر وسلوان
ما إن رأيت دفينا قبل شيخكم ... تحت التراب وفوق النجم في آن
قضيتها مئة في كل واحدة ... تعد زادك من بر وأحسان (4)
فكم صفحت عن الجاني ولم تره ... وكم غرست وكان المعوز الجاني (5)
وكم أقلت كريما عند عثرته ... وكم مشيت بصلح بين إخوان (6)
إني رأيتك قبل الموت في فلك ... من الجلال على جنبيه نوران
نور اليقين ونور الشيب بينهما ... سكينة حركت نفسي و وجداني
على جنبيك آيات الرضا ارتسمت ... وبين جنبيك قلب غير وسنان (7)

(1) محمود سليمان باشا، كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد، ومن كبار رجال النهضة الوطنية، ورئيسا للجنة الوفد المركزية، هو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا، وكانت وفاته في 22 يناير سنة 1929م، وهو نيف على التسعين.

(2) مسدي الجميل: معطيه. والمن: عد النعم والصنائع تعبيرا بها.

(3) «تجتازنا عفيفة» إلخ، أي تمر بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة.

(4) هذا العدد الذي ذكره الشاعر لعمر الفقيد إنما هو على وجه التقريب.

(5) المعوز: الفقير السيئ الحال. ويريد «بالجاني» الأوّل في هذا البيت: مقترف الجناية؛ و(بالثاني): مجتني الثمار.

(6) يقال: أقلت فلانا عثرته، غذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه.

(7) الوسنان: النائم.

قسمت ما جمعت كفاك من نشب — على بنيك فكنت الوالد الحاني (1)
مال حلال مزكي ما خلطت به — مليم سحت ولا حقا لإنسان (2)
زهدت فيها وهام العابدون لها — بجمع فان يعاني جمعه فاني
بكسرة وكساء عشت معتبطا — تسبح الله في سر وإعلان
أقر عينيك في دنياك أن رأتا — (محمدا) يتراءى فوق (كيوان) (3)
قضيت في الأوج منه عزيكما وكذا — يقضي (سليمان) في عز وسلطان (4)
أنجبت أربعة سادوا بأربعة: — فضل ونبل وإحسان وعرفان (5)
أورثتهم شمما هش الإباء له — وأورقت في ذراه عزة الشان (6)
يذكرن برا رحيما قد أقام لهم — صرحا من المجد أعلى ركنه الباني (7)
كم نعمة لك يا (محمود) عند أبي — بشكرها لك عند الموت أوصاني (8)

(1) النشب: المال.

(2) السحت: ما خبث من المكاسب ولزم به العار.

(3) يريد محمد محمود باشا، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده. وكيوان: اسم كوكب زحل. ويضرب مثلا في علوّ المنزلة.

(4) قضيت: من. والأوج: العلوّ. ويريد «بسليمان»: نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام.

(5) يريد أولاده الأربعة، وهم محمد محمود، وحفني محمود، وعبد الرحمن محمود، وعلي محمود.

(6) الشمم: كناية عن الرفعة وشرف النفس، وهي في الأصل، ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة. وهش: ارتاح. وذراه: أعاليه.

(7) الضمير في قوله «يذكرن»: للصفات السابق ذكرها في البيت السابق، وهي الشمم والإباء وعزة الشأن. إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها.

(8) يشير الشاعر بهذا البيت إلى أن أباه إبراهيم أفندي فهمي مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادي والمنن.

تأبين محمد المويلحي بك (1)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت في 18 إبريل سنة 1930م]

غاب الأديب أديب (مصر) واختفى   فلتبكه الأقلام أو تتقصفا
لهفي على تلك الأنامل في البلى   كم سطرت حكما وهزت مرهفا
مات (المولحي) الحسان ولم يمت   حتى غزا «عيسى» العقول وثقفا (2)

وقال يريثه أيضا:

أنشد هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في **13** يونيه **1930**م

دمعة من دموع عهد الشباب   كنت خبأتها ليوم المصاب (3)
لبت اليوم يا (محمد) لما   راعني نعي أكتب الكتاب (4)
هدأت لوعتي وسرت قليلا   عن فؤادي ولطفت بعض مابي (5)
موكب الدفن خلف نعشك يمشي   في احتساب وحسرة وانتحاب (6)
لم يجاوز منازل البدر عدا   من بقايا الصديق والأحباب (7)

(1) انظر التعريف بمحمد بك المويلحي (في الحاشية رقم **3** صفحة **150** من الجزء اللأول).

(2) الحسان: الحسان من الرجال. ويريد «بعيسى»: كتاب الفقيد، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف.

(3) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع وقوة على البكاء.

(4) راعني: أفزعني.   (5) سرت عن فؤادي: أي كشفت عنه الهم والحزن.

(6) في احتساب، أي في طلب الثواب.

(7) منازل البدر: مواضعه التي ينزل فيها في دورانه، وهي اثنا عشر منزلا. يقول: إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل في القلة وعلو المنزلة.

لم يسر فيه من يحاول أجرا ... عند حي مؤمل أو يحابي
موكب ماج جانباه بحفل ... من وفود الأخلاق والأحساب (1)
شاع فيه الوفاء والحزن حتى ... ضاق عن حشده فسيح الرحاب
فكأن السماء والأرض تمشي ... فيه من هيبة وعز جناب
تتمنى قياصر الأرض لو فا ... زت لدى موتها بهذا الركاب
رب نعش قد شيعته ألوف ... من سواد تعلوه سود الثياب (2)
ليس فيهم من جازع أو حزين ... صادق السعي أو أليف مصاب
كنت لا ترضى النجوم محلا ... فلماذا رضيت سكنى التراب!
كنت راح النفوس في مجلس الأنـ ... ـس وراح العقول عند الخطاب (3)
كنت لا ترهق الصديق بلوم ... لا ولا تستبيح غيب الصحاب (4)
ولئن بت عاتبا أو غضوبا ... لقريب الرضا كريم العتاب
جزت سبعين حجة لا تبالي ... بشهاد تعاقبت أم بصاب (5)
وسواء لديك والرأي حر ... روح (نيسان) أو لوافح (آب) (6)

(1) ماج: اضطرب.

(2) سواد الناس: عامتهم.

(3) الراح: الخمر.

(4) ترهق الصديق، أي تؤذيه وتحمله ما يسيء ويؤلم.

(5) الشهاد: عسل النحل. والصاب: عصارة شجر شديد المرارة. يريد حلو الزمان ومره.

(6) الروح: الريح. ونيسان، شهر من شهور السنة المسيحية، ويقابله إبريل حيث يكون الربيع. واللوافح من الرياح: الحارة. وآب، شهر من شهور السنة المسيحية، ويقابله أغسطس، حيث يشتد القيظ. يقول: إنه سواء لديه في سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه.

يا شجاعا وما الشجاعة إلا الصبر لا الخوض في صدور الصعاب
كنت نعم الصبور إن حزب الأم، ـر وسدت مسارح الأسباب (1)
كم تجملت والأملني صرعى وتماسكت والحظوظ كوابي (2)
عشت ما عشت كالجبال الرواسي فوق نار تذيب صم الصلاب (3)
مؤثر البؤس والشقاء على الشكـ ـوى وإن عضك الزمان بناب
كنت تخلو بالنفس والنفس تشوى من كؤوس الهموم والأوصاب (4)
فتسري بالذكر عنها وتنفي ما عراها من غصة واكتئاب (5)
وترى وحشة انفرادك أنسا بحديث النفوس والألباب
بنت عنها وما جنيت وقد كا بدت بأسها على الأحقاب (6)
ونبذت الثراء تبذل فيه من إباء في بذله شر عاب (7)
لو شهدتم (محمدا) وهو يملي آي "عيسى" ومعجزات الكتاب (8)
وقفت حوله صفوف المعاني وصفوف الألفاظ من كل باب

(1) يقال: حزبه الأمر، إذا اشتد عليه وضغطه. وسدت مسارح الأسباب، أي سدت مذاهب العيش والرزق.

(2) تجملت، أي لم تظهر الجزع. وكوابي، أي عواثر.

(3) صم الصلاب، أي الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة.

(4) الأوصاب: الآلام، الواحد وصب (بالتحريك).

(5) الذكر: القرآن، وكان الفقيد يكثر من تلاوته في آخر أيامه.

(6) بنت: بعدت. وعنها، أي عن الدنيا. والأحقاب: السنون.

(7) الثراء: الغنى. والعاب: العيب. والضمير في «بذله» يعود على الإباء. يقول: إنك عفت الغنى الذي لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبي.

(8) آي عيسي، أي كتابه «حديث عيسى بن هشام».

لعلمتم بأن عهد (ابن بحر) عاود الشرق بعد طول احتجاب (1)
أدب مستو وقلب جميع وذكاء يريبك ضوء الشهاب (2)
عند رأي موفق، عند حزم عند علم، يفيض فيض السحاب
جل أسلوبه النقي المصفى عن غموض ونفرة واضطراب (3)
وسما نقده النزيه عن الهجـ ـر فما شيب مرة بالسباب (4)
ذقت في غربة الحياة عناء فذق اليوم راحة في الإياب
بلغ (البابلي) عني سلاما كعبير الرياض أو كالملاب (5)
كان تربي وكان من النعيم المبـ ـدع – سبحانه – على الأتراب (6)
فارس في الندى إذا قصر الفر سان عنه وفارس في الجواب
يرسل النكتة الطريفة تمشي في رقيق الشعور مشي الشراب
قد أثار (المحمدان) دفينا في فؤادي وقد أطارا صوابي (7)
خلفاني بين الرفاق وحيدا مستكينا وأمعنا في الغياب

(1) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف.

(2) وقلب جميع، أي مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد.

(3) يريد «بالنفرة» تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض.

(4) الهجر (بالضم): القبيح الفاحش من الكلام. وشيب: خلط.

(5) يريد «بالبابلي» محمد البابلي بك. (انظر التعريف به في الحاشية رقم 5 من صفحة 166 من الجزء الأوّل) وعبير الرياض: طيبها. والملاب: كل عطر مائع؛ وهو لفظ فارسي معرب.

(6) ترب الإنسان: نظيره في السن.

(7) المحمدان، محمد الميلحي، ومحمد البابلي.

رثاء عبد الحليم العلايلي بك (1)

[نشرت في 6 مايو سنة 1932م]

يا بن (عبد السلام) لا كان يوم غبت فيه عن هالة الأحرار (2)
كنت فيهم كالرمح بأسا ولينا كنب فيهم كالكوكب السيار
يا عريق الأصول واحسب الو ضاح والنبل يا كريم الجوار (3)
كنت فرعا بدوحة العز تأوي تحت أفنانه عفاة الديار (4)
قصفته المنون وهو نضير مورق عوده جني الثمار
كنت تأسو جراحهم وتقيهم وتقيل العثار عند العثار (5)
خان نطقي ولم تخنِ دموعي – لهف نفسي – فقصرت اشعاري
في ربدع إذا نظمت رثائي في صديقي من الدموع الجواري (6)
فمن الحزن ما يدك الرواسي ومن الحزن ما يهد الضواري (7)

(1) عبد الحليم العلايلي بك، هو ابن عبد السلام بك من سراة دمياط المعروفين، وقد اشترك في النهضة الوطنية زمنا طويلا، وكان عضوا بارزا في حزب الأحرار الدستوريين، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب، وكان عضوا في مجلس النواب في بعض السنين؛ وتوفى في 3 مايو 1932م

(2) الهالة: دارة القمر، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين.

(3) الحسب الوضاح: المشهور.

(4) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. والأفنان: الأغصان. والعفاة: طلاب المعروف.

(5) تأسو جراحهم: تداويها وتبرئها. وتقيهم: تحفظهم. وأقلت فلانا عثرته، إذا وقع في خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته.

(6) البدع: الغريب.

(7) يدك: يهدم. والرواسي: الجبال. والضواري: السباع الولعة بالافتراس، الواحد ضار.

وقال يرثيه أيضا:

[نشرت في 16 يونيه سنة 1932م]

مضيت ونحن أحوج ما نكون إليك ومثل خطبك لا يهون
برغم (النيل) أن عدت العوادي عليك وأنت خادمه الأمين
برغم (الثغر) أن غيبت عنه وأن نزلت بساحتك المنون (1)
أجل مناه لو يحويك ميتا ليجبر كسره ذاك الدفين (2)
أسأل من الدموع عليك بحرا تكاد بلجه تجري السفين
وقام النادبات بكل دار وكبر في مآذنه الأذين (3)
أصيب بذي مضاء أريحي به عند الشدائد يستعين (4)
فتى الفتيان غالتك المنايا وغصنك لا تطاوله غصون
صحبتك حقبة فصحبت حرا أبيا لا يهان ولا يهين (5)
نبيل الطبع لا يغتاب خلا ولا يؤذي العشير ولا يمين (6)
تطوع في الجهاد لوجه (مصر) فما حامت حواليه الظنون
ولم يثن الوعيد له عنانا ولم تحنث له أبدا يمين

(1) يريد «بالثغر»: مدينة دمياط. والمنون: الموت.

(2) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعي بمصر ولم يدفن بدمياط.

(3) الأذين: المؤذن. ويشير بقوله «وكبر... إلخ»: إلى ما كان مألوفا من أنه مات عظيم قام به المؤذنون ينعونه بالتكبير على المآذن في غير أوقات الأذان.

(4) الضمير في قوله «أصيب». للثغر السابق ذكره. والأريحي الذي يرتاح للمعروف.

(5) الحقبة: الدهر.

(6) مان يمين: كذب.

ولم تنزل بعزته الدنايا ولم يعلق به ذل وهون
مضى لسبيله لم يحن رأسا ولم يبرح سريرته اليقين
تركت أليفة ترجو معينا وليس سوى الدموع لها معين (1)
تنوح على القرين وأين منها وقد غال الردى – ذاك القرين
سمعت أنينها والليل ساج فمزق مهجتي ذاك الأنين (2)
فقد عانيت قدما ما يعاني على علاته القلب الحزين
من الخفرات قد نعمت بزوج سما بجلاله أدب ودين (3)
أقامت في النعيم ولم تروع فكل حياتها رغد ولين
لقد نسج العفاف لها رداء وزان رداءها الخدر المصون
دهاها الموت في الإلف المفدى وكدر صفوها الدهر الخؤون
فكاد مصابها يأتي عليها لساعتها وتقتلها الشجون (4)
ربيبة نعمة لم تبل حزنا ولم تشرق بأدمعها الجفون (5)
وفت لأليفها حيا وميتا كذاك كريمة (اللوزي) تكون (6)
ستكفيها العناية كل شر ويخرس خدرها (الروح الأمين)

(1) يريد «بالأليفة»: زوجه.
(2) سجا الليل: سكن وهدأ
(3) الخفرات: ذوات الحياء؛ الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه).
(4) يأتي عليها: يذهب بها ويهلكها.
(5) لم تبل حزنا، أي لم تعرفه ولم تذق مرارته. وشرق الجفن: احمر من البكاء.
(6) اللوزي: لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط، وكانت زوج الفقيد منها.

رثاء محمود الحمولي

وهو ابن المرحوم عبده الحمولي المغني المعروف، وكان قد مات بعد قرانه بقليل.

شوقتماني أيها الفرقدان   لبدر تم غاب قبل الأوان (1)
وكلما اشرقتما مرة   علمتما عيني نظم الجمان (2)
على عزيز قد تولى ولن   يؤوب حتى يرجع القارظان (3)
عجلت يا (محمود) في رحلة   قرت بها أعين حور الجنان
كأنما آخر عهد الهنا   قد كان منا ليلة المهرجان (4)

رثاء حبيب المطران باشا (5)

أعزي فيك أهلك، أم أعزي   عفاة الناس، أم هم الكرام؟ (6)
وما أدري أركن الجاه أودي   وقد أوديت أم ركن الشآم؟ (7)

(1) يريد: أنه كلما رأى الفرقدين نذكر ذلك البدر فاشتاق إليه.

(2) الجمان: اللؤلؤ؛ الواحدة جمانة، شبه بها الدموع.

(3) القارظان: رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يجعا، ولا عرف لهما خبر، فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه.

(4) المهرجان: عيد للفرس؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد؛ ويريد به هنا حفل العرس.

(5) كان حبيب المطران باشا سريا من سراة الشام، وكان قصره في بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء: وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده في بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية.

(6) أودى: هلك.

رثاء المرحوم أحمد البابلي

بدأ الممات يذب في أترابي وبدأت أعرف وحشة الأحباب
يا بابلي فداك إلفك في الصبا وفدا شبابك في التراب شبابي
قد كنت خلصاني وموضع حاجتي ومقر آمالي وخير صحابي (1)
فاذهب كما ذهب الكرام مشيعا بالمجد مبكيا من الأحباب

تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في ابنته

وديعة ردت إلى ربها ومالك الأرواح أولى بها
ألم يكن صبرك في بعدها يربو على شكرك في قربها؟ (2)

وقال يرثيها أيضا:

بين السرائر ضنة دفنوك أم في المحاجر خلسة خبئوك؟ (3)
ما أنت ممن يرتضي هذا الثرى نزلا فهل أرضوك أم غبنوك؟ (4)

(1) الخلصان (بالضم): الخالص من الأخدان، يستوي فيه الواحد كما هنا، والجماعة أيضا. يقال: هو خلصاني، وهم خلصاني.

(2) يربو: يزيد؛ والمستعمل في هذا المعنى: أربى يربي.

(3) السرائر: جمع سريرة، وهي السر؛ والمراد هنا: موضعه. وضنة، أي بخلا بها. والمحاجر: جمع محجر (وزان مجلس)، وهو ما دار بالعين. «يريد» أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها في ضمائرهم أو في عيونهم، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه.

(4) النزل: المكان المهيأ للنزول به.

يا بنت (محمود) يعز على الورى   لمس التراب لجسمك المنهوك (1)
تركوا شبابك فيه نهبا للبلى   واها لغض شبابك المتروك (2)
وحثوه فوق سناك يا شمس الضحى   فبكى له بدر السماء أخوك (3)
داس الحمام عرين آساد الشرى   يا ليت شعري أين كان أبوك؟ (4)
عهدي به يلقي الردى بمهند   يعلوه غمد من دم مسفوك (5)
يا نفس (محمود) وأنت عليمة   بطريق هذا العالم المسلوك
عهودك لا تتصدعين لحادث   أو أنت باقية كما عهدوك (6)
هذا التراب – وأنت علم – ملتقى   هذا الورى من سوقة وملوك (7)
هل أنت إلا بين جنبي ماجد   صعب الشكيمة للخطوب ضحوك (8)
يغضنى بحضرته الزمان فيلتقي   عز المليك وذلة المملوك (9)

(1) المنهوك: المجود المضني.

(2) الغض: الطري الناعم.

(3) حثا التراب على الميت يحثوه: هاله عليه. والسنا: الضوء.

(4) الحمام (بالكسر): الموت. وعرين الأسد: مأواه. والشرى: مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل. ويريد «بعرين الأسد» بيت أبيها.

(5) المهند: السيف.

(6) التصدع: التشقق.

(7) أنت: يخاطب نفس البارودي.

(8) صعب الشكيمة، أي أنوف أبي لا ينقاد.

(9) يغضي الزمان، أي يستحيي منه ويهابه.

ملاحظة – أشر في نهاية هذه القصيدة في طبعة هذا الديوان السابقة إلى أنها قصيدة طويلة وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها.

من مرثية وهمية

بلغ حافظا أن جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما:

إن الذي كانت الدنيا بقبضته   أمسى من الأرض يحويه ذراعان

وغاب عن ملكه من لم تغب أبدا   عن ملكه الشمس من عز وسلطان

تم ديوان حافظ إبراهيم

فهرس

قصائد الجزء الأوّل والثاني

(حرف الهمزة)

بيت	جزء
هل رأيتم موفقا كعلي في الأطباء يستحق الثناء	1
لي كساء أنعم به من كساء أنا فيه أتيه مثل الكسائي	1
ببابك النحس والسعود وموقف اليأس والرجاء	1
هذا الظلام أثار كامن دائي يا ساقي على بالصهاء	1
ألبسوك الدماء فوق الدماء وأروك العداء بعد العداء	1
خلقت لي نفسا فأرصدتها للحزن والبلوى وهذا الشقاء	2
لا والأسى وتلهب الأحشاء ما بات بعدك معجب بوفاء	2
أعزي القوم لو سمعوا عزائي وأعلن في ملكيتهم رثائي	2

(حرف الألف)

تناميت عنكم فحلت عرا وضاعت عهود على ما أرى	1
ينادي الجزيرة قف ساعة وشاهد بربك ما قد حوى	1

(حرف الباء)

ماذا ادخرت لهذا العيد من أدب فقد عهدتك رب السبق والغلب 1

لمحت جلال العيد والقوم هيب فعلمني أي العلا كيف تكتب 1

بكرا صاحبي يوم الإياب زقفا بي بعين شمس قفا بي 1

لو ينظمون اللآلئي مثل ما نظمت مذ غبت عنا عيون الفضل والأدب 1

أعجمي كاد يعلو نجمه في سماء الشعر نجم العرب 1

شيخان قد خبرا الوجود وأدركا ما فيه من علل ومن أنساب 1

أخرق الدف لو رأيت شكيبا وأفض الأذكار حتى يغيبا 1

أديم وجهك يا زنديق لو جعلت منه الوقاية والتجليد للتكب 1

ملكتم على عنان الخطب وجزيتم بقدري سماء الرتب 1

قل للنقيب لقد زرنا فضيلته فذادنا عنه حراس وحجاب 1

عجب الناس منك يا بن سليما ن وقد أبصروا لديك عجيبا 1

حطمت اليراع فلا تعجبي وعفت البيان فلا تعتبي 1

إن كنتم تبذلون المال عن رهب فنحن ندعوكم للبذل عن رغب 1

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلا وهناك المجد والحسب 1

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا 1

قضيت عهد حداثتي ما بين ذل واغتراب 1

(عبد العزيز) لقد ذكرتنا أمما كانت جوارك في لهو وفي طرب 1

لا تلم كفى إذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أبى 1

أيحصى معانيك القريض المهذب على أن صدر الشعر للمدح أرحب 1

(قصر الدوبارة) هل أتاك حديثنا فالشرق ريع له وضج المغرب 1

أجل هذه أعلامه ومواكبه هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه 1

(قصر الدوبارة) قد نقضـ ـت العهد نقض الغاصب 2

سكت فأصغروا أدبي وقلت فأكبروا أربي 2

جراب حظي قد أفرغته طمعا بباب أستاذنا (الشيمي) ولا عجبا 2

ماذا أصبت من الأسفار والنصب وطيك العمر بين الوخد والخبب 2

رميت بها على هذا التباب وما أوردتها غير السراب 2

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب 2

صونوا يراع (علي) في متاحفكم وشاوروه لدى الأرزاء والنوب 2

سكن الفليسوف بعد اضطراب إن ذاك السكون فصل الخطاب 2

أيدري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سليما في التراب	2
ولدي قد طال سهدي ونحيبي	جئت أدعوك هل أنت من مجيبي	2
آذنت شمس حياتي بمغيب	ودنا المنهل يا نفس فطيبي	2
إيه يا ليل هل شهدت المصابا	كيف ينصب في النفوس انصبابا	2
لعب البلي بملاعب الألباب	ومحا بشاشة فمك الخلاب	2
دمعة من دموع عهد الشباب	كنت خبأتها ليوم المصاب	2
حياكم الله أحيوا العلم والأدبا	إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا	1

(حرف التاء)

فيك السعيدان اللذان تباريا	يا مصر في الخيرات والبركات	1
إليكن يهدي النيل ألف تحية	معطرة في أسطر عطرات	1
يا كاتب الشرق ويا خير من	تتلو بنو الشرق مقاماته	1
رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي	وناديت قومي فاحتسبت حياتي	1
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	1
أحياؤنا لا يرزقون بدرهم	وبألف ألف ترزق الأموات	1

(ليلاي) ما أنا حي   يرجى ولا أنا ميت   2

سلام على الإسلام بعد محمد   سلام على أيامه النضرات   2

(حرف الحاء)

(للونا) شهرة في الطب تاهت   بها مصر وتاه بها مديحي   1

أهل الصحافة لا تضلوا بعده   فسماؤكم قد زانها (المصباح)   1

وفتيان أنس أقسموا أن يبددوا   جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح   1

مرت كعمر الورد بينا أجتلي   إصباحها إذ آذنت برواح   1

ما لي أرى الكمام لا تفتح والروض لا يذكو ولا ينفتح   2

أشرق فدتك مشار الإصباح   وأمط لثامك عن نهار ضاحي   2

سليل الطين كم نلنا شقاء وكم خطت أناملنا ضريحا   2

(حرف الدال)

تعمدت قتلي في الهوى وتعمدا   فما أثمت عيني ولا لحظة اعتدى   1

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا   أيا ليتني كنت السجين المصفدا   1

إن هنئوك بها فلست مهنئا   إني عهدتك قبلها محسودا   1

أرأيت رب التاج في	في عهد الجلوس وقد تبدى	1
يا كوكب الشرق أشرق	فالحادثات تجد	1
لقد بت محسودا عليك لأنني	فتاك وهل غير المنعم يحسد	1
ارحمونا بني اليهود كفاكم ما جمعتم بحذقكم من نقو		1
خمرة في (بابل) قد صهرجت	هكذا أخبر حاخام اليهود	1
ومن عجب قد قلدوك مهندا	وفي لحظ منك سيف مهند	1
سمعنا حديثا كقطر الندى	فجدد في النفس ما جددا	1
ما لي أرى بحر السيا	سة لا يني جزرا ومدا	1
أيها القائمون بالأمر فينا	هل نسيتم ولاءنا والودادا	2
بنات الشعر بالنفحات جودي	فهذا يوم شاعرك المجيد	2
فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى	فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا	2
لا رعى الله عهدنا من جدود	كيف أمسيت يا بن (عبد المجيد)	2
وقف الخلق ينظرون جميعا	كيف أبني قواعد المجد وحدي	2
لقد طال الجياد ولم تكفوا	أما أرضاكم ثمن الجياد	2
ردا كؤوسا عن شبه مفؤودفليس ذلك يوم الراح والعود		2

أيهذا الثرى إلام التمادي	بعد هذا أأنت غرثان صادي	2
ردوا على بياني بعد (محمود)	إني عييت وأعيا الشعر مجهودي	2
من ليوم نحن فيه من لغد	مات ذو العزم والرأي الأسد	2

(حرف الراء)

مطالع سعد أم مطالع أقمار	تجلت بهذا العيد أم تلك أشعاري	1
في عيد مولانا الصغيـ	ـر وعيد مولانا الكبير	1
لمحت من مصر ذاك التاج والقمرا	فقلت للشعر هذا يوم من شعرا	1
إن صوروك فإنما قد صوروا	تاج الفخار ومطلع الأنوار	1
قصرت عليك العمر وهو قصير	وغالبت فيك الشوق وهو قدير	1
رباك والدك الكريم على التقى	وعلى النزاهة والضمير الطاهر	1
يا كاسي الأخلاق في	بلد عن الأخلاق عاري	1
قلم إذا ركب الأنامل أو جرى	سجدت له الأقلام وهي جواري	1
شجننا مطالع أقمارها	فسالت نفوس لتذكارها	1
كحافظ إبراهيم لكنه	أجمل خلقا منه في الظاهر	1

قل للرئيس أدام الله دولته بأن شاعره بالباب منتظر	1
شكرت جميل صنعكم بدمعي ودمع العين مقياس الشعور	1
وافي كتابك يزدري بالدر أو بالجوهر	1
طال الحديث عليكم أيها السمر ولاح للنوم في أجفانكم اثر	1
لا غرو إن أشرق في منزلي في ليلة القدر محيا الوزير	1
أحامد كيف تناسى وبيني وبينك يا أخي صلة الجوار	1
عاصف يرتمي وبحر يغير أنا بالله منهما مستجير	1
كأني أرى في الليل نصلا مجردا يطير بكلتا صفحتيه شرار	1
يا ساهد النجم هل للصبح من خبر إني أراك على شيء من الضجر	1
أنا العاشق العاني وإن كنت لا تدري أعيذك من جد تغلغل في صدري	1
قالت الجوزاء حين رأت جفنه قد واصل السهرا	1
سائلوا الليل عنهم والنهارا كيف باتت نساؤهم والعذارى	1
هذا صبي هائم تحت الظلام هيام حائر	1
أيها الوسمي زر نبت الربا واسبق الفجر إلى روض الزهر	1
أيها الطفل لك البشرى فقد قدر الله لنا أن ننشرا	1

أساحة للحرب أم محشر ومورد الموت أم الكثور 2

أطل على الأكواب والخلق تنظر هلال رآه المسلمون فكبروا 2

أهلا بأوّل مسلم في المشرقين علا وطار 2

كم حدّدوا يوم الجلاء الذي أصبح في الابهام كالمحشر 2

ما لهذا النجم في السحر قد سها من شدّة السهر 2

لقد كانت الأمثال تضرب بيننا بجور (سدوم) وهو من أظلم البشر 2

نثروا عليك نوداي الأزهار وأتيت أنثر بينهم أشعاري 2

رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبير 2

أخت الكواكب ما رما ك وأنت رامية النسور 2

ملك النهى لا تبعدي فالخلق في الدنيا سير 2

لك الله قد أسرعت في السير قبلنا وآثرت يا مصري ما أبدي وما أضمر 2

يا بن (عبد السلام) لا كان يوم غبت فيه عن هالة الأحرار 2

(حرف السين)

أتيت سوق عكاظ أسعى بأمر الرئيس 1

أنا في الجيزة ثاو ليس لي فيها أنيس 1

أوشك الديك أن يصيح ونفسي بين هم وبين ظن وحدس 1

يأيها الحب امتزج بالحشى فإن في الحب حياة النفوس 1

أجاد (مطران) كعاداته وهكذا يؤثر عن (قس) 1

إن يوم احتفالكم زاد حسنا وجلالا بيوم عيد الجلوس 1

(حرف العين)

هجعت يا طير ولم أهجع ما أنت إلا عاشق مدمعي 1

بلال وادي النيل بالمشرق اسجعي بشعر أمير الدولتين ورجعي 1

قد راع دار العدل طغـ ـيان وراع الجامعة 1

قد أجدبت دار الحجا والنهى بعدك من أرائك النافعة 1

قد قرأنا ظلالكم فاشتفينا بارك الله في (ظلال الدموع) 1

هنا يستغيث الطرس والنقس والذي يخط ومن يتلو ومن يتسع 1

من لم ير المعرض في اتساع وفاته ما فيه من إبداع 1

نمى يا بابلي إليك شوقي وعيني لا زمت سكب الدموع 1

أي رجال الدنيا الجديدة مدّوا لرجال الدنيا القديمة باعا 1

أخشى مربيتي إذا طلع النهار وأفزع 1

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألمعي 2

(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع حديث الورى عن طيب ما كنت تصنع 2

أبكي وعين الشرق تبكي معي على الأريب الكاتب الألمعي 2

(حرف الفاء)

صدفت عن الأهواء والحر يصدف وأنصفت من نفسي وذو اللب يصف 1

غاب الأديب أديب (مصر) واختفى فلتبكه الأقلام أو تتقصفا 2

(حرف القاف)

سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبيك هم مقلق 1

ما بال (دندرة) تميس تهاديا ميس العروس مشت على استبرق 1

أيا يدا قد خصها ربها بآية الإعجاز في الخلق 1

وجدوا السبيل إلى التقاطع بيننا والسمع يملكه الكذوب الحاذق 1

يا (جاك) إنك في زمانك واحد لكل عصر واحد لا يلحق 1

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب (مصر) كثيرة العشاق 1

لا أبالي أذى العدو فحطني	أنت يا رب من ولاء الصديق	1
لي فيك حين بدا سناك وأشرقا	أمل سألت الله أن يتحققا	2
لا هم إن الغرب أصبح شعلة	من هولها أم الصواعق تغرق	2
أكثرتم التصفيق في موطن	كان البكا فيه بنا أليفا	2

(حرف الكاف)

لله عيد كبير	يزهو بنور جبينك	1
أحمد الله إذا سلمت لمصر	قدر ماها في قلبها من رماكا	1
سما الخطيبان في المعالي	وجاز شأواهما السماكا	1
عطلت فن الكهرباء فلم نجد	شيئا يعوق مسيرها إلاكا	1
يا شاعر الشرق اتئد	ماذا تحاول بعد ذاك	1
ظبي الحمى باله ما ضركا	إذا رأينا في الكرى طيفكا	1
كم وارث غض الشباب رميته	بغرام راقصة وحب هلوك	1
عجبت أن جعلوا يوما لذكراكا	كأننا قد نسينا يوم منعاكا	2
بين السرائر ضنة دفنوك	أم في المحاجر خلسة خبئوك	2

(حرف اللام)

بلغتك لم أنسب ولم أتغزل ولما أقف بين الهوى والتذلل		1
قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول قوال		1
هنيئا أيها الملك الأجل	لك العرش الجديد وما يظل	1
في ساحة (البدوي) حلت ساحة	عز البلاد لعزها موصول	1
لقد عاشرتنا فلبثت فينا	مثالا للنزاهة والكمال	1
الشعب يدعو الله يا (زغلول)	أن يستقل على يديك النيل	1
قد قرأناكم فهشت نهانا	فاقتبسنا نورا يضيء السبيلا	1
أضحى (نجيب) وكيلا	لنا ونعم الوكيل	1
(عثمان) إنك قد أتيت موفقا	شروى سميك جامع التنزيل	1
جرائد ما خط حرف بها	لغير تفريق ولا تضليل	1
لاتعجبوا فمليككم لعبت به	أيدي البطانة وهو في تضليل	1
يا صارما أنف الثواء بغمده	وأبى القرار ألا تزال صقيلا	1
سيرا أيا بدري سماء العلا	واستقبلا التم ولا تأفلا	1
أدلال ذاك أم كسل	أم تناس منك أم ملل	1

يا دولة القواضب الصقال		1
ضعت بين النهى وبين الخيال	يا حكيم النفوس يا بن المعالي	1
أقضيه في الأشواق إلا أقله	بطيء سرى أبدى إلى الليث ميله	1
شبحار أرى أم ذاك طيف خيال	لا بل فتاة بالعراء حيالي	1
أيها الطفل لاتخف عنت الدهـ	ـر ولا تخش عاديات الليالي	1
أي رجال الدنيا الجديدة مهلا	قد شأوتم بالمعجزات الرجالا	1
لله درك كنت من رجل	لو أمهلتك غوائل الأجل	2
جل الأسى فتجملي	وإذا أبيت فأجملي	2

(حرف الميم)

مني نلتها يا لابس المجد معلما	أدينا ودنيا زادك الله أنعما	1
لم نجد ما يفي بقدرك في المجـ	ـد فيهدي إلى حماك الكريم	1
إني دعيت إلى احتفالك فجأة	فأجبت رغم شواغلي وسقامي	1
جاز بي عرفها فهاج الغراما	ودعاني فزرتها إلماما	1
وسع الفضل كله صدرك الرحـ	ـب فمن شاء فليهنأ وسامه	1

يحييك من أرض الكنانة شاعر   شغوف بقول العبقريين مغرم   1

أقصر الزعفران لأنت قصر   خليق أن يتيه على النجوم   1

أحييت ميت رجائنا بصحيفة   أثنى عليها الشرق والإسلام   1

أثرت بنا من الشوق القديم   وذكرى ذلك العيش الرخيم   1

ملكت على مذاهبي   وعصاني الطبع السليم   1

من واجد سفر المنام   1

إن عضيك يا أخي بالملام   لا يؤدى لمثل هذا الخصام   1

تمثلي إن شئت في منظر   يا (جوليا) أنكر فيه الغرام   1

أذنتك ترتابين في الشمس والضحوفي النور والظلماء والأرض والسما   1

صفحة البرق أومضت في الغمام   أم شهاب يشق جوف الظلام   1

كم تحت أذيال الظلام متيم   دامي الفؤاد وليله لا يعلم   1

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ   ـش ولم تحسنوا عليه القياما   1

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلما منظما   2

لقد نصل الدجى فمتى تنام   أهم ذاد نومك أم هيام   2

بالذي أجراك يا ريح الخزامى بلغي (البسفور) عن (مصر) السلاما   2

(أيا صوفيا) حان التفرق فاذكري عهود كرام فيك صلوا وسلموا 2

قد مر عام يا (سعاد) وعام وابن الكنانة في حماه يضام 2

بنيتم على الأخلاق آساس ملككم فكان لكم بين الشعوب ذمام 2

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا واطمسوا النجم واحرمونا النسيما 2

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما وعدت وما أعقبت إلا التندما 2

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا واقضوا هنالك ما تقضي به الذمم 2

لا مرحبا بك أيهذا العام لم يرع عندك للأساة ذمام 2

علمان من أعلام مصـ ـر عدا الردى فطواهما 2

(حرف النون)

حال بين الجفن والوسن حائل لو شئت لم يكن 1

طف بالأريكة ذات العز والشان واقض المناسك عن قاص وعن داني 1

اثنى الحجيج عليك والحرمان وأجل عيد جلوسك الثقلان 1

يا صاحب الروضة الغناء هجت بنا ذكرى الأوائل من أهل وجيران 1

ورد الكنانة عبقري زمانه فتنظري يا (مصر) سحر بيانه 1

ياكاسي الخلق الرضى وصاحب الـ ـأدب السرى ويا فتى الفتيان 1

حيا بكور الحيا أرباع لبنان وطالع اليمن من (بالشام) حياني 1

قل للطبيب الذي تعنو الجراح له ماذا اعتددت لجرح العاشق العاني 1

هذاكتاب مذا بدا سره للناس قالوا معجز ثاني 1

أراك – وأنت نبت اليوم – تمشي بشعرك فوق هام الأولينا 1

يا ساكن البيت الزجا ج هبلت لا ترم الحصونا 1

يا يوم تكريم (حفني) أرهفت للقول ذهني 1

يا سيدي وأمامي ويا أديب الزمان 1

عجبت للنيل بدري أن بلبله صاد ويسقي ربا مصر ويسقينا 1

يرغي ويزيد بالقافات تحسبها قصف المدافع في أفق البساتين 1

لا منها حاجب للناظرين فنسوا بالليل وضاح الجبين 1

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان 1

أنكر النيل موقف الخزان فانثنى قافلا إلى السودان 1

يا من خلقت الدمع لطـ ـفا منك بالباكي الحزين 1

فتية الصهباء خير الشاربين جددوا بالله عهد الغائبين 1

غضي جفون السحر أو فارحمي متيما يخشى نزال الجفون 1

سألته ما لهذا الخال متفردا واختار غرتك الغرا له سكنا 1

سور عندي له مكتوبة ودلو يسري بها الروح الأمين 1

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا وذودا عن تراث المسلمينا 1

رويدك حتى يخفق العلمان وتنظر ما يجرى به الفتيان 2

أين يوم (القنال) يا ربة التا ج ويا شمس ذلك المهرجان؟ 2

لله آثار هناك كريمة حسدت روائع حسنها (برلين) 2

خرج الغواني يحتجـ ـن ورحت أرقب جمعهنه 2

ألم تر في الطريق إلى (كياد) تصيد البط بؤس العالمينا 2

لا تذكروا الأخلاق بعد حيادكم فمصابكم ومصابنا سيان 2

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا 2

نعمن بنفسي وأشقينني فياليتهن ويا ليتني 2

دعاني رفاقي والقوافي مريضة وقد عقدت هوج الخطوب لساني 2

أما (أمين) فقد ذقنا لمصرعه وخطبه من صنوف الحزن ألوانا 2

مسدي الجميل بلا من يكدره ومكرم الضيف أمسى خطبك لا يهون2

مضيت ونحن أحوج ما نكون إليك ومثل خطبك لا يهون 2

إن الذي كانت الدنيا بقبضته أمسى من الأرض يحويه ذراعان 2

(حرف الهاء)

تراءى لك الأقبال حتى شهدناه ودان لك المقدار حتى أمناه 1

شرف الرياسة يا محمـ ـد زانه شرف النهى 1

يا ليلة ألهمتني ما أتينه به على حماة القوافي أينما تاهوا 1

كم مر بي فيك عيش لست أذكره ومر بي فيك عيش لست أنساه 2

يا عابد الله نم في القبر مغتبطا ما كنت عن ذكر رب العرش باللاهي 2

وديعة ردت إلى ربها ومالك الأرواح أولى بها 2

(حرف الياء)

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها بي إلى ساحة (الفاروق) أهديها 1

أي (مكمهون) قدمت بالـقصد الحميد وبالرعاية 2

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا 2

دك ما بين ضحوة وعشى شامخ من صروح آل علي 2

كلمة شكر

وبعد، فاشكر لصديقي الدكتور منصور فهمي بك مدير دار الكتب المصرية، على ما قدّمه لي من معونة في تسهيل حصولي على مصادر ترجمة (حافظ إبراهيم)، وما قام به من همة في الإشراف على إخراج الكتاب.

ولأخي محمد نديم افندي ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية على مساعدته لنا في طبع هذا الكتاب على هذا النمط مع السرعة والدقة والإتقان، فلهما أقدّم جزيل شكري وأطيب ثنائي.

9 مايو سنة 1937

أحمد أمين